

تاريخ بابر

بابُرنامه

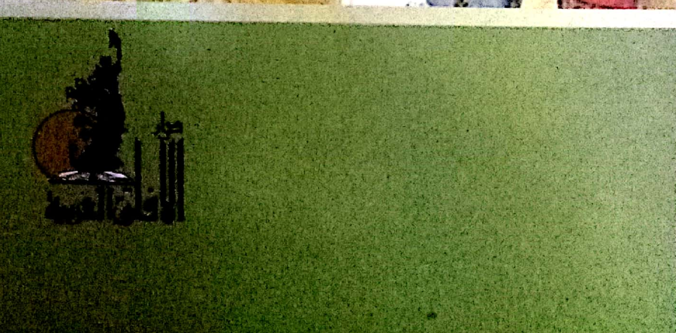
وقائع (فرغانه - كابل - الهند)

تصنيف

ظهير الدين محمد بابُر

نقلها إلى العربية وقدم لها وعلق عليها

ماجدة مخلوف



تاريخ بابُر

بابُرنامَة

وقائع

فرغانة - كابُل - الهند

تصنيف

ظهير الدين محمد بابر التيموري

مؤسس دولة المغول في الهند

نقلها إلى العربية وقدم لها وعلق عليها

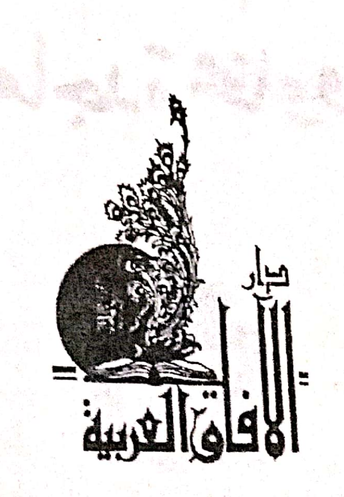
ماجدة مخلوف



التيمورى ، ظهير الدين محمد بابر
تاريخ بابر :بابر نامة
وقائع فرغانة- كابل - الهند
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2014
711 ص ، 24 سم

1- الهند تاريخ
أ. مخلوف ، ماجدة (مترجم ، مقدم ، معلق)
954
ب. العنوان
تدمك: 978-977-344-299-6
رقم الإيداع : 2014/8526
الطبعة الأولى
2014/1435 م

نشر – توزيع – طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 -00202
تليفاكس : 22610164-00202
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

[آل عمران: ٢٦]

القسم الأول

دِرَاسِةٌ حَوْلَ تَارِيخِ بَابُر ٣٧ - ٩٠

القسم الثاني ٩١ - ٦٦٦

تاريخ بابُر (الترجمة العربية)

فَرْغَانَه ٩٢ - ٢٨٤

كَابُل

ثبت المصادر والمراجع ٦٧٢-٦٧٦

فهرس الأعلام ٦٧٧-٧١١

المُقدِّمة

تزخرُ اللُّغاتُ الشَّرقيةِ الإسلاميَّةِ بتُراثٍ إنْسَاني ضَخم في مَجالاتِ الفِكْرِ والأدَبِ والتَّاريخ. والتَّرجَمةُ مِن هَذهِ اللُّغات إلى اللُّغة العَربيَّةِ، تُعْتَبَرُ بلا شك إثراءً لِلثَّقافةِ الإسلاميَّةِ والإنْسانيَّة.

ومِن الآثارِ الفَريدَةِ في اللُّغَةِ التركيةِ بِلَهجَتِها الجِغتائيَّة، كِتابُ بَابُر المعروف باسم (بابُر نامه). وَقد أَجْمَعَ المُؤَرِّخُون مِن شَرقٍ وغَربٍ على أنَّ هَذا الكتابَ أثرٌ فريدٌ سواء مِن حيث المُحتوى أو الأسلوب.

وكِتَابُ بابُر، هو السِّيرَةُ الذَّاتية لِظَهير الدين مُحَمَّد بَابُر مؤسس الدولة التَّيمُورية التي يعرفها الأوربيون باسم دولة المُغُول في «الهِنْد». وقد كَتَبه بابُر في النِّصْفِ الأولِ مِن القَرْنِ السَّادِسِ عشر الميلادي، العاشر الهجري، بِهَدَفِ تَسْجيل جُهُودِهِ وَجِهَادِهِ في سَبِيلِ تَأسِيسِ دولته. وبذَلِكَ المحتوى صار الكتابُ مصدرًا أصيلًا لِتاريخ «ما وراء النَّهر» و«الهِنْد» في تللك الفترة.

وبِسَبَبِ تَفرُّدِ هَذا الأثرِ تَمَّت تَرجَمَتُه أكثر مِن مَرةٍ إلى اللُّغاتِ الفَارسِيَّةِ والإنْجليزيَّةِ والفَرَنْسيَّةِ والأُرْدِيَّةِ، وتُرْجِمَ أيْضًا إلَى الألْمَانِيَّةِ والرُّوسِيَّةِ والتُّرْكِيَّةِ الحَدِيثَةِ والأسْبانِيَّةِ والأُزْبَكِيَّة.

وَتَاريخُ بابُر مَصْدَرٌ أسَاسٌ لِكُلِّ مَن يتَصَدَّى للكِتَابَةِ عَنِ الإسْلامِ بلاد ما وراء النَّهر و«شِبْهِ القَارةِ الهِنْدية»، فَقَد أَشَارَ الدكتور أَحْمَد محمود الساداتي - في كِتابهِ الذي يحمل عنوان «تاريخ المسلمين في شبه القارة الهِنْدية»وحضارتهم - إلى أهميةِ نقل كتابِ بَابُر إلى اللغةِ العربيةِ بقوله: وقد نُقِلَتْ هَذهِ السَّيْرة إلى الفارسية، كما نُقِلَت إلى اللغاتِ الأوروبية الحديثة، ونرجو أن يتهيأ لهذه السَّيْرة القَيِّمَة المُمْتِعَة مَنْ يَنْقلُها بِدَوْرِه إلى العربية.

وقد وَفَّقنا الله - سبحانه وتعالى - إلى نَقْلِ هَذا الكتاب إلى اللُّغَةِ العَرَبيَّة، وهِي المرةُ الأولى التي يُنْقَلُ فِيها هَذا الأَثَر الفَرِيد إلى اللُّغَةِ العَرَبيَّة.

وقَد مَهَّدْنا لِهَذِه التَّرجَمَة بِدراسةٍ حَوْلَ بَابُر، والدولةِ التَّيمُورِيَّة، والأوضَاعِ السِّيَاسِيةِ فِي عَصْرِه، ثُمَّ مَنْهَجه فِي الكِتَابَةِ التَّارِيخِيَّة، وخَصَائِص هَذا المنهج.

كَما عَرَّفْنا بالكِتابِ ومُحْتواه، وأَهَمِّيَتهِ التَّارِيخِيَّة، وأَهَمُّ التَّرْجَماتِ التِي تَمَّت لَهُ إلى اللُّغَاتِ الفَارِسيَّةِ والإنْجليزيَّةِ والفَرَنْسيَّةِ والتُّرْكِيَّةِ الحَدِيثَةِ والأُرْدِيَّة، ثُمَّ التعريف بتَرْجَمَتِنا هَذهِ، والمَنْهَجُ الذي اتبعناه فِي التَّرْجَمَةِ، التي آمل أن تملأ فَرَاغًا فِي المكْتَبَةِ العَرَبيَّة.والله مِن وراء القصد.

ماجدة مخلوف

كلمة وشُكر

لقد استغرقَ انجازُ هذا الكتاب أكثر من عِقدَيْن مِن الزمان، وهى مدةٌ لَيْسَت بالقصيرة، فقد بَدَأتُه وأنا فى أخرياتِ سنواتِ الشباب، وها أنا ذا قد بلغتُ الستين مِن عمرى.

كانت هذه الفترةُ الطويلةُ كافيةً لأن أُعِيد النظرَ في النصِ أكثر من مرة ، والحمد لله لم أشعر لحظة بالقلق، فقد أتى الوقتُ بِثَمَرَتِه. وكنتُ فى هذه السنواتِ أنْقَطِع عن العملِ فى هذا الكتابِ من حين إلى آخر حَتَّى أُجَدِّد طاقتى وأُجَدِّد رُؤيتى وفَهْمى للنص، وجمعتُ خلالها كل ما استطيع الحصول عَلَيْهِ من ترجماتٍ لهذا الأثر القيِّم فى اللغاتِ التركيَةِ والانجليزيَةِ والفرنسيةِ والأرديةِ والفارسيةِ والأزبكية ، وإعْدَادِ النص الذى قام به البروفسور ايجى مانو، واجتهدتُ قَدْرَ ما يسَّرَ لنا الله فى الاستفادةِ مِنْها كلها.

ولا يفوتنى أنْ أتَقَدَّم بالشكرِ إلى كلِّ مَنْ قدَّمَ لنا رأْيًا أو مَشُورَة، وكلِّ مَنْ أهْدَى الينا كِتابا استَفَدْنا منه فى هذا الكتاب.

وفى النهاية

أهدى هذا الجهد إلى حبات قلبى ابنتىّ هبة وهالة و أحفادى رنا وليلى وحسن وندى وأحمد، ليتعلموا أن " من أراد استطاع " وذلك بعد مشيئة الله وإرادته.

والحمد لله رب العالمين

ماجدة مخلوف

مدينة الشروق

٢٠١٣/٩/٢٣

تنويـــــــه

نود الإشارة هنا إلى الآتي:

(١) الكلماتُ الواردةِ فِي سِيَاقِ التَّرْجَمَةِ العَرَبِيَّةِ والمَوْضُوعَة بين مَعْكُوفَيْن [...] هي مِن وَضْعِنا، وذَلِكَ حسبما يقتضي سِيَاقُ الجملةِ العربية، لتوضيح بعض المعاني التي بَدَتْ غامضة فِي العبارةِ التركيةِ مِن النص.

(٢) التَزَمْنَا مَبْدَأَ البِنَاءِ علَى حَرَكَةِ الحكاية فِي أَسْمَاءِ الأَعْلام، أي: عَزْل اسم العَلَم عن سِيَاقِ الجُمْلَة وبناءه على الحَرَكَةِ والحَرْفِ الذي هو عَلَيْهِ.

مثال ذَلِكَ: قَالَ أبو سعيد، أو: رأيت أبو سعيد، أو: نظرت إلى أبو سعيد.

(٣) كل الهوامشِ والعناوينِ الجانبية للنص مِن وَضْعِ المُتَرْجِم.

(٤) تَحَرَّيْنَا فِي كِتَابَةِ الأسماءِ الشائعة ما تعارَفَت عَلَيْهِ المصادر العربية، والتَزَمْنَا فيما هو غير شائع مِنْها الشكل الإملائي الوارد فِي النص الجغتائي.

(٥) إن لَقَبَ «البيجوم» يعنى الأميرة، ولَقَبِ «ميرزا» يعنى الأمير من الأسرة التيمورية.

(٦) إن لَقَبَ «خان» يعنى الحاكم أو السُلْطَان ، ولقب «خانم» يعنى الأميرة عِنْدَ المُغُول والأزبك.

(٧) إن لَقَبَ «سُلْطَان» بعد الاسم يعنى الأمير عِنْدَ المُغُول.

وقد آثرنا الاحتفاظ بهذه الألقاب على حالها للتفريق بين التيموريين والمُغُول والأزبك

***

القِسْمُ الأول

دِرَاسَةٌ حَوْلَ تـــارِيخِ بَابُر

الدولةُ التَّيْمُورِيَّة
حَتَّى نهايةِ القرنِ الخامسِ عشر

أَسَّسَ الأميرُ تيمور الجُرجاني، المعروف باسم تيمورلنك (ت: ٨٠٨ هـ =١٤٠٥م) دولةً وَاسِعَة نُسِبَت إليه، وضَمَّت مَنَاطق مِن «الهِنْد»، وأفغانستان، الحالية، وكل بلاد ما وراء النَّهْر، و«خُراسان»، والعراقين، وجنوب القفقاس، وأجزاء مِن الشام وشرق الأناضول وغيرها، واتَّخَذَ مدينة «سَمَرْقَنْد» عَاصِمَةً له.

تَعَرَّضَت هَذهِ الدولة التَّيْمُورِية للانقسام بَعْدَ وفَاةِ تيمورلنك، سواء بسبب التمرد على السُلْطَان، أو الرغبة فِي الانفصال والاستقلال التي سادت بين أبنائه وأحفاده [1].

تَرَكَ تيمور لنك أربعةَ أبناءٍ يُمَثِّلون الأُسْرَةِ التَّيْمُورِيَّة هم:

١- غياث الدين جهانكير مِيرْزا : وقد تُوفِّي أثناءَ حياةِ تيمور لنك، فأصبحَ ابنه پير مُحَمَّد مِيرْزا وَلِيًّا للعهدِ للأميرِ تيمور، وكان يحكُم فِي «كَابُل» و«غَزْنَة» و«الهِنْد» [2]. وانتهت أسرته فِي أواخرِ القرنِ الخامسِ عشر.

٢- معز الدين عُمَر شيخ مِيرْزا: وقد تُوفِّي أثناءَ حياةِ تيمور لنك أيضا، وحَكَم أبناؤه پير مُحَمَّد رستم مِيرْزا ، وإسكندر مِيرْزا ، وبايقرا مِيرْزا ، فِي شيراز، وأصفهان، وهمدان وما حولها، واختَصَّ كل واحد منهم بمنطِقَةٍ مِنْها. وانتهى نَسْلُهُ فِي منتصفِ القرنِ السادس عشر.

٣- جلال الدين ميرانشاه مِيرْزا : وقد حَكَمَ هو وابنُهُ عُمَر مِيرْزا فِي «خُراسان»، والعراقين، وآذربيجان، وديار بكر [3]. وانتهَت أسْرَتُه فِي مطلعِ القرنِ السابعِ عشر باستثناءِ ظهير الدين بَابُر الذي ظَلَّت أسْرَته تحكم فِي «الهِنْد» حَتَّى منتصفِ القرن التاسعِ عشر.

---

(1) Halis Bıyıktay, Timurlular Zamanında Hindistan Türk Imparatorluğu, Istanbul 1941,s.8

(٢) انظر، حَسَن بيرنيا، تاريخ ايران از آغاز تا انقراض ساسانيان، از انتشارات كتبخانهء خيّام، بدون تاريخ طبع، ص٦٣٠.

(٣) انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، مخطوط، ٥٠٢٠ بايزيد، ورقه ٢٦٦أ.

٤- مُعين الدين شاهرخ مِيرْزا : وحَكَم فِي «هَرَاة»، و«طُوس» ، و«مَشْهَد»، ومرو، ونيسابور، وسبزوار [(١)] مِن «خُراسان»، وانتهت أسْرَتُه فِي مطلعِ القرنِ السادسِ عشر [(٢)].

والتَّيمُوريون مثلُ السَّلاجِقة، لم يَسْعَ أي منهما إلى إقامةِ حكومةٍ مركزية، وساروا على نَهْج الأعرافِ التركية - حَتَّى ذَلِكَ الوقت - فِي جَعْلِ كل أميرٍ علَى رأس إمارة، وهذا ما أثار بينهم الأطماع والنزاعات بِشَكْلٍ دائم [(٣)]. فلم يَكُنْ هُنَاكَ قانون أو نِظَام يحكم انتقالَ الحُكْم مِن سُلْطَان إلى آخر، إنما اعتمد الأمر علَى قوةِ الأمير، وقُدْرَتِه فى التغلبِ على مُنَافِسِيه وانْتِزَاع العرش. وهو ما جَعَلَ الدولة التَّيمُورية عُرْضَةً للنزاعاتِ الداخلية، والصراعاتِ حَوْلَ السَّلْطَنة عَقِبَ مَوْتِ كل سُلْطَان بَدْءً مِن تيمور لنك حَتَّى نهايةِ الدولةِ التَّيمُورية فِي «ما وراء النَّهْر» و«خُراسان» على يَدِ الأُزْبَك فِي مطلعِ القرنِ السادسِ عشر الميلادي [(٤)].

بعد تيمور لنك، استطاع أَصْغَر أبنائِه مُعين الدين شاهرُخ مِيرْزا(ت: ٨٥١هـ = ١٤٤٧م) أن يَنْتَزِعَ العرشَ مِن يَدِ ابن أخيه مُحَمَّد بن چهانكيرميرْزا، ويَجْمَع كل أجزاء هَذهِ الدولةِ الوَاسِعَة باستثناء سوريا والأناضول، ويحافظ عَلَيْها طوالَ تسعِ وأربعين سنة هِي مُدَّة حُكْمِه.

تَرَكَ شاهرُخ «سَمَرْقَنْد» عاصِمَة أبِيهِ، واتَّخَذَ مِن «هَرَاة» عاصمةً له، فأنْشَأَ فِيها الآثار العظيمة. وكان شاهرُخ مِيرْزا أكبرَ أمراءِ التَّيمُورِيين الأحياء آنذاك، وأكفأ بني جِلْدَتِه وأقْدَرهم،

---

(١) سبزوار، مدينة تقع في فِي خُراسان فِي الغرب من نيشابور.

(2) Hikmet Bayur,Vekayi, tarihi özeti, Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahli indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946) ‘de.s.28

وأيضا،حسَن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٠.

(3) Yılmaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi,Ötüken Yayınevi,Istanbul 1980,s.116.

(4) Hikmet Bayur, a.g.e ,s 56.

ورَاعِيا للفنونِ والعلوم، كَمَا كان بلاطهِ صورةً صادقةً لما بَلَغَتْهُ الثقافَةُ فِي عصرهِ وتَمَتَّعَ فِيه أهلُ «ما وراء النَّهْر» بالأمنِ والرفاهية ، فاعتبره المؤرخون العصرِ الذهبي لهذهِ المنطقة [١].

تَوَزَّعَت الدولةُ التَّيْمُورِيَة عَقِبَ وفاةِ شاهرُخ بين الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين [٢]، وكان أهمهم ابنه أولُغ بِك [٣] (حكم٨٥٠هـ = ١٤٤٦م) وكان أميرًا فِي حياةِ والدهِ عَلَى «سَمَرْقَنْد» التي اتَّخَذَها عاصمةً له، كما فَعَلَ جَدَّهُ تيمورلنك [٤].

وَجَّهَ أولُغ بِك اهتمامه الأول إلى العلوم، لَكِنَّهُ لم يهتم بالإدارةِ والحُكْمِ بنفسِ القدر الذي وجَّهَهُ إلى العلومِ، وصرف اهتمامه عن أحوالِ شَعْبِهِ ، ليشتغلَ بِعِلْمِ الفلك ورَصْدِ النجوم [٥].

نَجَمَ عن انشغالِ أولُغ بِك عن إدارةِ وحُكْمِ بلادِهِ أن انْقَضَّ عَلَيْـهِ ابنه عبد اللطيف، وكان ذَلِكَ عام ٨٥٣ هـ = ١٤٤٩ م، لكن لم يُتَحْ لعبد اللطيف بن أولُغ بِك أن يَبْقَ طويلا فِي الحكم بعد قتله أبيه؛ إذْ قُتِلَ بِدَوْرِه بعدَ بِضْعَةِ شهورٍ مِن ذَلِكَ الحَدَث [٦].

تَوَلَّى عبد الله مِيرْزا الحُكْمَ فِي «سَمَرْقَنْد» بعدَ مَقْتَلِ أولُغ بِك وعبد اللطيف. وعبد الله هَذَا ابنُ ابراهيم مِيرْزا، وأحدُ أحفادِ شاهرُخ.

وفِي الوَقْتِ الذِي أَعْلَنَ فِيه عبد الله نَفْسَه سُلْطانا فِي«سَمَرْقَنْد»،أَعْلَنَ ابو سَعِيد مِيرْزا

---

(١) انظر، حَسَن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٤، وايضا، ارمينيوس فامبرى، تاريخ بُخَارا، ترجمة أَحْمَد محمود الساداتى، وزارة الثقافة والإرشاد القوى، القاهرة ١٩٦٥، ص٢٦٣.

(٢) حول كيفية هَذَا التقسيم، انظر، Hikmet Bayur,a.g.e.,s. 57.

(٣) اسمه الأصلى محمد تورغاى، كان فِي العشرين من عمره عند اعتلائه عرش سَمَرْقَنْد والاضطلاع بحكومة ما وراء النَّهْر. انظر، ارمينيوس فامبرى، تاريخ بخارى، مرجع سبق ذكره، ص٢٦٥.

(٤) حَسَن بيرنيا، المرجع السابق، ص٦٣٥.

(٥) يصف منجم باشى أولُغ بِك بأنه كان ملكا عاقلا فاضلا له فضيلة باهرة فِي الحكميات سيما فِي الرياضة، وله مؤلفات جليلة مفيدة، ولم يجتمع فِي مجلس أحد من الملوك ما اجتمع فِي مجلسه من العلماء والحكماء، انظر، منجم باشى، جامع الدول، مرجع سبق ذكره، ج٢، ورقة ٢٥١أ.

(٦) انظر، ظهير الدين محمد بَابُر، بَابُر نامه، ورقة ٥٠أ.

بن مُحَمَّد مِيرْزا بن ميرانشاه بن تيمورلنك، نَفْسَهُ سُلْطَانا فِي «بُخَارا»[1].

تَقَدَّمَ ابو سَعِيد مِيرْزا هَذَا لِيُنَازِعَ الأمير الجديد عبد الله السَّلْطَنَة، لكنه هُزِمَ، فلَجَأَ إلى الأميرِ ابو الخير خان الأُزبَك طَلَبًا لِمُسَاعَدَتِه، فَجَاءَ ابو الخير على رأسِ جيشٍ كبيرٍ مِن الأُزبَك، لمساعدةِ ابو سَعِيد مِيرْزا. وهَاجَمَ عبد الله، وانْتَزَعَ مِنْهُ تَاجَه وحَيَاته فِي معركةٍ واحدة[2].

بهذا النصر، استطاع ابو سَعِيد مِيرْزا- فِي أواخرِ عام ٨٥٥ هـ = ١٤٥٢م - أن يَجْمَعَ كُلا مِن «سَمَرْقَنْد»، و«بُخَارا» مرة أخرى، وأن يُحَافِظ عَلَى ما تَبَقَّى مِن الدولةِ التَّيْمُورِية.

وبعد أن تَمَكَّنَ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا مِن الاستيلاءِ عَلَى «سَمَرْقَنْد» بمساعدةِ الأُزبَك، أرادَ أنْ يبْعِدَهم عن عاصِمَتِهِ «سَمَرْقَنْد» لأَسْبَاب استراتيجية[3].

كان مَقْتَلُ زعيمِ الأُزبَك الشَّيْخ حيدر بن ابو الخير خان (سنة ٨٣٧هـ = ١٤٦٨م) أثناءَ صِراعِهِ مع يونس خان جَدّ بَابُر وحاكم شعبِ المُغُول، يُشَكِّلُ ضَرْبَةً قَوِيَّةً أَضْعَفَتْ الأُزبَك، وَشَتَّتَتْ أمرَهم لفترةٍ مِن الزمن، وبذَلِكَ استطاع ابو سَعِيد مِيرْزا والتَّيْمُورِيون عامة أن يَتَخَلَّصُوا مِن خطرِ الأُزبَك مُؤَقَّتًا، وأن تكون لأبو سعيد اليَدِ العليا فِي المَنَاطِقِ التِي يَحْكُمُها[4].

---

(١) انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة٢٥٢أ، وانظر أيضا Hikmet Bayur,a.g.e.,s61

(٢) انظر، فامبرى،نفس المرجع، ص ٢٧١- ٢٧٢. وانظرأيضا، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٥٢ب.

(٣) يقول فامبرى إن ابو سَعِيد مِيرْزا أراد أن يبعد الأُزبك فلجأ معهم إلى الحيلة تارة وإلى القوة تارة أخرى حتى ينجح فِي مسعاه. ولم يكن صنيع ابو سَعِيد مِيرْزا هَذَا ليتفق يقينا مع ما كان يجب عليه من العرفان بالجميل نحوهم، فأورث التَّيْمُورِيين العداء الدائم بينهم وبين الأُزبك، انظرفامبرى، نفس المرجع، ص٢٧٢/١. ويقول منجم باشى فِي وصف معاملة ابو سَعِيد مِيرْزا لأبى الخير غير ما قاله فامبرى، فيقول إن ابو سعيد بعد مساعدة الأزبك له شرع فِي ضيافة أبى الخير خان وأضافة ضيافة ملوكية وقدم إليه وإلى أمرائه هدايا جليلة من الجواهر الثمينة والملابس النفيسة والخيول الضامرة والسروج المذهبة وغير ذلك فرجع إلى بلادهانظر منجم باشى، ج٢، ورقة ٢٦٩أ.

(4) Hikmet Bayur, a.g.e.,s69.

استطاع مُحَمّد شيباني[1] (المعروف باسم شَيْبَاق خان) حفيد ابو الخير خان والمولود سنة ٨٥٥هـ =١٤٥١م ، أن ينجُ بِنَفْسِهِ بَعْدَ مَوْتِ جَدِّهِ وأبيه، فَهَرَبَ بِبِضْعِ مئاتٍ مِن رِجَاله، ودَخَلَ فِي خِدْمَةِ عبد العلي تَرْخان عَامِل السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا سُلْطَان «سَمَرْقَنْد» فِي «بُخَارا»، وبَلَغَ عنده مَكَانَة رَفِيعَة[2].

بعدَ مَقْتَلِ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا[3] على يَدِ أوزون حَسَن زعيم تركمان الشاة البيضاء سنة ٨٧٣ هـ = ١٤٦٨م[4]، انْقَسَمت الدولة التَّيْمُورِيَة فِي «ما وراء النَّهْر» بين أبنائه، وتَنَازَعُوا فِيما بينهم، ومَلَكَهُم الطمع، وتَسَبَّبَ هَذَا فِي خرابِ الديار؛ فقد حَكَمَ ابنه الأكبر السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا «سَمَرْقَنْد» وما حَوْلَ «بُخَارا»، وكان والِدُهُ قد تنازَلَ له عن السَّلْطَنَة أثْنَاءَ حَيَاتِه[5].

أما ابنه الثاني السُلْطَان محمود مِيرْزا فقد حَكَمَ ما حول «بَدَخْشان»، وتَضُمُّ المَنْطِقَة الواقِعَة بين « هندكوش » وجِبَال «حِصار»[6].

أما الإبن الثالث عُمَر شيخ مِيرْزا والِد بَابُر، فكان له حُكْم «بُخَارا» وما حَوْلَها. هؤلاء الأبناء الثلاثة وصاهروا يونس خان، حاكم شعب المُغُول.

---

(١) محمد شَيْبَاق خان، هو خان الأُزبك الذى انتزع أملاك التَّيْمُوريين وقضى على دولتهم فِي بلاد ما وراء النَّهْر وخُراسان وخاض حروبا طويلة فِي هَذَا السبيل ضد بَابُر وأبناء حسين بَايْقرا، حتى قتله الشاه إسماعيل الصفوي بعد ذلك سنة٩١٦ هـ = ١٥١٠م. انظر، منجم باشى، ج٢، ورقة٢٦٥ب. وانظر أيضاعبد الحسين نوائى، شاه إسماعيل صفوى، اسناد ومكاتبات تاريخى همراه باياد داشتهاى تفصيلى، انتشارات بنياد فرهنك ايران، (٥٠)، جاب شد، ١٣٦٧، ص١٢٤.

(2) Hikmet Bayur, a.g.e.,s69

(٣) يقول منجم باشي فِي وصف ابو سَعِيد مِيرْزا، إنه كان ملكا عادلا عاقلا، يحب العلماء والصلحاء والمشايخ، ويعتقد فيهم لا سيما النقشبندية، انظر، منجم باشى، ج٢، ورقة ٢٧٠ب.

(٤) حَسَن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٨.

(٥) انظر، بَابُر، بَابُر نامه، ورقة ٥٠ب.

(٦) المنطقة الجبلية الواقعة فِي الجنوب الشرقى من سَمَرْقَنْد.

أما الإبن الرابع وهو أولُغ بِك مِيرْزا ، فكانت له «كَابُل» و«غزْنَة» [١]، فِي ذَلِكَ الوقت كان السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا بَايْقَرا أحد أحفادِ عُمَر شيخ مِيـرْزا، يَحْكُمُ فِي كل مِن «خُراسان» وما حَوْلَها، ويتخذ مِن «هَرَاة» عاصمة له.

والجَدِيرُ بالذِّكرِ، إنَّه عِنْدَمَا تَوَلَّى بَابُر عَرْش «فَرْغَانه» سنة ٨٩٩ هـ = ١٤٩٤م، كان السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا يَحْكُمُ مُنْذ خمس وعشرين سنة، ويعتبر آنذاك أقْوَى حُكَّام التَّيْمُورِيين، وأكثَرَهُم سطوة [٢].

و كانت خانية المُغُول المُنْحَدِرة مِن نَسْلِ چَغَتَاي خان مُنْقَسِمَةً آنذاك إلى ثلاثِ مناطق كبيرة. فَبَعْدَ مَوْتِ يونس خان، اقْتَسَمَ مُلْكَه أبناؤه الثلاثة علَى الوجهِ التَّالِي:

- محمود خان وتَوَلَّى حُكْم «سَيْرَام»، و«تاشْكَنْد».
- وتَوَلَّى أَحْمَد خان حُكْم كل المنطقة الواقعة شرق أوليا آطه فِي تُرفان [٣].
- أما ابو بكر فقد استقل بحكم كاشْغَر، ونهر تاريم [٤].

ومن الملاحظِ أن منطقة «سَيْرَام» و«تاشْكَنْد» التى حكمَها محمود خان، كانت قد آلت إلى يونس خان مِن السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا سُلْطَان سَمَرْقَنْد [٥].

---

(1) Hikmet Bayur, a.g.e.,s.68.

(2) Halis Bıyıktay, a.g.e. s8.

(٣) تقع تُرفان هَذهِ كما رأيتها فِي الأطلس العربى فِي شرق جبال تيان شان، فِي الشمال من تُركِسْتان الشرقية المعروفة لآن باسم مقاطعة سنكيانج الأويغورية ذات الحكم الذاتى فِي الصين. انظر، الأطلس العربى، أصدار وزارة التربية والتعليم المصرية، ط١، سنة ١٩٦٥، ص٥٤/ز/٢.

(٤) ويكتب أيضا تارم، وهو نهر كبير فِي تُركِستَان الشرقية يتبع الصين الآن.، انظر، الاطلس العربى، ص٥٥/ز/٢.

(5) Halis Bıyıktay, a.g.e. s8.

ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر
(٨٨٨هـ- ٩٣٧ هـ = ١٤٨٢م - ١٥٣٠م)

يُعْتَبَر ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر(١)، التُّرْكي عرقا والتَّيْمُورِي نسبا(٢) ، مُؤَسِّسُ الدولةِ التَّيْمُوريةِ فِي «الهِنْد»، وأحد أظهر الشخصيات التركية في القرنِ العاشرِ الهجري (السادس عشر الميلادي)، سواء على المستوى السياسي، أو المستوى الأدبي، ولا يختلف فِي هَذَا عن معاصريه مِن السلاطينِ الأتراكِ الكبار، وهم السُلْطَان بايزيد الثاني (ت:٨٠٤هـ = ١٤٠٢م)، والسُلْطَان سليم الأول (ت: ٩٢٧هـ =١٥٢٠م)، والسُلْطَان سُلَيْمان القانوني (ت ٩٧٤هـ = ١٥٦٦م)، والشاه اسماعيل الصفوي (ت:٩٣١هـ/١٥٢٤م)، والسُلْطَان حُسَيْن بَايقْرا سُلْطَان «هَرَاة» التَّيْمُورِي (ت:٩١١هـ /١٥٠٤م).

إعْتَلَى بَابُر عَرْش «فَرْغَانَه» عام ٨٩٩هـ = ١٤٩٤م وهو فِي الثانيةِ عشر مِن عمرِهِ خلفا لوالده عُمَر شيخ مِيرْزا. واضطر عقب اعتلائه العرشَ إلَى خَوْضِ حروبٍ طويلةٍ ضد أقاربه لاستردادِ كل ما فُقِدَ مِن مُلْكِ والده فِي «فَرْغَانَه» وما حولها، وأيضا ضد أعدائه مِن

(١) ولد بَابُر فِي فَرْغَانَه فِي ١٤ فبراير ١٤٨٢م (٨٨٨هـ) وقد أطلق عليه شيخ عربي يدعى نصر الدين عبيد الله اسم ظهير الدين محمد، بَيْنَما أطلق عليه أهله من الأتراك اسم بَابُر التزاما بالأعراف التركية، وبذلك أصبح اسمه ظهير الدين محمد بَابُر.انظر،

Bilâl Yücel,BâburDivâni, Atatürk kültür Merkezi Yayını,sayı:81,ankara 1995,s.9.

(٢) يعتبر المؤرخون تيمور لنك تركيا على اعتبار أنه نشأ فِي قبيلة مغولية متتركة هي قبيلة بارلاس، وكانت هَذهِ القبيلة تحكم وقتذاك الأماكن الواقعة على نهر كشكة، ويحدثنا رشيد الدين بأن (قاراجار) وهو الأمير الجغتائي الذى اعتبر فيما بعد جدا لتيمور، كان منسوبا إلى قبيلة برلاس هَذهِ. انظر، بارتولد، تاريخ الترك فِي آسيا الوسطى، ترجمة أحْمَد السعيد سُلَيْمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦، ط٢، ص٢٣٦. كما أن المؤرخ التركى حكمت بايور يذكر بَابُر باعتباره تركى ويفرق بينه وبين المُغول وبَابُر نفسه يذكر أنه تركى وليس مغولى، فِي تفصيل أن بَابُر تركى وليس مغولى، انظر،

Y. Hikmet Bayur, Hindistan Tarihi, c.2Ankara 1947,s.2-3

الأُزبَك، وذلك بأمل الحِفَاظِ على مَا تَبَقَّى مِن الدولةِ التَّيْمُورِيَّةِ فِي «ما وراء النَّهْر» و«خُراسان».

استَغْرَقت هَذهِ الحروب الفترة الأولى مِن حكم بابر حَتَّى عام ٩١٠هـ = ١٥٠٤م، ولم يَظْفَر منها بشيء، بل خرجت «فَرْغَانَه» من يده، كما نَجَحَ الأُزبَك فِي طَرْدِ التَّيْمُوريين مِن «تُركِسْتَان» و«خُراسان». واتجه بَابُر جنوبًا، فَفَتَحَ «كَابُل» فِي العامِ نفسه، وأَخَذَ «غَزْنَة»، واستطاع خلال فترةٍ قصيرةٍ أن يستولي على قِسْمٍ كبيرٍ مِن أفغانستان، ويأخذ «تاشْكَنْد» و«بُخَارا» و«سَمَرْقَنْد».

نجح الأُزْبَك فِي طردِ بَابُر مرة أخرى مِن المناطق التي أخذها مِن «ما وراء النَّهْر»، وبعدَ مَوْتِ السُّلْطَان حُسَيْن بايْقَرا استولى الأُزْبَك علَى «هَرَاة»، وانتهت الدولة التَّيْمُورية فِي «ما وراء النَّهْر» و«خُراسان»،وكادت أن تُطوى صفحتها كما حَدَثَ مع السلاجقَةِ مِن قبل.

تمكن بَابُر بعزيمته أن يؤسس دولة جديدة للتيموريين فِي «الهِنْد» ، كُتب لها الاستمرار لعدة قرون. ذَلِكَ أن «كَابُل» تقع على الطريق المؤدية إِلَى «الهِنْد»، مِمَّا شَجَّعَ بَابُر علَى الاتجاه جنوبًا ناحيةَ إقليمِ البنجاب مِن بلادِ «الهِنْد» [1] بِأَمَلِ استعادة ما كان للتيموريين مِن مُلْكٍ ودولة هُنَاكَ [2]، فالاتِّجَاهُ نَاحِيَةِ «الهِنْد»، كَانَ الطريـق المتاح أمَامَهُ بعْدَ أَنْ أَغْلَقَ الأُزْبَك طريق عَوْدَتِـهِ إِلَى «ما وراء النَّهْر» باستيلائِهم عَلَى «هَرَاة». فلما استنجد أمراء الأَفْغَان بِبَابُر ليُخَلِّصَهُم مِن وطْأَةِ حُكْمِ اللودهيين [3]، اجْتَمَعَتْ لدى بَابُر الأَسْبَاب الخارجيةِ والطموح الذاتي لِفَتْحِ «الهِنْد»، وخَاضَ حروبًا طويلةً حَتَّى استطاع أَنْ يَدْخُلَ «الهِنْد» مُظَفَّرًا بعد

(1) Michael Edwardes ,A History of India ,farrar,Straus and Cuddahy ,New York,p.131.

(2) Yılmaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi, c2,s.150

(3)Anıl Çeçen, Türk Devletleri, Inkilap kitapevi,Istanbul 1986s.239.

انتصَارِهِ علَى ابراهيم اللودهي[1] فِي «پَانِيپَت» سنة ٩٣٢ هـ = ١٥٢٦م، ويُؤَسِّس هُنَاكَ الدَّوْلَةَ التَّيْمُورِيَة التِي يَعْرِفُها الأوربيون باسم دولة المُغُول العِظَام[2].

اتَّخَذَ بَابُر مِن «دِهْلِي» عاصِمَةً لَه، واسْتَمرّت أُسْرَتُه تحكم فِي «الهِنْد» أكثر مِن ثلاثةِ قرون، حَتَّى قَضَى الإِنكليزُ علَى الدولةِ التَّيْمُورِيةِ فِي «الهِنْد» سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٧م.

علاقة بَابُر بالعالم الإسلامي (التركي) في مطلع القرنِ السادس عشر

شَهِدَ مَطْلَعُ القَرْنِ السَّادِسِ عشر سيادةَ الأُسَرِ التُّرْكِيَّةِ الحَاكِمَةِ ، فِي المنطقةِ المُمْتَدَّةِ مِنَ تُركِسْتَان حَتَّى نِهَايَةِ حدود الدولةِ العثمانيةِ فِي البَلْقَان ونِزَاعهم فيما بينهم لأَسْبَاب دينية، وأخرى سياسية.

هَذهِ الأُسَرِ التُّرْكِيَّةِ الحَاكِمَةِ هِي؛

---

(١) إبراهيم اللودهى، وتكتب أيضا اللودى، أخر حكام اللودهيين في دهلى. لم يحسن إبراهيم تدبير ملكه، فقامت الثورات ضده في كل مكان، كما ثارت النزاعات بينه وبين دولت خان اللودهى حاكم لاهور، فجأ هَذَا الأخير إلى بَابُر الذى كان يسيطر على كابُل وما حولها، فسار إليه بَابُر وقتله في باني بت، ودخل دهلى واستولى على عرشها. انظر،ظهير الدين محمد بَابُر بَابُر نامه، نشرا مصورا عن نسخة حيدر آباد، لندن ١٩٠٥، ورقة٢٦١أ- ورقة٢٦٨ب.

(٢) يطلق المؤرخون الأوروبيون على الدولة التَّيْمُورية في الهِند اسم دولة المُغُول على اعتبار أن نسب بَابُر يمتد من ناحية أمه إلى جنكيزخان وأن نصف دمائه مغولية وأنه حظى بمساعدتهم أثناء فتوحاته.،انظر،

Edward G. Browne, A Litrary History Of Persia,vol.3, Cambridge, 1928, P.193

لكن بَابُر نفسه يؤكد أنه تركى من التَّيْمُوريين ولا يبدى حبا أو تقديرا للمغول، انظر بَابُر نامه،ورقة ٦ب، وما جاء في هَذَا البحث عن رأى بَابُر في المُغُول.وقد جريبلاد الهِند إطلاق لفظ المُغُول على الغزاة القادمين من ناحية الشمال الغربى وذلك إبتداءً من عصر جنكيزخان ، ولا تنصرف هَذهِ التسمية على أى معنى دال على الجنس، إنما قصد بها الغازى القوى، ومن هنا كان إطلاقها على أسرة بَابُر، انظر،أحْمد محمود الساداتى،ظهير الدين محمد بَابُر مؤسس الدولة المُغُولية في الهِندستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٤، ص ٨٠، نقلا محمد حيدر دوغلات، تاريخ رشيدى، ص٨٨-٩٢.

- التَّيْمُورِيُون فِي«ما وراء النَّهْر» و«خُراسان».
والصَّفَوِيُون فِي إيران والعراق.
والعُثْمَانِيُون فِي الأناضول والروملى والبَلْقان.
والمَمَالِيك فِي الشام ومصر والحجاز.

وَرِثَ بَابُر نِزَاعَ التَّيْمُورِيين فِي «ما وراء النَّهْر» فيما بينهم مِن ناحية، ونِزَاعَهُم مع الشيبانيين مِن ناحيةأخرى. وفِي ذات الوقتِ ، كانت الدولةُ الصفويةُ الناهضةُ فِي الغربِ تَضَعُ أُسُسَ عَظَمَتِها المُقْبِلَة على حِسَابِ التَّيْمُورِيين، وفِي الجنوبِ كان السُلْطَان التَّيْمُورِي حُسَيْن مِيرْزا بَايْقَرا يحكم قويًا فى «هَرَاة»، ويَعْمَل على بَعْثِ أمجادِ «خُراسان» [1].

كَمَا تَعَاظَمَ أمرُ مُحَمَّد شيباق خان الأُزبكي، واستطاع أن يرسِي دَعَائِمَ دولةٍ قويةٍ ، هي دولةُ الأُزْبَك التى لَعِبَت دَوْرًا مهمًا فِي تاريخ آسيا الوسطى و تاريخ إيران لمدةِ قَرْنٍ بأكمله . وكانت «سَمَرْقَنْد» هي الهدفُ الطبيعي لشَيْبَاني خان.

وقَدْ شَهِدَت المنطقةُ حروبًا مُتَّصِلَةً بين التَّيْمُورِيين والأُزبك الشيبانيين فِي زَمَنِ شَيْبَاق خان، بِهَدَفِ السيادةِ على وَسَطِ آسيا. واسْتَطَاعَ شَيْبَاق خان أنْ يَنْتَزِعَ «هَرَاة» مِن السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا بَايْقَرا، وسعى لانتزاع «سَمَرْقَنْد» مِن يَدِ بَابُر.

كان التَّيْمُورِيون وعلى رأسِهِم بَابُر يَسْعُون لِطَلَبِ المساعدةِ مِن المُغُول، وهم فِي الوقت نفسه أخواله؛ لأَنَّه يَرَى أَنَّ الأُزْبَك يمثلون خطرًا على المُغُول والأتراكِ على حدِّ سواء [2]، لكن هَذهِ الحروب انتهت بهزيمةِ أَمَامَ شَيْبَاق خان فِي سَرْبُل سنة ٩٠٦هـ =١٥٠٠م، وضَيَاعِ «فَرْغَانَه» و«سَمَرْقَنْد» مِنْهُ ومِنَ البَيْتِ التَّيْمُورِي [3].

كانَت أَبْرَزُ هَذهِ الحروب التي أَثَّرت علَى مَسَارِ الأحداثِ فِي «ما وراء النَّهْر»

---

(١) انظر، فامبرى، تاريخ بُخَارا، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٧.
(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٨٨ب وما بعدها.
(٣) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٨٨أ-ب.

و«خُراسان»، حَرْبُ السُلْطَان سليم الأول العُثْمَاني ، مع الشاه اسماعيل الصَّفَوِي ، والتي انتصر فيها العثمانيون ومُنِي فيها الشاه اسماعيل بهزيمة قاسية فِي چالديران سنة ٩٢٠ هـ = ١٥١٤م. بَيْنَما دارت فِي تُركِسْتَان حروب الأُزْبَك مع الصفويين مِن ناحية ومع التَّيْمُورِيين مِن ناحيةٍ أخرى، هَذهِ الحروب شَكَّلَت مَسَارَ التَّحَرُّكَاتِ السِّيَاسِيَّةِ للصَفَوِيّين والتَّيْمُورِيّين فِي وَقْتٍ وَاحِد.

أَرَادَ الشاه اسماعيل الصفوي أَنْ يُمَهِّدَ لِحَرْبِهِ مع السُلْطَان سليم بِتَأْمِين جَبْهَتِه الشَّرْقِيَّةِ لِيَتَفَرَّغ لمواجَهَةِ العُثْمَانِيِّين ناحِيَة الغرب(١) ، فَتحارَبَ مَعَ شَيْبَاق خان، حاكم الأُزْبَك سنة ٩١٦هـ =١٥١٠ م، وسعى فِي الوقت نفسه لكسب مودة بَابُر، فأرسل رسولا إلى بَابُر سنة ١٥١١م، ومعه البيجوم خانزاده شقيقة بَابُر التي وقعت فِي يدِ شَيْبَاق خان أثنا استيلائه على «سَمَرْقَنْد» سنة ٩٠٦هـ = ١٥٠٠م، وقد أعادها الشاه اسماعيل الصفوي إلى بَابُر ومعها كل متاعها وأموالها وخدمها في موكبٍ يليق بها، وكان لهذا التصرف أثره الطيب فِي نفسِ بَابُر. وخرج بَابُر لاستقبالها أثناء وجودِه فِي «قُنْدُز»، وسَعِد جدا بالمعاملة التي لقيتها عِنْدَ الشاه(٢) .

فِي الوَقْتِ نفسه، أدرك بَابُر عدم قدرته على التصدي بمفرده للأوزبك بعد أن استولوا علَى «هَرَاة»، وانْتَزَعُوها مِن يَدِ السُلْطَان حُسَيْن بَايْقرا أقْوَى الحُكَّامِ التَّيْمُورِيّين فِي ذَلِكَ الوقت. لذا سَعَى بَابُر لإيجَاد حَلِيفٍ قَوِيّ له ضِدَّ الأُزْبَك، فَوَجَدَه ممثلا فِي الشاه اسماعيل الصفوي. وعِنْدَمَا انتصر الشاه علَى شَيْبَاق خان فِي «مَرْو» سنة ٩١٦ هـ = ١٥١٠م، ودَخَلَ «هَرَاة»(٣) ، أَرْسَلَ بَابُر رسُولًا إِلَيه فِي «هَرَاة» مُحَمَّلًا بالهدايا القَيِّمَة، ليهنئَهُ بالنصر، وَيعرب له

(1) Fernand Grenard,Bâbur,Orhan yüksek tercümesi, s. 106.

(٢) انظر ، بَابُرنامه، ورقة ٩أ.

(3) Fernand Grenard, a.g.e.,s.97.

عن رغبته فِي إقامة علاقات طيبة معه، ويَسْأله العَوْن والمساعدة[١]، والتحالف ضِد الأُزبَك عَدُوهُما المُشْتَرَك[٢].

وَقد أحْسَنَ الشاه استقبال هَذَا الرسول وَوَعَدَه بتقديم المُسَاعَدَة[٣]. وبِهَذَا التَّحَالُف اسْتَرَد بَابُر «بُخَارا»، و «سَمَرْقَنْد»، و «تاشْكَنْد»، و «فَرْغَانَه» وغيرها مِن الأقاليم مِن يَدِ الأُزْبَك، وجَلَس على عرش التَّيْمُورِيين فِي «سَمَرْقَنْد» للمرة الثالثة سنة ٩١٧هـ = ١٥١١م، قبْل أنْ يَنْتَزِعُها الأُزْبَك مِنْهُ نهائيا[٤].

وجَدِيرٌ بالذِّكْرِ، أَنَّ تفاصيلَ علاقاتِ التعاونِ بين التَّيْمُورِيِّين والصفوِيِّين فِي هَذِهِ المرحلة، تَقَعُ ضِمْنَ الأَجْزَاءِ المَفْقُودَةِ مِنْ كِتَابِ بَابُر، لكن ما تذكره المراجع التاريخية الفارسية تفيد أن بَابُر اتَّبَعَ سِيَاسَةَ الوِفَاقِ مَعَ الشاه اسماعيل الصفوي للتحالُفِ مَعَهُ ضِدَّ الأُزْبَك[٥]، فِي الوقت نفسه أراد الشاه اسماعيل أَنْ يستفيد مِنْ نُفُوذِ هَذَا الأميرِ التَّيْمُورِي بَابُر، بِأَمَلِ أَنْ يَبْسط نُفُوذَهُ عَلَى مِنْطَقَةِ تُرْكِسْتَان.

كان تَفَاوُضِ بَابُر مع الشاه اسماعيل الصفوي لِمُسَانَدَتِهِ عَسْكَريا أمرًا صعبًا ؛ لأن بابر سُنِّيا. وكان قبول الشاه يتطلب أن يقوم بَابُر بسك عملة باسم الشاه الصفوي الشيعي[٦]، وأن

---

(١) انظر، محمد حيدر دوغلات، تاريخ رشيدى، طبع هارفارد١٩٩٦، ص٢٠٧.

(2) Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2,s.15

(٣) منوجهر بارسادوست، شاه إسماعيل اوّل بادشاهى با اثرهاى دير باى در ايران وايرانى، جاب اول ١٣٧٥، ص٣٣٠.

(٤) انظر، Gülbeden, Hümayunnâme, farçadan Çeviren Abdürrab Yelgar,Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara 1987,s.

(٥) منوجهر بارسادوست، ص ٣٣١.

(٦) يضم المتحف البريطانى عملة تحمل إسم بَابُر بهادر تحيط به أسماء أئمة الشيعة الإثنى عشر، وعلى الوجه الأخر عبارة لاإله إلا الله على ولى الله. انظر، Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2, s.2/15

تقام الصلاة أيضا باسم أئمة الشيعة. واضطر بَابُر إلى قبول هَذهِ الشروط؛ لأن «سَمَرْقَنْد» كانت تستحق [١]. وفي سبيلِ استردادهِا، اضطر إلى اعتناق المذهب الشيعي لفترة رغم خروجه في هَذا على مذهب أتراك تُركِسْتان، وهم مِن أهل السنة [٢].

أمَرَ بَابُر بقراءة الخُطبة باسم الشاه اسماعيل الصفوي حسب المراسم الشيعية. كما سَكَّ عُمْلَةً مِن الفِضَة تحمل على أحَدِ وَجْهَيْها عبارة «لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، علي وليُّ الله»، وعلى الوجه الآخر اسم السُلْطَان بَابُر بهادر، ولم يبين عَلَيْها تاريخ أو مكان السَّك. وله عُمْلَة أخرى تحمل على أحَدِ وَجْهَيْها أسماء الأئمة الاثنا عشر للشيعة، وليس عَلَيْها تاريخ أو مكان سكها.

والجدير بالملاحظة أن العملتين لا تحملان اسم الشاه اسماعيل الصفوي [٣]. كما اضطر إلى أن يجعل جنده يلبسون غطاء رأس القِزِلْبَاش [٤]، وذَلِكَ ليبرهن على مساندته وتبعيته أحيانا للشاه إسماعيل الصفوي [٥] رغم اعتقاد بَابُر أن عقيدة أهل الشيعة عقيدة فاسدة [٦]، بما يجعلنا نرجح أنه كان تكتيكا سياسيا مِن جانب بَابُر لِيَسْتفيد مِن مساندة الشاه اسماعيل له.

حَمَل بَابُر و القِزِلْبَاش، على « بُخَارا » و«سَمَرْقَنْد»، وأخذهما مِن ولاتها الشيبانيين [عُبيد خان حاكم «بُخَارا»، وتيمور سُلْطَان حاكم «سَمَرْقَنْد» وأصبح بَابُر المتصرف فيهما [٧]. لكن هزيمة الشاه أمام السُلْطَان سليم الأول سنة ٩٢٠هـ = ١٥١٤م، بَدَّدَتْ آمال بَابُر في تُركِسْتان،

---

(1) Le Livre De BABUR , Memoires du premier Grand Mogol des Indes,presente et traduit du turc tchagatay par JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT, paris1985. p.17-18.

(2) Anıl Çeçen, a.g.e.,s.238.

(3) Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi Özeti,s.103

(4) M.F.Köprülü,a.g.e., c.2, s.181/1.

(5) Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2,7,s.15.

(٦) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٦٨ب.

(٧) منوجهر بارسادوست، ص ٣٣١.

خاصة بعد ضياع «هَرَاة» و«سَمَرْقَنْد» و«بُخَارا» وانتقالَهُم مرة أخرى إلى يد الأُزْبَك، فولّى بَابُر وجهه شطرَ الجنوب ناحية «الهِنْد» وكان يتوق أن يفتحها(١). ومع ذَلِكَ ظل على علاقة طيبة بالصفويين مِن أبناء الشاه اسماعيل؛ إذ كان يتبادل الرسل مع الأمير طهماسب ابن الشاه اسماعيل فِي فارس ويسعد لانتصاره على الأُزْبَك(٢).

ولم تكن علاقة بَابُر بالعثمانيين بمثل ما كانت عَلَيْهِ مع الصفويين، والسبب فِي ذَلِكَ هو تعرض بَابُر لخطر شَيْبَاق خان الأُزبكي الذي قضى على دولة التَّيْمُوريين فِي «ما وراء النَّهْر»، وفِي الوقتِ نفسه كان العثمانيون يَعْمَلون على تدعيم الأُزْبَك فِي موقفِهم العدائي مِن الصفويين(٣).

وقد عاصر بَابُر مِن العثمانيين سلاطين ثلاثة؛ أولهُم: السُلْطَان بايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ = ١٤٨١-١٥١٢م)، وكان مشغولا بنزاعه مِن أخيه الأمير جَمْ وما يجري فِي الشمال الأفريقى والتحالف الأوربى الصليبى ضد الدولة العثمانية.

والثاني: هو السُلْطَان سليم الأول (٩١٨-٩٢٧هـ =١٥١٢- ١٥٢٠م)، وكان مشغولا بالحرب مع الصفويين لوقف الدعاية الشيعية فِي الأناضول(٤)، والحرب مع الدولة

---

(١) انظر، Gülbeden,a.g.e.,s.123.

(٢) انظر، بَابُر نامه ورقة ٣٤٧أ.

(٣) ونرى أن السبب فِي هَذَا الدعم أن الأُزبك كالعثمانيين كانوا من أهل السنة وكانوا يمثلون القوة المؤهلة فِي ما وراء النَّهر للتصدي للشاه إسماعيل الصفوي العدو المشترك لَهُما. وكان سليم الأول يتبادل الرسائل مع عبيد خان الأزبك أثناء صراع سليم مع الشاه اسماعيل الصفوي عدو العثمانيين والأزبك المشترك، فيصف سليم الأول عبيد خان الأزبك بأنه (باسط الأمن والأمان، ناشر العدل والإحسان) كما يصف عبيد خان الأزبك سليم الأول بأنه(المظفر، كهف الغزاة والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين قامع الفجرة والملحدين) أنظر، وانظر أيضا، عبد الحسين نوائى، شاه إسماعيل صفوى، ص١١٥-١٢٧. ولعل هَذَا التعاون بين الأزبك والعثمانيين هو الذى دفع بَابُر إلى التعاون مع الشاه اسماعيل الصفوي ليحمى دولته الناشئة من خطر الأزبك.

(٤) جدير بالذكر هنا أن سليم الأول كان حريصا على الاحتفاظ بعلاقة طيبة مع الأمراء التَّيْمُوريين باعتبارهم من الأتراك أهل السنة، و يقول منجم باشى إن بديع الزمان ميرزا، إبن حسين بَايْقَرا سلطان هراة، بعد ضياع هراة و قتل الأُزبك أكثر أخوته، هرب خوفا على حياته من الأزبك ولجأ إلى الشاه اسماعيل الصفوي،وكان موجودا لدى الشاه اسماعيل الصفوي أثناء موقعة جالديران التي دارت بين الشاه اسماعيل وسليم الأول سنة ١٥١٤م، وعندما انهزم الشاه اسماعيل حضر بديع الزمان ميرزا عند سليم، فبالغ فِي إكرامه وطيب قلبه بالمواعيد الجميلة، فحمله معه إلى الروم وظل هُناك حتى توفي ودفن بقرب إبى أيوب الأنصارى، انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٦٥ب، ٢٦٦أ، وانظر أيضا، عبد الحسين نوائى، المرجع السابق، ص ٣٦٧.

المملوكيـة فِي مصر مِن ناحية أخرى.

والثالث: هو السُلْطان سُلَيْمان القانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ = ١٥٢٠- ١٥٦٦م)، الذي ورث الدولة بجبهتين شيعية وأوروبية صليبية استنفذتا عصره الذهبي فِي قتال دائم، ورغم هَذَا، مدَّ يَد العونِ لبَابُر فِي تحركه لفتح «الهِنْد»، فأمده بفرقةٍ مِن المدفعين العثمانيين بقيادة مصطفى بك الرومي، مَكَّنت بَابُر مِن الانتصار عَلَى ابراهيم اللودهي فِي پاني پَت سنة ١٥٢٧ [١]. كما كان بَابُر يرسلُ الهدايا والنذور إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة وهما فِي حوزة العثمانيين [٢].

بَابُر نامه

كتاب بَابُر المعروف باسم «بَابُرنامه» كتبه بَابُر فِي العقد الثالث مِن القرن السادس عشر الميلادي باللغة التركية فِي لهجتها الچغَتائِيَّة. سجل بَابُر فِي كتابه هَذَا جهوده وجهاده فِي سبيل تأسيس دولته، والحروب التي خاضها ضد أقاربه والأزبك فِي سبيل الحفاظ على ما تبقى مِن الدولة التَّيْمُورِية فِي بلاد «ما وراء النَّهْر» و«خُراسان» قبل أن ينتزعها الأُزْبَك، ثُمَّ انتصاره على اللودهيين، ونجاحه فِي الحفاظ على ما تبقى مِن سُلْطان الدولة التَّيْمُورِية ليكتب لها عُمرًا جديدا فِي بلاد «الهِنْد».

تَخَلَّلَ هَذَا التسجيل، وصف تاريخي وحضاري وجغرافي للمدن الهامة التي رآها أثناء فتوحاته، وانطوت تحت لواء دولته؛ وهي «فَرْغَانه»، و«كَابُل»، و«بُخَارا»، و«غَزْنَة»، و«سَمَرْقَنْد»، و«الهِنْد».

كَتَبَ بَابُر كتابه هَذَا فِي السنواتِ الأخيرةِ مِن عمره، بعد أن تجاوَز المِحَنَ التي خاضها

---

(١) انظـر، بَابُـر نامـه ورقـة ٣٢١ب عبـد الحسين نـوائى، المرجـع السـابق، ص ٣٨٠ وأيـضا Yılmaz Öztuna, a.g.e,s.151.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٢٩٤أ.

طوال حياته. وفيه يظهر بَابُر شاعرا وسياسيا وفيلسوفا فذا ممتازًا بين فلاسفة العصر الوسيط[١].

ولهذا الكتاب أسماء عدة اشتهر بها؛ هي وقايع، وقايع نامه، واقعات بَابُرى، وقايع نامه بادشاهي، بَابُريه، وأطلق على ترجمتها الفارسية اسم توزك بَابُرى، لكن أشهرها جميعا هو اسم بَابُر نامه[٢].

بدأ بَابُر تدوين تاريخه هَذَا وهو فِي الوقتِ ذاته سيرته الذاتية، بدون تقديمٍ أو تمهيدٍ بِذِكْرِ جلوسه على عرش «فَرْغَانَه» وهو فِي الثانيةِ عشر مِن عمره، واستمر فِي تسجيلِ الأحداث التي مرت به حَتَّى قبيل وفاته بعام واحد. أي: مِن عام ٨٩٩ هـ = ١٤٩٤م، إلى عام ٩٣٦هـ = ١٥٢٩م. باستثناء بعض السنوات التي لم تصل إلينا، وتشمل أربع فترات هي:

- مِن صَفَر ٩٠٩هـ = يوليو ١٥٠٣م إلى ذى الحجة ٩١٠هـ = مايو ١٥٠٤م.
- مِن صَفَر ٩١٥هـ = مايو ١٥٠٩م إلى ٥ محرم ٩٢٥هـ = ٢يناير١٥١٩م.
- مِن ٢٥ محرم ٩٢٧هـ = ١٣ديسمبر١٥٢٠م إلى ٦ صَفَر٩٣٢هـ= ١٧أكتوبر١٥٢٥م باستثناء عدة أَيَّام مِن عام ١٥٢١م.
- مِن محرم ٩٣٦هـ = سبتمبر ١٥٢٩م إلى٩٣٧هـ = ١٥٣٠م[٣].

وقد دَوَّن بَابُر وقائع تاريخه هَذَا على شكل الحوليات، فذكَر الوقائع تبعا لسنوات جريانها، وهي الطريقة التقليدية المتبعة فِي تدوينِ الوقائع فِي الأدبِ الإسلامي فِي عصره. وإن كانت الأجزاء الأولى مِن كتابه هَذَا أكثر حيوية فِي التسجيل، وأكثر مَيْلًا إلى التفسير مِن الأجزاء الأخيرة مِنْهُ والتي جاءت أشبه باليوميات.

---

(١) فامبرى، نفس المرجع، ص ٢٨٦.

(2) Ömer Faruk Akün,.Babur nâme Maddesi,I.A.T.D.V.,c.4.,s.404/2.

(٣) انظر، بَابُر نامه ورقة ١١٩ب، ١٢٠أ، ٢١٦أ-ب، ٢٥١أ-ب، ٣٨٢أ، وأيضا Ömer Faruk Akün,s.40

القيمة التاريخية لبَابُر نامه

كَتَبَ بَابُرهذا التاريخ بعد فتح الهند ٩٣٣ هـ= ١٥٢٧م، وبعد أن تجاوز المحن التي خاضها طوال حياته، فتضمن الكتابُ خلاصةَ فِكرِه ورؤيتِه وتفسيرِه وتحليلِه لوقائعٍ وأحداثٍ عاشها وعاصرها، بعد أن صار بإمكانِه فهمها وتفسير مغزاها، والكتابُ يعبِّر عن ثقافةِ بَابُر وفكرِه وخُلقِه، ويحمل الكثيرَ مِن سماتِه الإنسانية.

ويعتبر كتاب بَابُر نامه مصدرا أساسا فِي معرفةِ التاريخِ السياسي والاجتماعي والحضاري لمنطقة وسط آسيا فِي مطلع القرن السادس عشر، ذَلِكَ لأن بَابُر أحاط بكل ما يدور حوله، وَوَصَف كل ما يُحِيط به مِن عادات أهله، والنظم السياسية والإدارية والعَسْكَرية، والأوضاع والاجتماعية والأعراف والنظم السائدة فِي عَصْرِه.

هَذَا فضلا عن معلوماتِه عن الجغرافيا والمناخ والحيوان والنبات وخصائص كل مِنْها، رغم أننا لا نستطيع أن نحدد على وجهِ الدقة المصادر التي استقى مِنْها بَابُر الأوصاف الجغرافية الدقيقة التي تضمنتها وقائعه[1].

وقَد حدَّثَنَا بَابُر أكثر مِن مرة عــــن أعرافِ الأتراك والمُغولفي دواوينِالحكمِ والمجالـــس، ومآدبهـــم، وعنـــد الخـــروجِ للقتال[2]، وأزيائهم[3]،وأخلاقهـــم[4]،

---

(1) Le Livre De BABUR,.p.21.

(٢) مثال ذلك وصفه استعداد الجيش المُغولى عند الخروج للقتال، انظر،بَابُرنامه، ورقة ١٠٠أ-ب.

(٣) فِي وصف ملابس المُغول.انظر، بَابُر نامه ورقة١٠٣أ.

(٤) مِن هَذهِ الأخلاق التي شاعت بين الترك والمُغول فِي ذلك الوقت وأشار إليها بَابُر أكثر من مرة، هي الثأر ممن اعتدى أو أساء إليهم ويقول بَابُر فِي ذلك:كانت بيشكينت أثناء ذلك فِي يد عبد المنان بن المولى حيدر. وكان للمولى ابن آخر أصغر مِن هَذَا اسمه مؤمن،عديم الاكتراث لا ترجى مِنْهُ فائدة، وقد زارنى أثناء وجودى فِي سَمَرْقَنْد وأبديت له رعاية فائقة. ولا أعرف إن كان نويان كوكَلْداش قد أساء معاملته فِي سَمَرْقَنْد أم لا، فملأته هَذهِ المعاملة غير اللائقة بغضا. وعندما علمنا بعودة مهاجمى الأزبك أرسَلنا رجلا إلى الخان ثم غادرنا بيشكينت وأقمنا لمدة ثلاثة أو أربعة أيَّام فِي قرى آهنكران.ودعا مؤمن ابن المولى حيدر، نويان كوكَلْداش وأحمد قاسم وآخرين إلى وليمة طعام بناء على تعارفهما السابق فِي سَمَرْقَنْد. وكانوا فِي بيشكينت عِنْدَمَا غادرتها. وأقام لَهُم مؤمِن هَذهِ المأدبة على حافة جرف هاو. ونزلنا نَحْنُ بإحدى قرى آهنكران اسمها سام سيرك. وفي الصباح علمنا بوفاة نويان كوكَلْداش على أثر سقوطه من شفا الجرف الهاو وهو ثمل. وذهب خاك نزارخال نويان وعدة أشخاص للبحث عن جثمانه حيث سقط. وعثروا على جثته ودفنوها فِي بيشكينت ورجعوا. وقد عثروا على جثته أسفل المكان الذى أقيمت فيه المأدبة، والذى يرتفع عن الأرض بمقدار رمية سهم. وجال بخاطر البعض أن مؤمن لم ينسَ ثأره مُنْذُ أيَّام سَمَرْقَنْد، وأنه فعل هَذَا بنويان عمدا، ولا أحد يعرف حقيقة الأمر أنظر، بَابُر نامه ورقة ١٩٨أ-ب.

وكيف يتداوون[1]، وماذا يأكلون.

وعرفنا مِن عاداتِ الأتراك فِي تلك الفترة، أن ألَذّ ما يأكلون هو الشِّواء مِن لحمِ الخيل، وألذ الفواكه البطيخ والعنب. كما عرض بابُر للآدابِ المرعيةِ عِنْدَ اللقاءِ والتحيةِ والهدايا وأعلاها ما يتكون مِن تِسْعِ وِحْدات، فأعظم مراتب التحيَّة الانحناء تِسْع مرات، وأعظم الهدايا تسع هدايا.

كما وصف آدابَ الطَّعام ومجالسِ اللهو، وأزياءِ عصره، وطريقةِ لف العمامةِ، وأنواعَ الرياضاتِ التي يمارسها النَّاس آنذاك وأهمها الصيد، والمصارعة، وسباق الخيل، ومبارزة السيف، والسباحة، وكلها رياضاتٌ وثيقةُ الصلةِ بطبيعة حياتهم القِتالية فِي هَذهِ البيئة الجغرافية الصعبة.

فقدَّم لنا بَابُر صورة لا مغالاة فيها للأحوال الاجتماعيةِ والأخلاقيةِ والحضاريةِ التي كانت تسود بلاد «ما وراء النَّهْر» فِي أخرياتِ عهد الدولة التَّيمُورِية هُنَاكَ.

ونَتبين مِن الكتابِ أن التَّيمُوريين عرفوا تنظيمَ الجيوش، وكان تنظيمها عبارة عن صفوفِ اليمينِ والشمالِ والقلبِ والمُقَدّمَة[2]، وعرفوا ما يسمى الآن بحربِ الاستِنْزاف[3]، وتكتيكِ

(١) يصف لنا بَابُر بعض أساليب العلاج المتبعة بين المُغُول فِي ذلك الوقت فيقول: أرسلَ لى الخان جرّاحه المُغُولى واسمه "اتكه بخش" للعناية بجرحى. والمُغُول يطلقون على الجراح الماهر اسم بخش. وكم كان جراحا حاذقا. فكان يداوى مخ الإنسان وإن خرج من موضعه. ويضع دواءً يشبه المرهم فوق بعض الجروح، كما يصف لبعضها الآخر دواء يؤكل. وقد أمر بحرق المبضع للجرح الذى فِي ساق ولم يضع الفتيل. كما أطعمنى ذات مرة شيئا يشبه الجذر. وقد حكوا عنه إنه ذات مرة انكسرت عظمة دقيقة فِي ساق احدهم، وتمزق مكانها تماما بمقدار أربعة أصابع وصار مهترئا. فشق اللحم وأخرج العظام تماما، ووضع مكانها دواءً على هيئة التراب، فقام هَذا الدواء مقام العظام. وقالوا أشياء كثيرة بهذه الغرابة وكلها تثير العجب. وقد عجز الجراحون فِي الولاية عن القيام بمثل هَذهِ العلاجات. أنظر، بَابُر نامه، ورقة ١٠٨ب- ١٠٩أ.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٨٩أ.

(٣) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٧١أ ـ ب.

القِتَال، والالتفافِ مِن خلفِ العدو، والكر والفر بِشَكْلٍ مفاجئ[١].

ويمكن الاستفادة أيضا مِن هَذَا الكتاب فِي فهمِ التاريخِ الاجتماعي وتقاليدِ الشعوبِ فِي زمنِ كتابتِه.

فمن العادات التي ذَكَرَها بَابُر فِي كتابِهِ أن المقاتلَ التركي عِنْدَمَا يرغب فِي الاستسلامِ علَّقَ السيفَ وكنانة السهام فِي رقبته[٢]، ويذهب إلى عدوِّه بهذا الشكل، أما عِنْدَ الأَفْغَان، فإن المقاتلَ عِنْدَمَا يعجز عن مقاومةِ خصمه يذهبُ إليه واضعا العشبَ بين أسنانِه ويقول لخصمه: أنا ثور لك، وهي مِن العاداتِ الغريبةِ التي شاهدها بَابُر فِي بلادِ الأَفْغَان[٣]. أما فِي «الهِنْد» فهندما يشعر الهِنْدي بضعفِ موقفِه ووقوعِه فِي الأسرِ لا محالة، فإنهم يقتلون بعضهم بعضا وبأيديهم.

ولا يُوجَد في كلِّ كتبِ الأدبِ التركيةِ والفارسيةِ على السواء كتابٌ مثل بَابُر نامه يحوي مثل هَذهِ الأخبار الغزيرة[٤] التي تضمنها كتابه هَذَا فيما يتعلق بتاريخِ «الهِنْد» وبلاد «ما وراء النَّهْر» فِي نهايةِ حكمِ الدولةِ التَّيْمُورِية هُنَاكَ.

والكتابُ بهذه الكيفية يصلح لأن يكون ميدانا لعددٍ مِن الدراساتِ التاريخيةِ والحضاريةِ فيما يتعلق بالأتراكِ والمُغُولِ وشِبْهِ القارةِ الهِنْدية وبلادِ «ما وراء النَّهْر».

كما يعتبرُ تاريخ بَابُر أحدَ المصادرِ الأساسيةِ لسيرةِ شَيْبَاق خان الأُزبكي، وتسجيلِ سَعْيه لانتزاعِ بلاد «ما وراء النَّهْر» مِن يد التَّيْمُورِيين وفِي الوقتِ نفسه يضع أيدينا على الأَسْبَاب

---

(١) يقول بَابُر فِي وصف مثل هَذهِ الخطط القِتَالية كانت حركة الالتفاف مهارة كبيرة يمتاز بها الأُزبك فِي معاركهم، فلا تكون الحرب عندهم أبدا بغير التفاف، ومن خطط الحرب أيضا عندهم أن يطلق كل الأمراء والجنود الذين في المُقَدَّمَةِ والمؤخرة السهام دفعة واحدة، ثُمَّ يرجعوا مدبرين بسرعة ثُمَّ يعودوا فينقضوا مرة أخرى دفعة واحدة. انظر ، بَابُر نامه،ورقة ١٩٠أ.

(٢) انظر، بَابُرنامه ورقة٣١ب.

(٣) انظر، بَابُر نامه ورقة١٤٧أ.

(٤) انظر، فامبرى، نفس المرجع، ص٢٨٧.

التي أطاحت بمُلْكِ التَّيْمُورِيين هُنَاكَ، وما كان يدور بينهم مِن نزاعاتٍ وشتاتِ أمرهم بصورةٍ أعجزتهم عن المحافظةِ على دولةِ آبائِهِم التَّيْمُورِيين.

ومما يزيدُ مِن أهميةِ بَابُر نامه، هَذهِ التراجم التي كتبها بَابُر لعدد مِن الشخصيات التاريخية الهامة التي عرفها، مثل ترجمة والده الشَّيْخ عُمَر مِيرْزا، والسُّلْطَان محمود مِيرْزا، وابنه السُّلْطَان بايْسُنْغُر مِيرزا، والسُّلْطَان أحْمَد مِيرْزا، والسُّلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا وعصره، ومير على شير نوائي.

فأحاط بنَسَبِ كل واحد منهم ومولده، وشكله وشمائله، وأخلاقه وأطواره، ومعاركه وولايته، وأولاده ونسائه، وجواريه وأمرائه.

وتَتَميَّزُ مِن بين هَذهِ التراجم ترجمته للسُّلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا وعصره قبل أن يستولى عَلَيْهَا الشيبانيون الأُزْبَك، فقد رَسَمَ لنا صورةً تنبض بالحياءِ تعبر عن المكانةِ الرفيعةِ التي بلغَتْها «هَرَاة» فِي ذَلِكَ الوقت، وثرائها برِجَالات الأدب والعلم والفن.

كذَلِكَ حَرص بَابُر فِي تاريخِه هَذَا على وصفِ المدنِ الهامةِ التي رآها وعاش فيها أثناءَ فتوحاته، وحَرص على وصفِ موقعها، وجِبَالها ووديانها ومناخِها، وما بها مِن أنهارٍ وأوديةٍ وقلاع، ومحاصيل وثمار ونبات، وحيوان وطير، وخصائص أهلها، وعاداتهم، وبعض المظاهر الحضارية التي شاهدها فِي تلك المناطق.

لهذا كله يُعتبر كتابُ بابُر بَابُر نامه أثرًا فريدًا فِي اللُّغَةِ التركيةِ الجَغْتائيَّة فيما يتعلق بتاريخ «فارس» و«الهِنْد»[1]. كما يعتبر مصدرا أساسيا فِي معرفةِ التاريخ الاجتماعي والحضاري لمنطقة وسط آسيا فِي مطلع القرنِ السادسِ عشر.

(1) Edward G. Browne,ibid, p.453,454

منهج بابُر في الكتابة

قد تَدْفع كتابةُ السِّيْرةِ الذاتية، صاحبَها أحيانا للمبالغةِ والزهو؛ لأنها ستكون حديثا عن النفسِ والزهوّ بها وإعلاء لقيمتها، ولكن إذا كان صاحبُها معتدلا، وكان الصدقُ دَيدَنه فستكون سيرته الذاتية أكثر انطباقا على حياته؛ لأنها - فِي هَذهِ الحالة - لن تكون مجالَ تخمينٍ أو افتراض، لكنها ستكون - بالضرورة - مجالَ تحقيقٍ وتثبت.

وهُناكَ بعضُ الشخصياتِ المؤثرة فِي التاريخ، تنهضُ لكتابة مذكراتها، فتميلُ أحيانا إلى عدمِ الالتزامِ الدقيقِ بالحقائقِ تبريرا لأخطائها أو دَرْءً للمسؤولية، أو تأكيدا لنجاحها، ومِن ثَمَّ الإساءة إلى أعدائها أو غير ذَلِكَ مِن مظاهرِ عدمِ الالتزام بالحقائق. وفِي هَذهِ الحالة، تضعف الثقةُ فِي قيمتِها المرجعية، وأحيانا لافتقارها إلى الصدقِ والواقعية، وتكون بذَلِكَ أقرب إلى كونها رسالة للدفاعِ عن النفس.

أما كتاب بَابُر، فيتميز - كما يرى الكثير مِن المؤرخين المشتغلين ببَابُر وتاريخ آسيا الوسطى- بالصدقِ الكامل، والموضوعيةِ والحياد، وتصويرِ الوقائع حسبما جَرَت دون إغفالٍ لأوجهِ النقص، أو التقصير، أو الإهمال، أو غير ذَلِكَ مِن مظاهر الضعفِ الإنساني، مما جعل بَابُر يبدو فيها بطلا إنسانيا وليس بطلا أسطوريا[١].

وقد وَصَفَ بَابُر كتابه هَذَا فِي أكثرِ مِن مَوْضِع بأنه تاريخ، ووصفه أيضا بأنه وقائع، وذكر أن الهدف مِن هَذهِ الوقائع هو ذكر الحقائق.

وإذا قُورِنَت مذكرات بَابُر هَذهِ بما كتبه المؤرخون الذين عاشوا نفس الفترة، وشهدوا نفس الأحداث، نرى أن بَابُر قد أَحْسَنَ عرض جهوده، كما أنه لم يتعمد إخفاء أي تصرف قد يسيء إليه، ولم يغيّر فِي الوقائعِ التي سجَّلَها لكي يبالغ فِي نجاحِه[٢]، فالموضوعية التي دون بها

---

(1) M.F.Köprülü,a.g.e.,s.184..

(٢) هَذَا ما يذهب إليه كاتب مقدمة المجمع التاريخى التركى فِي تقديمه لترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغة التركية الحديثة وإن كان لنا تحفظ طفيف فِي هَذَا الشأن سنذكره فِي حينه،انظر، Hikmet Bayur, Vekayi, Tarihi Özeti s.7.

بَابُر وقائعه لها دلالة حضارية، وهذه الموضوعية هي ما تفتقده الكتابات التاريخية لتلك الفترة[١].

وسَبَبُ اهتمامِ بَابُر بكتابةِ هَذَا التاريخ ترجِع بالدرجةِ الأولى إلى أنَّه كان جزءً مِن الوقائع التي سجَّلَها، كما كان وثيقَ الصلةِ بأطرافِ هَذِهِ الوقائع، فضلا عن ثقافته الوَاسِعَة، والتي يمكن مِن خلالِها أن يَضَعَ ما هو ضروري وهام مِن الأحداثِ فِي إطارِهِ الصحيح، وهذه الثقافة مكَّنَتْهُ مِن إبداءِ الرأي، والتعليق على بعض ما جاء به.

وقد تناولَ بَابُر بصدقٍ وواقعيةٍ ملامحَ حياتِه الخاصة، وحياتِه السياسيةِ والعَسْكَرِيةِ والفكريةِ والأدبية، كما تناول بنفسِ الصدقِ والواقعيةِ حظ هَذِهِ الحياة مِن النقصِ والكمالِ والإخفاقِ والنجاح، ولم يخجل مِن شرحِ أَسْبَاب هزائِمِه وأخطائِه ونقاطِ ضعفه. وقد شرح كل هَذَا بهدوءٍ وبِشَكْلٍ طبيعي، وتِكِلَّم عن ذاتِه باعتبارِهِ إنسانًا فِي المقامِ الأول وليس بطلا أو مؤسس دولة.

التزم بَابُر بالصدقِ والموضوعيةِ فيما كَتَب مِن وقائع[٢]، وهما اثنتان مِن السماتِ التي يجب أن يَتَحَلَّى بها كلُّ مَن يَتَصَدَّى لكتابةِ التاريخ. وقد التزم بَابُر بهذا الجانب مِن منهجِه بسببِ إدراكِه للقيمة التاريخية لما يُسَجِّله مِن وقائع وَصَفَها بأنها تاريخ[٣]، فلم يُخْفِ شيئا يمكن أن يُؤخَذُ عَلَيْهِ، كما لم يَعْمَل على اختلاقِ بطولاتٍ وأعمالٍ لَيْسَت له مِن بابِ الزُّهو والفَخْر.

وإذا قُورِنَت مذكراته بما كتبه المؤرخون المعاصرون له، نجد أن بَابُر، لم يغيِّر فِي ذكرِ الوقائع بالتهويل أو التهوين، سواء بالنسبة لنفسه، أو لمن وَرَدَ ذكرهم مِن شخصياتٍ تاريخيةٍ عاصرَها وتعامل معها[٤].

---

(1)Le Livre De BABUR,p.21

(٢) عبر بابر عن هَذَا بقوله: إن الهدف مما ذكرت - من وقائع - ليس قذف الآخرين بالحجارة، بل ذكر الواقع بحالته. كما لا أهدف من وراء هَذَا الإعلاء من شأني، وإنما ذكر الحقيقة. بَابُر نامه، ص ٨٩أ. ويقول أيضا:إنني ملتزم بذكر حقيقة كل كلمة وكل واقعة كما حدثت: بَابُر، بَابُر نامه ورقة ٢٠١أ.

(٣) انظر، بَابُر، بَابُر نامه، ورقة٢٧أ، ورقة ٥٠ب.

(4) Hikmet Bayur, Vekayi, Tarihi Özeti ،s,7.

وتبدو هَذِهِ الموضوعية أيضا فِي تعريفِهِ بعددٍ كبيرٍ مِن الشخصيات التي وَرَدَ ذِكرها فِي كتابِه، ولا تحول رابطة دمٍ أو رحمٍ بينه وبين الحقيقة، سواء كانت هَذِهِ الحقيقة مزية أو نقيصة[1].

ورغم هَذَا الصدقِ والواقعيةِ التي اتصف بها بَابُر، إلا أن للنفسِ الإنسانيةِ ضعفها، فنرى أن بَابُر قد حَجَبَ جانبا مِن بعضِ الوقائعِ التي تتعلق بشَيْبَاق خان والتي وَرَدَت فِي مصادرِ تاريخيةٍ أخرى معاصرة له بشيء مِن التفصيل.

كما تَمَيَّزَ منهجُ بَابُر بالحرصِ على ربطِ النتائِجِ بالأَسْبَاب، فهو لا يُدَوِّن الوقائع فحسب، إنما يُعَبِّر عن فِكْرِهِ الخاص تجاهها[2]. ومرجع هَذَا أن بَابُر كان جزءً أساسيا فِي هَذِهِ الوقائع وليس مجردِ راوٍ أو مسجلٍ لها. وكان بَابُر بهذه الرؤية - كما نرى - متميزا بهذا المنهج الموضوعى.

وهذه الرؤية التي استخدمها بَابُر تتدخل فيها عوامل إيمانية وعَقَائِديه تُمثِّل لديه إطارا لتفسيرِ الأحداث. وهذه العوامل الإيمانية تعبر عن جانب بارز فِي شخصيةِ بَابُر، وهذا ما يشير إليه دائما فِي مواضعِ النصر، فنراه يفسر الانتصارات فِي مواقف كَثِيرَة بأن مرجعها توفيق الله وقدرته، أو حسْن طالِعِه. أما فِي مواضعِ الإخفاقِ فيرجعها دائما إلى أَسْبَاب موضوعية، مثل الإهمالِ الناتجِ عن عدم التجربة[3]، أو قطعِ الرأي على عجلٍ وبدون إمعانِ فِكر، خاصة فِي وقتِ

---

(١) انظر بَابُر نامه ورقة ٢٠١أ و أيضا ما ذكره بَابُر عن بعض أقاربه مثل محمود ميرزا، ولم يمنعه عداؤه لشَيْبَاق خان عن إبداء إعجابه بمهارته القِتَالية وتحركاته العسكرية.

(٢) مثال ذلك ما كتبه بَابُر عن اختلافه عن ين محمود الغزنوى وشهاب الدين الغورى اللذين سبقاه لفتح الهِنْد فيتناول أوجه الاختلاف بينه وبينها قائلا:إن ما قمت به يختلف عما قام به هذين ين، ذلك لأنه عِنْدَمَا استولى محمود الغزنوى على بلاد الهِنْد، كان عرشه فِي خُراسان، وسلاطين خوارزم خاضعون له، كما بسط جناحه أيضا على سلطان سَمَرْقَنْد. وكان جنده يزيدون على المائة ألف.كما يشير أيضا إلى انقسام الهِنْد لعدد من الإمارات كل منها يخضع لأمير مستقل، ثُمَّ أن شهاب الدين الغورى، جاء إلى الهِنْد بمائة وعشرين ألف فارس كذلك كانت الهِنْد لا تخضع لسلطان واحد وكان خُراسان فِي يد أخيه الأكبر غياث الدين الغورى. أنظر، بَابُر نامه، ورقة ٢٦٩أ- ب.

(٣) بَابُر نامه، ورقة ١١١أ.

الحرب، أو عدم توخي الدقة والتروي في اتخاذ القرارات[١].

وتكشف بَابُر نامه عن تنوعِ ثقافةِ بَابُر وثرائها؛ فقد كان مُلِما إلماما جيدا بتاريخِ المنطقةِ التي يتحرك فيها وتاريخ آبائه وأجداده التَّيْمُورِيين وتاريخ الفاتحين السابقين له الذِين تحركوا فِي الرقعةِ التي تحرك فيها، مثل: السُلْطَان محمود الغزنوي[٢] والسُلْطَان شهاب الدين الغوري[٣]، وهما مِن بين الأُمَرَاء الأتراك الذين سبقوه لفتح «الهِنْد».

كذَلِكَ كما أنه امتلك ثقافة إسلامية وفقهية وَاسِعَة لعبت دورا كبيرا فِي تحديدِ أولوياتِ اهتماماتِهِ عِنْدَ فتحِه البلدان وإدارتها، وبالتَّالِي يَسْتَطِيع - فِي إطارِ هَذهِ الثقافة - أن يضع لها تَصَوُّرا عمليا ناجحًا[٤].

وتمثل السمةُ الثالثةِ لمنهجِ بَابُر فِي الاهتمامِ بدقائقِ وتفاصيلِ ما يُحِيط به مِن أحداثٍ ومظاهرٍ حضارية، ولكل مِن هَذهِ العناصر صلة قوية بفهمِ وتفسيرِ أحداث التاريخ، وهذا الاهتمام الدقيق مِن جانب بَابُر، بكل ما يدور حوله ويشاهده مرجعه بمعرفته الجيدة بالتاريخ، هَذهِ المعرفة التي تتجلى واضحة فِي كتابهِ بَابُر نامه، فضلا عن فهمه العميق للأحداث التي عرض لها[٥].

---

(١) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٦٤أ.

(٢) محمود الغزنوى، هو محمود بن سبكتكين والملقب بيمين الدولة وأمين الملة، واحد من أكبر رِجَالات الإسلام، وجه غزواته نحو الهِنْد فهبط على وديانها خمس عشرة أو سبع عشرة مره فِي الفترة بين٣٩١-٤١٧هـ (١٠٠١-١٠٢٦م).وعرف باسم فاتح الهِنْد. لأنه أول من استطاع أن يقيم فيها حكما إسلاميا.وتوفي سنة ٤٢١هـ= ١٠٣٠م.انظر، أَحْمَد السعيد سُلَيْمان، تاريخ الأسر الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

(٣) شهاب الدين الغورى، مؤسس دولة الغوريين فِي الهِنْد. فقداستطاع أن يدخل الهِنْد ويستولى على لاهور من يد الغزنويين سنة ٥٨٢هـ= ١١٨٦م، ولم يطل حكم الغوريين هناك أذ سرعان ما انتهى حكمهم بعد ما يناهز عقدين من الزمان. انظر، عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فِي الهِنْد، ط ٣،القاهرة ١٩٩٠ ص ٩٨ما بعدها.

(٤) فِي هَذَا انظررسالة بَابُر إلى عامله على كَابُل، بَابُر نامه،ورقة ٣٥٩أ وما بعدها.

(٥) تأكيدا لهذا الاهتمام، انظر ما كتبه بَابُر عن سيرة جده يونس خان، انظر، بَابُر نامه ورقة٩أ وما بعدها، وما كتبه عند من تاريخ سَمَرْقَنْد، انظر، بَابُر نامه ورقة٤٤ب وما بعدها.

وهذا الوَلَعُ بالتفاصيلِ دَفَعَه إلى العنايةِ بوصفِ ما يراه وصفا دقيقا. فيذكر مثلا ترتيب الجَيْش عِنْدَ الخروجِ إلى القِتال، ثُمَّ يذكر أسماءَ القادةِ فِي كل جناحٍ مِن أجنحتِه[1]، ولا يفوته أن يَذْكُر أبْرَز ما قام به أي واحد منهم مِن أعمالٍ أثناءَ القِتَال[2]،وكيف قُتل أحدهم أثناءَ المَعْرَكَة[3].

والأمرُ المثيرُ للدهشة، أن بَابُر بدأ فِي تسجيلِ وقائِعِه هَذهِ بعد عام ١٥٢٧م، وكانت بدايةُ كتابتِه للأحداث تبدأ مِن عامِ توليه عرشَ «فَرْغَانَه» أي عام ١٤٩٤م، ومعنى هَذَا أنه سجَّلَها بعدَ حدوثِها بأكثرِ مِن ثلاثين عام، ومع هَذَا ذَكَر تفاصيل دقيقة - قَلَّت أمْ كَثُرَت أهميتها- وكأنها حَدَثَت توًّا.

كما التزم أيضا بتقديمِ وصفٍ تفصيلي لجغرافيةِ المنطقةِ التي تحرك فيها، وما فيها مِن جِبَال وأنهارٍ وسهولٍ ووديان، ولهذه العناصر صلة قوية بِفَهْمِ وتفسيرِ تحركات بَابُر، فالجغرافيا هي ساحةُ التاريخ[4].

والتزم بَابُر بتدوينِ كل ما يراه أو يتناهى إلى سمعه[5]، وهذا ما جَعَلَ كتابه غنيًّا بشتى أنواع المعلومات الشخصية والعامة، وفِي موضوعاتٍ متفرقه.

وهذه الرغبةُ فِي تدوينِ كل ما يراه أو يسمعه، كانت تَدْفَعُه أحيانا إلى تركِ الموضوعِ الأساسي الذي يسجله، ليذكر موضوعات فرعية، وقد ينتقل مِن هَذهِ الفرعياتِ إلى موضوعاتٍ

---

(١) مثال ذلك، انظر بَابُر نامه،ورقة ٢٠٩ب وما بعدها.

(٢) مثال ذلك أن بَابُر لا يفوته وهو يصف معركته مع تَنْبَل حول أنديجان أن يذكر أسماء من أجادوا فِي استخدام السيف، بَابُر نامه ص١٧٠أ، وأن آخرين أبلوا بلاء حسنا، أو صمدوا فِي مواجهة العدو، أنظر بَابُر نامه ورقة١٩٣أ-ب.

(٣) أنظر ما قاله حول موت أحد رِجَاله، بَابُر نامه ورقة ٦٥ب.

(٤) مثال ذلك، انظر وصف بَابُر لجغرافية فَرْغَانَه، بَابُر نامه،ورقة ١ب وا بعدها.

(٥) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٢٩٣أ.

أخرى تتفرعُ عنها، ثُمَّ يستأنف الحديث فى الموضوع الأساسي[1]. ويحرص على أن يسجل فورا كل ما يتذكره أو يعرفه[2].

ولا تفسير لهذا - فِي تصورنا - سوى حرص بَابُر على وصف كل ما تقع عَلَيْهِ عيناه وما يعرفه أو يجول بخاطره.

وقد استخدم بَابُر فِي كتابةِ وقائع كتابه أسلوبا، يعتمد على سردِ الوقائعِ بتفاصيلها، ووصفِ ما يستحق الوصف مِن مشاهدات أو معاركٍ وَصْفا دقيقا دون محسناتٍ لفظيةٍ أو بلاغيةٍ قد تَطْغَى على المعنى، أو تستأثر باهتمامِ القارئ، وهو بهذه البساطة الأسلوبية يبدو متميزا على كُتَّابِ التاريخ والوقائعِ فِي عصرِهِ؛ فإذا قارنا ما كتبَهُ بَابُـر فِي وصفِهِ لفتح «الهِنْـد»، بما كتبه المؤرخ العثماني خوجه سعد الدين[3] فِي القرنِ السابع عشر، وهو يصفُ فتح استانبول فِي عهدِ السُّلْطَان مُحَمَّد الفاتح، لأَدْرَكْنَا الفارقَ الكبير بين الأسلوبين، وما تميز

---

(١) مثال ذلك، عِنْدَمَا كان بَابُر يتحدث عن قراره الذهاب إلى خاله محمود خان فِي تاشكند، بعد أن تمكن من الخروج من سَمَرْقَنْد بِصُعُوبَةٍ وتركها لشَيْبَاق خان، يذكر أنه أثناء سيره نزل بولاية مسيخا. وهنا يقطع الحديث عن الموضوع الأساس ليصف هَذِهِ الولاية وأهلها وما بها من أغنام وخيل، ثُمَّ يحدثنا عن كبير هَذِهِ القرية ثُمَّ يحدثنا عن أم هَذَا الرجل التي تجاوزت الواحد والعشرين بعد المائة وأحفادها ويسترسل فِي التفاصيل فيقول أن أحد أحفاد أحفاد هَذِهِ المرأة العجوز، كان ذو لحية حالكة السواد. ثُمَّ يعود مرة أخرى لِيَستأنف الموضوع الأساسى الذى كان يتحدث عنه. وهذا الاسترسال فِي التفاصيل إنما يدلل على رغبة بَابُر فِي تدوين كل ما تقع عليه عيناه أو يرد بخاطره مهما قل شأنه أو قلت أهميته، انظر، بَابُر نامه، ورقة ٩٧أ.

(٢) كثيرا ما قطع بَابُرتسجيله لأحد المواقف الصعبة التي اعترضته ليصف لنا نوع من البطيخ، ثُمَّ يستأنف ما انقطع من تسجيل مثال ذلك يحدثنا بَابُر عن ضرورة إصرار المرء على بلوغ الهدف ثُمَّ توجهه إلى خاله الخان لصلب العون، وتحركه لاقتحام قلعة نسوخ إحدى قلاع خوجند، وفجأة يقول: وفي المساء وضعنا السلالم (على جدران القلعة) وشرعنا فِي الهجوم. وكان الوقت أوان البطيخ. وينمو فِي نسوخ نوع من البطيخ اسمه بطيخ إسماعيل شيخى. قشرته صفراء، وقليل البذر. وهو نوع ممتاز. وبذره يشبه بذر التفاح. وله قشرة سميكة بمقدار أربعة أصابع. وطعمه لذيذ جدا. ولا يوجد بطيخ مثله فِي تلك الأنحاء ثُمَّ يستأنف حديثه بنفس الاهتمام ويقول وفي صباح اليوم التالى أثار أمراء المُغول مسألة قلة عدد رِجَالنا، بما لا يكفي لتحقيق الاستيلاء على القلعة.انظر بَابُر نامه ورقة ٥٦أ وهنا نلاحظ النقلة فِي حديثه عن الشروع فِي الهجوم، ويتلوه فورا الحديث عن البطيخ.

(٣) خوجه سعد الدين، هو المؤرخ العثمانى سعد الدين صاحب المصنف المعروف باسم تاج التواريخ، وهذا الكتاب المشار إليه يتضمن تاريخ الدولة العثمانية مُنْذُ نشأتها إلى وفاة سليم. انظر، خوجه سعد الدين، تارج التواريخ، استانبول ١٢٧٩هـ. ومما هو جدير بالذكر أن خوجه سعد الدين من كبار المؤرخين العثمانيين ومن أشهرهم، وجاء بعد بَابُر بحوالى قرن من الزمان، ومع ذلك يبدو أسلوب بَابُر أكثر بساطة ووضوحا وعبارته أكثر جمالا.

به بَابُر نامه مِن حيث بساطة التعبيرِ، وجمالِ العبارة[1].

واختص مَنْهَج بَابُر بمزيةٍ تجعله مختلفا عن معظم كتابِ التاريخ المعاصرين له، وهي تناوله موضوع كتابه بِشَكْلٍ مباشر دون تمهيد، فبدأ كتابهُ بالحديثِ عن توليه عرش «فَرْغَانَه»، دون كتابة أيةِ مقدمات[2]. وهو بهذا يختلف عن كثيرٍ مِن المؤرخين المسلمين الذين دَرَجُوا على التمهيدِ لِكُتُبِهِم بِذِكْر تاريخ البشرية مُنْذُ آدم - عَلَيْهِ السلام- مرورا بتواريخ الأنبياءِ والرسلِ حَتَّى يصل إلى الفترةِ التي يود الكتابة عنها، مثلما فعل جنابي فِي تاريخِهِ المعروف باسم العَيْلَم الزاخر فِي أخبارِ الأوائلِ والأواخر، وغياث الدين خواندمير فِي كتابهِ حبيب السِّيْر فِي أخبارِ أفرادِ البَشَر[3].

كما يختلف بَابُر فِي منهجِهِ الزمنى عن بعض المؤرخين المسلمين الذين أرخوا لدولة واحدة، مثلما فعل سعد الدين فِي كتابِهِ تاج التواريخ؛ فقد أَرَّخَ مُنْذُ قيامِ الدولةِ العثمانية حَتَّى زمن السُلْطَان سُلَيْمان القانوني، أو كما فعل المؤرخ المصري ابن أبي السرور البكري الذي كان يبدأ تواريخه دائما مِن بدايةِ الخليقة كالمؤرخين التقليديين[4].

ولم يستغرق بَابُر فِي ذِكْرِ وقائِعِه، أو تدوين سيرتِهِ كما هي فقط، إنما عَرَضَ لنا عرضا

---

(١) يصف الدكتور حسين مجيب المصرى أسلوب سعد الدين بقوله:وهذا المؤرخ يحبس عنايته على تزويق العبارة، ويستعرض تمكنه من ناصية اللُغة، وتفقهه فِي أساليبها. انظر، حسين مجيب المصرى،تاريخ الأدب التركى، ط١، دار الفكرة، القاهرة ١٩٥٠، ص٢٨٦.

(٢) بدأ بَابُر تسجيل وقائعه بقوله: اعتليت عرش السَّلْطَنَة فِي ولاية «فَرْغَانَه» فِي يَومِ الثلاثاء الخامس من رمضان من عام ثمانمائة وتسع وتسعين وأنا فِي الثانية عشر من عمرى،. انظر، بَابُر نامه، ص ١ب.

(٣) انظر، حربى أمين سُلَيْمان،المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فِي كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص٥٠، ٥٦.

(٤) ابن إبى السرور البكرى مؤرخ مصر ى عاش فِي النصف الأول من القرن السابع عشر(١٥٩٦-١٦٥٠م)، صاحب المصنف المعروف باسم الكواكب السائرة فِي أخبار مصر القاهرة. انظر، ليلى عبد اللطيف أحْمَد، دراسات فِي تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى، القاهرة ١٩٧٩، ص١٣١.

شاملا لمجريات الأحداث فِي منطقتِه، خاصة تلك التي تتعلق بالبيت التَّيْمُورِي.

وهذه الأحداث كتبها بَابُر ولم يغفل إبداء رأيه فيها بما يعبر عن فلسفةِ التاريخ عنده ورؤيته التاريخية. فقد عاصر بَابُر انحسارَ سلطةِ التَّيْمُورِيين عن بلاد «ما وراء النَّهر» و«خُراسان» وضياع ملكهم هُنَاكَ وانتقاله إلى يدِ الأُزْبَك، لهذا حرص أن يُفسر هَذهِ الوقائع بذكرِ أَسْبَابها، وربط بينها وبين انهيارِ الدولة التَّيْمُورِية.

مِن هَذهِ الأَسْبَاب:

١) انهيارُ الجانبِ الأخلاقي لدى الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين فِي أواخرِ عهدهم[١].

٢) شتات أمر التَّيْمُورِين وعدم توحدهم أمام الأُزْبَك[٢].

٣) تفشي المظالم فِي بلاطِ بعض الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين مما عَجّل بانهيارٍ فِي بعضِ الولايات[٣].

---

(١) ويقول بَابُر فِي وصفة للحياة الأخلاقية عند الأمراء التَّيْمُورِيين فِي أخريات أَيَّام الدولة التَّيْمُورِية: أطلق هؤلاء الأمراء العنان لشهواتهم ومتعتهم، فلم يردعهم اقتراب سلطان عاقل ومجرب مثل والدهم، إلى مَسَافَة نصف يوم منهم، أو دخول شهر عزيز مبارك كشهر رمضان، من الانغماس فِي الخمر والمتعة واللهو بغير حياء من والدهم أو خوف من الله. وبلا شك فإن رِجَال هَذَا دأبهم لابد وأن تحل بهم هزيمة كهذه، وأن تنزل بكل من على شاكلتهم انظر بَابُر نامه، ورقة ١٤١ب.

(٢) يصف بَابُر تخلى الأمراء التَّيْمُورِيين عن مساعدته أثناء محاصرة الأُزبك له فِي سَمَرْقَنْد عاصمة التَّيْمُورِيين العريقة بقوله: أرْسَلْنا السفراء والرِجَال مرارا إلى الأطراف والجوار دون جدوى، فلم نتلق من أحدهم مساعدة أو عونا. فأولئك الذين امتنعوا عن مساعدتنا فِي أوقات الرخاء والقوة، كيف لَهُم أن يساعدوننا فِي هَذَا الوقت العصيب ... ونحن ننتظر العون والمساعدة من الأطراف والجوار، بَيْنَما كل واحد منهم فِي وادٍ،أما حسين ميرزا (بَايْقرا) وهو سلطان مجرب، فلم يأت أحد من عنده قط، رغم أنه خير من يعرف أفعال وأطوار شَيْبَاق خان،... بل لم يرسل لنا سفيرا ليشد من أزرنا وهى مساعدة معنوية، كذلك لم يأت أحد من عند بديع الزمان ميرزا انظر بَابُرنامه، ورقة ٨٨أ،٩٤أ.

(٣) يقول بَابُر فِي هَذَا : أن حكم محمود ميرزا فِي سَمَرْقَنْد لم يستمر طويلا من جرّاء ظلمه وفساده. فاختل ميزان العدالة مما عجل بزوال حكمه. انظر بَابُر نامه، ورقة٢٣ب -٢٤أ.

٤) تنازع الأُمَرَاءُ التَّيْمُورِيين فيما بينهم (١).

٥) عدم معرفة السلاطين التَّيْمُورِيين، أو خانات المُغُول بما يقوم به بعض أمرائهم مِن أفعالٍ تُذهب بهيبة واحترام السلاطين والخانات (٢).

٦) إرجاع كل الأمور إلى الله بعد ذكره الأَسْبَاب (٣).

ترجمة بَابُر نامه
إلى اللغات الشرقية والأوروبية

تُرجِمَت بَابُر نامه إلى الإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والفارسية، والأوردية، وإلى التركيةِ الحديثة عن التركيةِ الجِغَتائِيَّة، وإلى الروسية، والألمانية، والأسبانية. وأقدمُ هَذهِ الترجمات هي الترجمةُ الفارسية.

أولا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغَة الفَارِسِيَّة:

١) أقدمُ الترجمات إلى الفارسية هي الترجمة الموجودة فِي المكتبةِ الوطنية فِي طهران تحت

---

(١) يعبر بَابُر عن رؤيته أن بعض صغائر الأمور قد تثير الخلافات بين أمراء الأسرة الحاكمة الواحدة إلى الحد الذين يصرفهم من التصدي للخطر الحقيقى الذى يتربص بهم الذى يتمثل فِي الأعداء الغرباء، كما حدث بينه وبـين أبناء حسين بَايْقرا. ويقول فِي هَذَا الصدد بقوله: إن النزاع يذهب بالأسر العريقة انظر، بَابُر نامه، ورقة، ٢٠٨أ.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٨١أ.

(٣) اهتمام بَابُر بالنظر فِي الأسباب لا يحول دون تعبيره عن يقينه بأن الأمر كله، وزوال المُلك والقوة بيد الله. ويفسر ما أَلَمَّ ببعض رِجَال التَّيْمُورِيين الأشداء وانكسارهم أمامه وهو فِي الموقف الضعيف، تفسيرا إيمانيا ويردد الآيةالقرآنية ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير﴾(سورة آل عمران الآية رقم ٢٦). يقول بَابُر: إن الله لقوى قدير. فهذا الرجل (خُسْرو شاه) كان له من الأتباع حوالى عشرين أو ثلاثين ألفا وكانت له السيادة الكاملة على ولايات محمود ميرزا، وكانت فظاظة رِجَاله تدفعنا للارتحال مِن مكان إلى مكان، وها هو ذا فِي يومٍ ونصف اليوم، يصبح فِي موقف ذليل وحقير وعاجز أمام مائتى أو مائتى وخمسين رجلا فقراء مهزومين مثلنا انظر، بَابُر نامه، ورقة ١٢٤أ-ب.

رقم (٦٧١) ضمن كليات بَابُر، ومدون عَلَيْهَا ما يفيد أن ترجمتها تَمَّت أثناء حياةِ بَابُر. وهذه الترجمةُ تكرر طبعها الآن باللُّغَة الفَارِسِيَّة، وهي الأساس للترجمات التي تمت إلى اللغات الأوروبية[١].

٢) الترجمةُ الفارسية التي قام بها پَايَنْدَه حَسَن الغزنوي، ومُحَمَّد قولي مغول الحصاري بأمر مِن بهروز خان وبدأت ترجمتها سنة ١٥٨٦م.

٣) الترجمةُ الفارسية التي قام بها عبد الرحيم خان بن بايرام خان سنة ١٥٩٠م بأمر أكبر شاه حفيد بَابُر والتي يُعتقد أنها ترجمةٌ طبق الأصلِ لنسخةِ حيدر آباد التي نشرتها السَيّدة بفريدج بعد ذَلِكَ[٢]. وهذه الترجمةُ مُزوَّدَة بِمُنَمْنَمَات فِي بعض أجزائها وطُبعت فِي بمباي سنة١٨٩٠ م = ١٣٠٨هـ باسم بَابُر نامه موسوم به توزك بَابُرى وفتوحات بَابُري. وهي الترجمة التي اعتمد عَلَيْهَا وليم ارسكين وجوهان ليدن فِي ترجمتها للنص إلى اللُّغَة الإنجليزية سنة ١٨٢٦م[٣].

وهذه الترجمة الفارسية الأخيرة التي تمت فِي عهدِ أكبر خان[4]، وهي الترجمة التي اطلعْتُ عَلَيْهَا وحسبما تبين لي بَعْدَ النظر فيها أنها لَيْسَت مطابقة تماما للنص الجغتائي الأصلي فِي بعضِ أجزائها. مثال ذَلِكَ: قول بَابُر عِنْدَمَا حاصر السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا «قُنْدُز»[٥]، فقد جاءَتْ فِي

---

(1) Reşit RahmetiArat,(Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur, türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946.)'de,s.141.

(٢) انظر، Fernand Grenard ,s.205

(3) Ömer Faruk Akün, s.407.

(٤) انظر، بَابُر نامه موسوم به توزك بَابُرى وفتوحات بَابُرى، وهي نسخة عن الترجمة التي تمت فِي عهد أكبر شاه تم نسخها سنة ١٣٠٨هـ وتملكها ميرزا محمد شيرازي، المكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم ١٢٢٥٠.

(٥) بَابُر نامه ورقة ١٢٩أ.

الترجمةِ الفارسية: وعندما أمعن السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا القتل في قندز[1]. كما أغْفَلَت الترجمةُ الفارسية أيضا ترجمة الأوراق مِن (١١٨/ب) إلى مطلعِ الورقة (١٢٠/أ) مِن النصِّ الأصلي، وهي الأوراقُ التي تتضمن أداء بَابُر للصلاة، ورؤيته للشيخ عبيد الله في المنامِ يبشره بالنصر، وقراره الذهاب إلى «خُراسان»[2].

ثانيا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغَة الأوردية:

تُرجمت بَابُر نامه إلى الأوردية ثلاث ترجمات:

الترجمة الأولى: وقام بها مِيرْزا ناصِر الدين وصدرت في دلهي سنة ١٩٢٤م.

الترجمة الثانية: قام بها رشيد أخطر الندوى وصدرت في «لاهور» عام ١٩٦٩م باسم توزك بَابُري[3].

الترجمة الثالثة، وقام بها أحد أحفاد بَابُر ويدعى حَسَن بِك بن ميرزا محمود سنة ٢٠٠٠م صدرت في طبعةٍ أنيقةٍ مِن القطع الكبير مزودة بالصورِ الملونة .

ثالثا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغَة الإنجليزية:

تُرجِمَتْ بَابُر نامه إلى اللُّغَة الإنجليزية ترجمتان:

الترجمةُ الأولى: هي الترجمة التي قام بها كل مِن: و. ارسكين وجوهان ليدن، وصدرت في لندن عام ١٨٢٨م، وهي ترجمة عن الترجمة الفارسية التي قام بها عبد الرحيم خان سنة ١٥٩٠م. وأعادت اكسفورد نشر هَذِهِ الترجمة مع تعليقات سنة١٩٢١م، قام بها سير لوكاس كنج. كما صدر مختصر لهذه الترجمة قام بإعداده كالدكوت وصدر في لندن عام ١٨٤٤م.

---

(١) انظر، بَابُر نامه، موسوم به توزك بَابُرى، ص ١٩.

(٢) انظر، بَابُر نامه، موسوم به توزك بَابُرى، ص ٤٥.

(3) Ömer Faruk Akün,a.g.e.,s.407, 408.

الترجمةُ الثانية: كانت الترجمة الثانية لبَابُر نامه إلى اللُّغَةِ الإنجليزية، عن النص الجغتائي المعروف باسم نسخة حيدر آباد[1] وليس عن الفارسية كالترجمة الأولى، وقامت بها أ. س بفريدج، وصدرت فِي لندن فِي ثلاثةِ أجزاء؛ الأول مِنْها والخاص بوقائع «فَرْغَانَه»، صدر عام ١٩١٢م، والثاني الخاص بوقائع «كَابُل» صدر سنة ١٩١٤م، ثُمَّ الجزء الثالث الخاص بوقائع «الهِنْد» وصدر عام ١٩١٧م. وصدَرت الترجمة كلها فِي جزءين فِي لندن سنة ١٩٢١م.

وقد مهدَت السَيِّدة بفريدج لهذه الترجمة بمُقَدِّمَة، وأضافَت إليها عناوين جانبية لتوضيح النص. كما حاولَت سد الفراغ الناتج عن فقد بعض أجزائها مِن مصادر أخرى للربط بين الأحداث.

وتَذكُر السَيِّدة بفريدج أن هَذهِ الترجمة تمت عن النسخة الجِغَتائِيَّة المعروفة باسم نسخة حيدر آباد، والتي سبق لها أن نشرتها نشرًا مصورا سنة ١٩٠٥م بمناسبة ذكرى المستشرق جب، وهذا النشر يتضمن فِي نهايتِهِ فهرسًا لأسماء الأعلام، وآخر لأسماء الأماكن.

ورغم هَذَا النشر ومعرفتها بالمخطوط، لم تلتزم السَيِّدة بفريدج بترجمة كل ما جاء فِي هَذهِ النسخة، حيث أغفلت فِي الجزء الخاص بوقائع «فَرْغَانَه» حوالي أربع صفحات كاملة هي

---

(١) من المعرف أن هُناك نسختان لبَابُر نامه واحدة تعرف باسم نسخة قازان، والأخرى وهى الأكمل وتعرف باسم نسخة حيدر آباد. انظر ما كتبة رشيد رحمتى ارات فِي هَذَا الصدد فِي تقديمه لنص بَابُر نامه الذى قام بنقله من الجغتائية إلى اللُّغَة التركية الحديثة،

Reşit Rahmeti Arat,a.g.e.,s.140

ويقول ستانلى لين بول إن إحدى نسخ بَابُر نامه كانت فِي حوزة حيدر دوغلات إبن عم بَابُر وهذه النسخة ربما يكون قد حصل عليها أثناء زيارته للهند فِي السنوات العشر التَّالِية لوفاة بَابُر، ونسخة أخرى تعتبر بمثابة النسخة الأصلية للنص، وربما تكون منسوخة عن النسخة الأصليةالتي كتبها بَابُر بنفسه، وهذه النسخة كتبها ابنه همايون فِي عام ١٥٥٣. وهى المعروفة باسم نسخة حيدر اباد، انظر،

Stanley Lane - poole,Rulers of India, Babar, Oxford 1899,p.14.

الصفحات مِن (١١٨/ب) إلى الفقرة الأولى مِن(١٢٠/أ) [١]. وهو نفس ما حدث فِي الترجمة الفارسية التي تمت فِي عهدِ أكبر خان عن نسخة حيدر آباد. ولعلها اعتمَدت على الترجمة عن الفارسية اعتمادا كبيرا، وليس على النص التركي مباشرة، حيث إن الترجمة الفارسية تتفق معها فِي هَذَا الحذف. ورغم هَذَا، فترجمتُها الإنجليزية تحتوي على تعليقاتٍ مهمة .

رابعا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغَة الفرنسية:

تُرجمت بَابُر نامه إلى الفرنسية ترجمتان:

الترجمةُ الأولى: وقام بها باوه دوكورتي وهي ترجمة للنص الذي اكتشفه إيلمنسكي مِن بابر نامه، ونشرَه سنة١٨٥٧م والمعروف باسم نسخة قازان [٢]. وهذه الترجمة الفرنسية، هي أولُ ترجمةٍ لبَابُر نامه عن الجِغَتائِيَّة إلى اللغاتِ الأوروبية. وصدَرت فِي باريس سنة ١٨٧١م فِي مجلدين [٣].

والترجمةُ الثانية: صدَرت فِي باريس سنة ١٩٨٥م عن النص الجغتائي لبَابُر نامه المعروف باسم نسخة حيدر آباد، وقام بها جان لويس باكي جرامون. وهذه الترجمة مِن إصداراتِ المجموعةِ الشرقية فِي المطبعةِ الوطنيةِ فِي باريس [٤].

وقد جاءت هَذِهِ الترجمة فِي مجلدٍ واحدٍ فِي طبعة فاخرة على ورق مصقول مِن القطع

---

(1) Annetta Susannah Beveridge, Babur Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text, Delhi, 1970.

وهى ترجمة السيدة بفريدج لبَابُر نامه إلى الأنجليزية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٨٢، مقارنة بالنص الجغتائي ورقة ١١٨ب.

(2) Stanley Lane - poole,Rulers of India,p.15.

(3) Ömer Faruk Akün, c.4, s.407/3.

(4)Le Livre De BABUR,Memoires du premier Grand Mogol des Indes,presente et traduit du turc tchagatay par Jean Louis BACQEÜ GRAMMONT,paris 1985.

الكبير وغلاف أنيق، كما ازدانت بمجموعة كبيرة مِن الصور الملونة المعروفة بالمنمنمات، تعبر عن مواقف مختلفة مِن حياة بابُر. وصور أخرى فوتوغرافية للمنطقة التي تدور فيها وقائع الكتاب.

ولهذه الترجمة تقديمٌ في صفحةٍ واحدةٍ كتبها الناشر، ثُمَّ مُقدِّمة للمترجم في عشرِ صفحات.

وقد وضَّح المترجم الفرنسي في المُقدِّمَة أن هَذهِ الترجمة اعتمدت على ثلاث مخطوطات:

المخطوطة الأولى: عبارة عن نسخةٍ لبابُر نامه تم نسخها في القرنِ الثامنِ عشر وموجودة في مكتبةِ حيدر آباد، وتقع في ٣٨٢ ورقة وتحتوي النص بأكمله.

المخطوطة الثانية: وهي نسخة مخطوطة مِن بابر نامه، تُعرف باسم نسخة الفنستون. والفنستون هَذا هو حاكم بومباي سنة ١٨٠٨م. وهذه النسخةُ موجودة في المكتبةِ الوطنيةِ في ادنبره باسكوتلانده، وتقع في ٢٧٢ ورقة تحت رقم (١٨ـ ٣ـ ١٨)، وبها تعليقات في الهوامشِ يرجح أنها لَهمايون بن بَابُر.

المخطوطة الثالثة: وهي مخطوطة لبَابُر نامه تُعرف باسم مخطوطة طهران مودعة في المكتبةِ الوطنيةِ بطهران. وهذه المخطوطة بها تعليقات ويتصور – المترجم الفرنسي- أنها منقولة عن النص الأصلي لبَابُرنامه، أي: قبل نسخة حيدر آباد(١).

وقد ذَيَّل المترجم الفرنسي هَذهِ الترجمة بجداولٍ تبين نَسَبَ التَّيمُوريين، وملحق بنموذج للخط البَابُري الذي ابتكره بَابُر، ثُمَّ فهارس للأشخاص والأماكن(٢).

أما عن منهجِ المترجم - حسب قوله- إنه اهتم بترجمة الأسلوب بدقة أكثر مِن اهتمامِهِ بترجمةِ اللفظ(٣)، وقد قام بوضْعِ عناوين جانبية للنص تُعِين على تتبعه، كما وضَع تعليقاتا للتعريف بالأشخاص والأماكن. واستعان بكتاباتٍ معاصرة كتبها مؤرخون معاصرون لبَابُر، ليسد بها

(1) Jean Louis BACQEU GRAMMONTp. 23

(٢) قمنا بوصف هَذهِ الطبعة الفاخرة للترجمة الفرنسية لبَابُر نامه من واقع إطلاعنا عليها.

(3) Jean Louis BACQEU GRAMMONT p.18.

الفراغ الذي نتج عن السنواتِ المفقودةِ مِن الكتاب، بغرضِ إعطاءِ فكرة متكاملة عن الأحداث[1].

خامسا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللغات الأوروبية الأخرى:

تُرجمت بَابُر نامه إلى اللُّغَةِ الألمانيـة، وصَدَرت في ليبزج عام ١٨٢٨ م، وهـذه الترجمةُ جاءت عن النص الإنجليـزي الذي قـام بها ليدن، وهـذا النص مُترَجم عن الفارسية. كما تُرجمت إلى الروسية، وصدرت الترجمة فِي«تاشْكَنْد» سنة ١٩٥٨م[2]، وتُرجمت إلى الأسبانية وصدرت عن جامعة برشلونة عام ٢٠٠٤م.

سادسا: نقل بَابُر نامه إلى اللُّغَة التركية الحديثة:

واقع الأمر، أنها لَيْسَت ترجمة بالمعنى الدقيق، لكنها نقل لنَص بَابُر نامه مِن اللُّغَةِ التركيـةِ الشرقية فِي اللهجةِ الجِغَتائِيَّة بحروفها العربية إلى اللُّغَةِ التركيةِ الحديثة بحروفها اللاتينية التي يستخدمها أتراك تركيـا اليوم، لكننا تجاوزًا سنستخدم لفظَ الترجمة. والترجمةُ التركيةِ للنص هي الترجمةُ الوحيدةُ له فِي اللُّغَةِ التركيةِ الحديثة. قام بها عن الجِغَتائِيَّة البروفيسور رشيد رحمتي ارات عن النسخة الجِغَتائِيَّة المعروفة باسم نسخة حيدر آباد التي نَشَرَتْها السَيِّدة بفريدج نشرًا مصورا سنة ١٩٠٥م، وقد صَدَرَت هَذهِ الترجمة عن المجمع التاريخي التركي فِي عامي ١٩٤٣، ١٩٤٦م فِي مجلدين برقم (٥/ أ ـ ب) مِن السلسلةِ الثانية[3].

اختص الجزءُ الأولُ مِن الترجمةِ بوقائعِ «فَرْغَانَه»، تسبِقُها مُقَدِمَة للمجمعِ التاريخي التركي، تبين أهمية ترجمة هَذَا العمل، ثُمَّ مُقَدِّمَة تاريخية عن التَّيْمُورِيين كتبها المؤرخ التركي المعروف حكمت بايور. أما الجزء الثاني مِن الكتاب فيتضمن وقائع «كَابُل»، و«الهِنْد»، ثُمَّ فهرسًا للأسماء

---

(1) Jean Louis BACQEU GRAMMONT p.15.
(2) Ömer Faruk Akün, s.407, 408.
(3) Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,Türk Tarih Kurumu Basımevi,Ankara 1943-1946.

والأماكن الواردة فِي النص، مع تعريف بها مأخوذ مِن النص نفسه، ثُمَّ تعريف بالكلمات الاصطلاحية الواردة فِي النص ومفهومها مِن خلال النص، ثُمَّ فهرسًا آخر لأبيات الشعر الواردة فِي النص، سواء التي نظمها بَابُر، أو التي استخدمها لشعراء آخرين.

أما منهج المترجم التركي، فقد التزم تماما بالنص الجغتائي، وإن لجأ أحيانا إلى تقطيع الجملة حسب الفهم التركي لسياقها. ولم يضف أية تعليقات أو حواشي على النص، بل نشره كما هو، كذَلِكَ لم يقم بوضع أية عناوين جانبية له ليخرج النص كما كتبه بَابُر دون أية محاولة للتدخل فِي سياقه أو تقريبه لفهم القارئ مِن خلال العناوين الجانبية التي توضح له انتقال بَابُر مِن نقطة إلى أخرى، أو العودة للحديث عما انصرف عنه قبل صفحات. كما لم يَعْمَل على سد الفراغ الناتج عن فقدانِ بعض أجزائها على غرارِ ما حدث فِي الترجمتين الفرنسية والإنجليزية، ولم يعقد أي نوع مِن المقارنة بين هَذهِ الترجمة وغيرها مِن الترجماتِ السابقةِ لترجمتِه فِي اللغاتِ الشرقيةِ أو الغربية.

سابعا: ترجمتنا بَابُر نامه إلى اللُّغَة العربية:

يَسَّر الله لنا القيام بترجمةِ بَابُر نامه إلى اللُّغَةِ العربية. وهو اجتهادٌ نأمل أن ينال أجر الاجتهاد. وقد اعتمدنا فِي هَذهِ الترجمة بصفةٍ أساسية على الترجمةِ التركيةِ التي أعدّها رشيد رحمتي آرات، وعلى النص الجغتائي المعروف بنسخة حيدر آباد الذي اعتَمَدَتْ عَلَيْها الترجمة التركية، واطلعنا على الترجمةِ الإنجليزيةِ التي قامت بها السَيِّدة بفريدج، وأيضا على الترجمةِ الفارسيةِ التي تمت فِي عهدِ أكبر خان، وقام بها عبد الرحيم مِيرْزا ابن بيرام خان عام ١٩٥٠م.

والْتَزَمْنَا فِي ترجمتنا هَذهِ بمنهج أساس يعتمد على ترجمةِ العبارةِ التركية، ومقارنتها بما يقابلها فِي الجَغَتائيّة والإنجليزية مع الرجوع إلى الفارسيةِ فِي مواضِعِ الاختلافِ للتأكد مِن دقةِ الترجمة. وأوضحنا ما بدا لنا مِن اختلافاتٍ فِي الحاشية، والتزمنا فِي كتابةِ الأسماءِ المشهورةِ والمعروفةِ مِنْها بالشكلِ المتعارفِ عَلَيْهِ فِي الكتاباتِ التاريخيةِ العربية، وغير المعروف كتبناه بالشكلِ الإملائي الذي وَرَدَت به فِي النصِّ الأصلي للكتابِ فِي لغتِهِ الجَغَتائِيَّة.

ولأنَّ النص الأصلي لبَابُر نامه نصٌ سردي، ينتقل فيه بَابُر مِن نقطةٍ إلى أخرى دُون تمهيد، وقد ينتقلُ مِن الموضوعِ الأصلي للحديثِ عن نقاطٍ أخرى فرعية أو تفصيلية لما ذَكَره إجمالا، لهذا فإن تَتبُّع الموضوعاتِ كما ذَكَرَها بَابُر تحتاجُ إلى تركيزٍ وإعمالِ ذهنٍ كبيرين، لهذا رأينا أنه مِن الأيسرِ للقارئ، أن نَضَع عناوينَ جانبية للنص يُسْتَرْشَدُ بها فِي فَهْمِه ، وتُبيِّنُ انتقال المؤلِف مِن نقطةٍ إلى أخرى، وهذا المنهج نفسه هو ما التزَمَتْ به الترجمةُ الإنجليزية والفرنسية للنص، لكننا لم نَلْتزِم بذات العناوين الجانبية التي جاءت فِي الترجمتين، وإن تصادف أن جاء بعضها متشابها نتيجة وحدة النص.

كما أن جميع الحواشي والتعليقات على الترجمة هي مِن جهدنا؛ حيث إن النص الأصلي جاء خَلْوًا مِنْها، وقد اعتمدنا فِي هَذِهِ التعليقات على عدد مِن المراجع المتخصصة نشير إليها فِي قائمة المراجع.

وقد تحرَّيْنَا فِي هَذِهِ الترجمة المحافظة على دقةِ العبارةِ لفظا ومعنى فِي آن واحد، ولم نحاول التدخل كثيرًا فِي سياقِ العبارةِ لشرحِ المبهمِ مِن ضمائرِها، وأشرنا إلى المقصودِ مِنْها فِي الحاشيةِ باستثناء مواضع قليلة أضفنا فيها أسماء مقصودة - ضمنًا - مِن سياقِ الحديث، ووضعناها بين قوسين، وستتضمن الترجمة فِي نهايتها - بإذن الله - فهرسًا للأشخاص والأماكن حَتَّى تتم الفائدة مِن الكتاب.

ويمكن تقسيم وقائع بَابُر نامه تبعا لأماكنِ جريانها إلى ثلاثةِ أقسامٍ هي:

١) وقائع «فَرْغَانَه» (٨٩٩: ٩٠٨هـ = ١٤٩٤: ١٥٠٣م).

٢) وقائع «كَابُل» (٩١٠: ٩٢٦هـ = ١٥٠٤: ١٥٢٠م).

٣) وقائع «الهِنْد» (٩٣٢:٩٣٥هـ = ١٥٢٥: ١٥٢٩م).

مختصر وقائع تاريخ بَابُر

وقائع فَرْغَانَه:

تشغل وقائع «فَرْغَانَه» تسعة أعوام مِن تاريخ بَابُر، وتبدأ باعتلاء بَابُر عرش «فَرْغَانَه» عام ٨٩٩هـ = ١٤٩٤م، وتنتهي بخروجه مِن بلاد «ما وراء النَّهْر» قاصدًا «خُراسان» فِي نهاية وقائع عام ٩٠٨هـ = ١٥٠٢ - ١٥٠٣م.

تتضمن وقائع هَذَا الجزء مِن بَابُر نامه، الأحداث التي مرّ بها بَابُر فِي «فَرْغَانَه» عقب اعتلائه العرش، مع ذكر تراجم وافية لوالده عُمَر شيخ مِيرْزا، وعمِّه السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا، وعمِّه السُلْطَان محمود مِيرْزا، وأعمالهُما، ونزاعه مع بايسُنغُر مِيرزا. ثُمَّ حملاته على «سَمَرْقَنْد»، وصراعه مع شَيْبَاق خان الشيباني وهزيمته أمامه.

ويتضمِن هَذَا العرض التاريخي وصفا لمدن «فَرْغَانَه»، و«سَمَرْقَنْد» و«بُخَارا» جغرافيًّا وتاريخيًّا وحضاريًّا. كما يتناول تصوير النزاعات التي كانت دائرة بين أمراء البيت التَّيْمُورِي، فهذا السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا سُلْطَان «هَرَاة» يتنازع مه ابنه بديع الزمان مِيرْزا بسبب استر آباد، وهؤلاء أبناء السُلْطَان وأمرائه يتقاتلون حول «سَمَرْقَنْد»، وهذا بَابُر يتنازع مع أمرائه حول «أَنْدِجان». بَيْنَما يتربص به - بل وبالبيت التَّيْمُورِي كله - عدوهم شَيْبَاق خان الأُزبكي.

وَجَدَ بَابُر نفسه وهو يرث ملك أبيه مضطرًّا إلى خوض الحرب ضد عمه السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا وخاله المُغُولي السُلْطَان محمود خان والتي كانا يعدان لها لوقف أطماع عُمَر شيخ مِيرْزا.

فقد كان عُمَر شيخ مِيرْزا والد بَابُر، له مطامع سياسية لتوسيع مملكته ويتحين الفرص للإغارة على أخيه الأكبر السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا فِي «سَمَرْقَنْد»، وعلى صهره محمود خان. وكان يطمع فِي «سَمَرْقَنْد» على وجه الخصوص.

فضاق أقاربُه بأطماعِه ذرعا، واتَّحدُوا ضده لوضعِ حدِّ لاعتداءاتِه. واتفق السُلْطَانان أَحْمَد مِيرْزا ومحمود خان (خال بَابُر وخان المُغُول) على التحركِ معا ضده، فِي هَذَا الوقت بالضبط

توفي عُمَر شيخ مِيرْزا في ٨٩٩هـ/ ٤ يونيه ١٤٩٤م، ليتولى بعده بَابُر[١].

تهيأ بَابُر بجُنُوده للدفاعِ عن «أَنْدِجان»، ولصعوباتٍ اعترضت السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزافي الطريق، قَرَّرَ وقْف تقدمه إليها، وعَقَدَ صُلْحا مع بَابُر، وانسحب راجعا عن «أَنْدِجان»[٢]. كذَلِكَ تراجع عنه خاله المُغُولي، فزال الخطر الذي يتهدده[٣].

بدأ بَابُر حُكْمَه بتنظيمِ الجُنْد وضبطِ الولاية، وتوزيع المناصبِ والرتبِ على أمراءِ والده الشَّيْخ عُمَر مِيرْزا ورجَالهِ؛ كلّ حسب رتبته ومكانته[٤]. وذَلِكَ وِفْقَ النظام السائد بين الأتراك آنذاك، والذي يقضي باقتسام مَن شاركوا في الغزو، الغنائم والبلدان.

هَذَا النظام لَعِبَ دورا كبيرا في توجيه تحركات بَابُر العَسْكَرية. فالتَّيْمُورِيون لم يَكُنْ لَهم حَتَّى ذَلِكَ الوقت جيش نظامي كذَلِكَ الذي كان عِنْدَ العثمانيين مثلا، وهذا ما جعلَهم دائما في حاجةٍ إلى مساندةِ الأُمَرَاء الأتراك أو المُغُول عِنْدَ كل تحرك عَسْكَرى أو خروج لقتال، وبدون هَذهِ المساندة يصبح التحرك العَسْكَري أمرا صعبا للغاية.

بعد وفاة السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا، اعتلى السُلْطَان محمود مِيرْزا عرش «سَمَرْقَنْد» خَلَفًا لأخيه الذي لم يعقب أبناء، واعتلى عرش «سَمَرْقَنْد» بلا منازع. وحاول أن يتآمر مع رِجَال بَابُر ليخلعوه، لكن هَذهِ المحاولة باءت بالفشل. ولم يستمر حكم السُلْطَان محمود مِيرْزا لسَمَرْقَنْد أكثر مِن خمسة شهور مات بعدها، بعد أن أَوْسَعَ أَهْل «سَمَرْقَنْد» ظلما وفسادا، وضاقوا ذرعا بسوء خلقه وظلمه، بل إن يوم موته كان عيدا كبيرا لأهل «سَمَرْقَنْد» على حَدِّ قَوْلِ بَابُر[٥].

وبموت عَمَّيه أَحْمَد مِيرْزا ومحمود مِيرْزا، انْقَشَعَ عن بَابُر أكبَر خَطَرٍ كان يتهدده، فاسترد

---

(1) Halis Bıyıktay, a.g.e. s.9.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ١٦ب.

(٣) انظر، بَابُرنامه، ورقة ١٧ب.

(٤) انظر، بَابُر نامه، ورقة ١٨أ.

(٥) انظر، بَابُرنامه، ورقة٢٣ب ـ ٣٠أ.

جانبا كبيرا مِن أملاك أبيه الضائعة ، واستفاد مِن المنازعات التي قامت بين أبناء عمّه السُلْطَان محمود مِيرْزا ليأخذ «سَمَرْقَنْد» أيضا. فقد ثار الخلاف بين أبناء السُلْطَان محمود مِيرْزا الثلاثة (مسعود، وبايسنغر، وعلي) حول «سَمَرْقَنْد»، وتحالف علي مِيرْزا مع بَابُر، بَيْنَما تحالف مسعود مِيرْزا مع خُسْرو شاه أحد الأُمَرَاء الكبار لدى السُلْطَان محمود مِيرْزا ، وذَلِكَ لانتزاع «سَمَرْقَنْد» مِن بايسُنْغُر مِيرزا. وحاصروها مِن ثلاث جهات، لكن لم يسفر الحصار عن شيء. وأعاد بَابُر الحصار مرة ثانية فِي العام التَّالِي ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، وفَتَحَ كل القِلاعِ والجِبَالِ والوديانِ المحيطة بسمَرقَنْد[١]، واستطاع أن يَفْتَحَها للمرةِ الأولى ويَدْخُلَها بعد هُروبِ بايسُنْغُر مِيرزا مِنْها ولجوئِهِ إلى شَيْبَاني خان يَسْتَعْدِيه على بَابُر لاسترداد «سَمَرْقَنْد»[٢].

عقَبَ فَتْحِ بَابُر لسَمَرقَنْد فِي المرةِ الأولى سنة ٩٠٣هـ= ١٤٩٧م، انفض عنه عددٌ كبيرٌ مِن رِجَاله (فقد كانت «سَمَرْقَنْد» مخربة تمامًا وتحتاج لوقت طويل حَتَّى تعمُر، فقاسى الجُنْد الضِّيق وشَظَفَ العيش، فضلا عن شعورهم بالحنين إلى أهلِهِم)[٣].

كما انفض عنه كبار أمرائه، مثل: أَحْمَد تَنْبَل الذي انضم برِجَاله إلى أوزون حسَن أحَدِ الأُمَرَاء فِي جيش بَابُر، وكان مغوليًّا مِن قبيلة والدة جهانكير مِيرْزا، شقيق بَابُر، وكان يأمل أن يكون الحكم لجهانكير مِيرْزا، لهذا انفصل عن بَابُر ومعه كل الجُنْد الذين انفضوا عنه، وتحالف معه السُلْطَان أَحْمَد تَنْبَل أيضًا، رافعا راية العصيان وبدءوا فِي محاصرةِ «أَنْدِجان» مستفيدين مِن الحالِ التي وصَلَ إليها بَابُر بعد فتح «سَمَرْقَنْد» وتفرق جنده مِن حوله.

ولما طالت فترةُ الحصار، وفي الوقتِ نفسه مَرِضَ السُلْطَان بَابُر فِي «سَمَرْقَنْد» ولم يستطع مَد يَدِ المساعدةِ لعلي دوست طاغائي وإلى «أَنْدِجان»، فِي الوقتِ المناسب، الذى سَلَّم

---

(١) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٤٠أ ـ ب.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٤٣ب.

(٣) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٥١أ.

بدورِه «أَندِجان» إلى أوزون حَسَن[1]. فضاعت مِن بابر «أَندِجان» فِي خِضَم انشغالِهِ بسَمَرقَند، كما ضاعت مِنهُ «سَمَرْقَنْد» بعد أن اعتلى عرشَها لمدةِ مائة يوم[2].

بعد ذَلِكَ، تخلى السُلْطَان علي مِيرْزا عن «سَمَرْقَنْد» ليدخلها شَيْبَاق خان ويستولى عَلَيها، وكما يقول بَابُر: إن زهرة بيكى أُم السُلْطَان علي مِيرْزا لَعِبَت دورا فِي ضياع «سَمَرْقَنْد» وانتقالها إلى يدِ الأُزْبَك، ذَلِكَ لأنها أوزبكية مثل شَيْبَاق خان، أي أن الأُزْبَك هم أهْلُها وعشيرتُها، ودفعتها الرغبة فِي الزواج مِن خان الشيبانيين إلى الاتصال به ومساومته لتسليم مدينة «سَمَرْقَنْد» له مقابل الزواج مِنْها، ولم يُسْفِر هَذَا سوى عن ضياعِ «سَمَرْقَنْد» مِن يد التَّيْمُورِيين[3].

تكررت محاولات بَابُر لاسترداد «سَمَرْقَنْد» مِن يَدِ شَيْبَاق خان؛ فقد كان هدفه الأكبر هو أن يَحُول دون سقوطها فِي يد ذَلِكَ العدو الأُزبكي الغريب بعد أن ظلت فِي حوزةِ التَّيْمُورِيين مائة وأربعين عاما[4]. واستطاع بَابُر أن يستردها مرة أخرى عام ٩٠٦هـ=١٥٠٠م رغم تخلي السلاطين والأمراء التَّيْمُورِيين والمُغُول عن تقديم المساعدة والمساندة القوية له. فسار إليه شَيْبَاق وهَزَمَه فِي سَرْبُل فِي العام نفسه.

ويبدو الأُزْبَك فِي هَذِهِ الحرب متفوقون على بَابُر فِي تكتيك القِتَال واقتحام القِلَاع، وهو ما يتضح مما ذِكْره بَابُر عن التحركاتِ الحربية لشَيْبَاق أثناء هَذِهِ المعركه وأثناء محاصرة «سَمَرْقَنْد» بعد ذَلِكَ[5].

شدد شَيْبَاق خان الحصار حول «سَمَرْقَنْد» لفترة طويلة (عانى النَّاس خلالها معاناة شديدة، وبلغ الأمر حد أن الفقراء والمساكين أكلوا لحم الكلاب والحمير، كما نفد علف الجياد

---

(١) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٥١ب ـ ٥٣ب.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٥٤أ ـ ب.

(٣) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٨٠أ ـ ب.

(٤) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٨٥أ.

(٥) انظر، بَابُرنامه ورقة ٩٠ وما بعدها.

فكانوا يقدمون لها ورق الشجر لتأكله)[١]، (وبدأ النَّاس والجند فِي مغادرة القَلْعَة والهَرَب مِنْها بعد أن استبد بهم اليأس)[٢]، واضطر بَابُر إلى قبول الصُّلح مع شَيْبَاق بعد أن قطع الأمل في وصول أي مدد أو معونة له، وغادر «سَمَرْقَنْد» تاركا إياها لشَيْبَاق خان الأُزبكي[٣].

استمر شَيْبَاق خان فِي تتبع بَابُر وهاجم شاهرُخية، ثُمَّ اتجه إلى «أوراتيبا». وعندئذ قرر بَابُر اللجوء إلى السُلْطَان محمود خان في «تاشكَنْد»، وهُنَاكَ عانى بَابُر كثيرا مِن الفقر والجور أثناء وجوده فِي «تاشكَنْد»، فلا ولاية لديه، ولا أمل فِي الحصول على ولاية، كما انفض عنه أغلبُ رِجَالِه وأعجز العوز مِن ظلوا بجانبه[٤].

بعد ذهاب بَابُر إلى «تاشكَنْد»، خرج خان المُغُول للتصدي للسُلْطَان أَحْمَد تَنْبَل عِنْدَ «أوراتيبا» ولم تسفر الحرب عن نتيجة. ثُمَّ انضم إليهما خاله الآخر السُلْطَان أَحْمَد خان، وخرجوا ثانية لمحاربة تَنْبَل عِنْدَ «أَنْدِجان» فأخذوا أوش و«أُوزْكَنْد» و«مَرْغينان» وأنديجان، وصارت كل المنطقة حول «أَنْدِجان» والقلاع والولايات تابعة لَهُم، لكن تَنْبَل أعاد عَلَيْهِم الكَرَّة ليلا، فانفض عن بَابُر رِجَاله وتفرقوا[٥].

رجع بَابُر إلى أوش، وقرر الخانان المُغُوليان أن يحتفظ السُلْطَان أَحْمَد خان لنفسه بالولايات التي فِي الطرف الجنوبي مِن نهر خجند، وعلى رأسها «أَنْدِجان» لتكون مستقرا له، ووعدا بَابُر بإعطائه الولايات التي فِي الطرف الشمالي مِن خجند، وعلى رأسها «أَخْسي». لكنهما بعد ذَلِكَ أخذا «سَمَرْقَنْد» أيضا ومعها كل الولايات التي وعداه بها، وكادت «فَرْغَانَه» كلها أن تكون للسُلْطَان أَحْمَد خان[٦].

(١) انظر، بَابُرنامه ورقة ٩٣ب.
(٢) انظر، بَابُرنامه ورقة ٩٤ب.
(٣) انظر، بَابُرنامه ورقة ١٠ب-١١أ.
(٤) انظر، بَابُرنامه ورقة ١٠١أ-ب.
(٥) انظر، بَابُرنامه ورقة ١٠٤أ-ب.
(٦) انظر، بَابُرنامه ورقة ١٠٧-١٠٨أ.

فِي ذَلِكَ الوقت، سعى أَحْمَد تَنْبَل للتحالفِ مع شَيْبَاق خان، وما أن علم الخانان بمجيئه حَتَّى لاذَ بالفرار ليجد بَابُر نفسه وحيدا يطارده رِجَال تَنْبَل ويسعون للقبض عَلَيْهِ. وعندئذ قرر بَابُر الخروج مِن «فَرْغَانَه» قاصدا «خُراسان»(١).

مختصر وقائع كَابُل:

تبدأ وقائعُ «كَابُل» فِي شهرِ المحرمِ مِن عام ٩١٠هـ / ١٥٠٢م، عِنْدَمَا غادر بَابُر ولاية «فَرْغَانَه» عاقدا العزمَ علَى الذهاب إلى «خُراسان». كان بَابُر يعاني فِي ذَلِكَ الوقت مِن الحاجة إلى المال والرِجَال، ويقاسي مِن شتات الحال، فكان عددُ مَن معه مِن الرِجَال كبيرهم وصغيرهم، يتراوح بين المائتين والثلاثمائة، تَحْدوهم الآمال الكبار. كان أكثرُهم مِن المشاة ؛ العصي فِي أيديهم، والنعال فِي أرجلَهُم، ولا يسْتُر أجسادهم سوى الوَبَر. وبلغ بهم العُسْرُ حَدَّه، فلم يَكُنْ بحوزتهم سوى خيمتين فقط.

اتجه بَابُر فِي البدايةِ إلى ولاية «حِصار» بتشجيع مِن أهلها، ورغبةَ المُغُول فِي الانضمام إليه، مما جدد الأمل فِي نفسِه أن تصبح له ولاية. وهذا الموقف مِن المُغُول شجع بَابُر إلى اتخاذ طريقه قاصدا «كَابُل»، وتمكن مِن أخذها بدون حرب أو قتال، فأخذ «كَابُل»، و«غَزْنَة» فِي أواخر شهر ربيع الأول سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٢م.

كان لدخول بَابُر «كَابُل» أثره فِي تدفقِ العَشَائِر التركية مِن «سَمَرْقَنْد»، و«قندز»، و«حِصار»- وهي المناطق التي سيطر عَلَيْهَا الأُزْبَك - إلى «كَابُل» حيث التَّيْمُورِيين، ونظرًا لضعف موارد ولاية «كَابُل» عن استيعاب الأعداد الكبيرة مِن الترك المهاجرين إليها، قرر بَابُر الخروج بجنده مِن الولاية، واستئناف حملاته، وبعد مشورة رِجَاله والعارفين بالطرقِ والدروب، استقر الرأيُ على التوجه ناحية «الهِنْد». بناء عَلَيْهِ غادر بَابُر «كَابُل» فِي شهرِ شعبان مِن العام نفسه قاصدا «الهِنْد». وهي أولى حملاته على «الهِنْد».

وسَلَكَ بَابُر دَرْب « بادام چَشْمَه » ، فوصلَ بعد مسيرةِ ستةِ منازلِ فِي اتجاهِ الشرقِ

---

(١) انظر، بَابُرنامه ورقة ١١٥أ-١٢٠أ.

مِن «كَابُل» إلى «آدينه پور»، مركز مقاطعة «نيكنهار» أكبر مُقاطَعات «لَمْغان». عبر طريق وَعْرٍ وغير آمنٍ بسببِ قُطَّاع الطرق الأَفْغَان[1]. وهي أول المَناطِق التي قصدها. وكان فَتْحُ «الهِنْد» يعنى القضاء على سلطنة «دِهْلي» أكبر سلطنة فِي شمال «الهِنْد»، وكان هَذَا يتطلب إخضاع كل المناطق التي يسكنها الأَفْغَان فِي اقليم البنجاب على الطريق مِن «كَابُل» إلى «دِهْلي». وهُنَاكَ تعرَّضَ بَابُر لهجماتِ الأَفْغَان، وقد عانَى بَابُر معاناة شديدة عِنْدَ اجتيازِ جِبَال «بنكش»، وتعدَّدَت هجماتُ الأَفْغَان الذين تحصنوا بالجِبَال فِي تلك المناطق، فأعمل بَابُر فيهم القتل، وأقام المنائر برءوس القتلى. وعند سفح جِبَال جوباره اتجه صوب الغرب إلى دَشْت، ومنها إلى نهر كومل، ثُمَّ إلى الجنوب حَتَّى بيله مِن أعمال «مُلْتان». ثُمَّ تقدم بمحازاة نهر السِّنْد نزولا إلى أسفل، ثُمَّ سيرا بمحازاة جبل مهتر سُلَيْمان، فوصل ولاية «دُكى». لَكِنَّهُ عِنْدَمَا انفصل عن نهر السِّنْد انقطع العشب والعلف، وبدأت أعداد الخيل التي معهم فِي التناقصِ مما أثر على قواته، واستمرت معاناته حَتَّى رجع إلى «غَزْنَة»، وواصل سيرة مِن «غَزْنَة» فوصل «كَابُل» فِي شهرِ ذى الحجة مِن السنة نفسها.

وعقب وفاة والدته السَيِّدة قُتْلُق نِكار خانم، قرّر بَابُر التوجهِ فِي حملةٍ إلى «قَنْدَهار» الواقعة على طريق «خُراسان» «الهِنْد»، لكنّ زِلْزَالًا قَوِيًّا ضَرَبَ «كَابُل»، فتهدَّمت أسوارُها فِي مطلعِ عام ٩١١هـ، ١٥٠٣م، ولقِيَ عددٌ مِن رِجَال بَابُر حتْفَهم تحت الأنقاض، فتَأَجَّلَت حملتُه على «قَنْدَهار» بسببِ الزلزالِ ومرضٍ أَلَمَّ به فِي تلك الأثناء.

قرر بَابُر بعد ذَلِكَ السَّيْر أولا إلى قلعة «قَلَات» فِي شرقِ «قَنْدَهار»، وأخذها مِن ذو النون أرغون أحد أمراء السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا، ثُمَّ اتجه جنوبا وأغار على الأَفْغَان قاطنى الجِبَال هُنَاكَ، ثُمَّ رجع إلى «كَابُل».

فِي هَذهِ الأثناء، كان شَيْبَاق خان الأُزبكي يواصل هجماته على ولايات التَّيْمُورِيين فِي «ما وراء النَّهْر»، واستولى على خوارزم، فاستعان السُلْطَان حُسَيْن بَايْقرا بجميع الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين

---

(١) بابر نامة ١٣٢أ.

للعمل معا على دفع هَذَا العدو الأُزبكي. وكان شَيْبَاق خان قد تمكن مِن الاستيلاء على «أَنْدِجان»، واتخذ طريقه للاستيلاء على قندز و«حِصار».

وقرر السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا التحرك ضد شَيْبَاق خان. لكنه توفى قُرْبَ «هَرَاة» فِي آواخرِ ذِي الحجة سنة ٩١١هـ /١٥٠٣م، وهو فِي الطريقِ لمحاربةِ شَيْبَاق خان، فتولى الحكم بعدَه ابناه بديع الزمان مِيرْزا، ومُظَفَّر مِيرْزا بالمشاركة فيما بينهما. ويقول بَابُر "إن هذا أمرٌ غريب فلم نسمع مِن قبل قط عن شراكةٍ فِي المُلْك" [(١)].

ويُصَوِّرُ لنا بَابُر محاولاتِ الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين لدفع الأُزْبَك، فقد حاصر شَيْبَاق خان«بَلْخ» سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٤م، كما اتجه بعضُ رِجَاله لمهاجمةِ «بَدَخْشان»، وقد نجح ناصِر مِيرْزا فِي دَفْعِ الأُزْبَك آنذاك.

لم تُثْنِ وفاة السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا بَابُر عن مواصلةِ السَّيْر مع الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين إلى «خُراسان» لمحاربةِ الأُزْبَك؛ لأنهم حَظُوا بشرفِ الانتسابِ إلى هَذهِ الأسرةِ التَّيْمُورِية، لذا قَرَّرُوا الاستمرار فِي السَّيْر إلى «خُراسان» [(٢)].

واجتمع الأُمَرَاء التَّيْمُورِيون علَى قلبِ رجلٍ واحدٍ للتصدي لشَيْبَاق خان، وقد استغرق تَجَمُّعِهِم مِن مختلفِ الولاياتِ حوالي أربعة أشهر، كان حاكم قلعة«بَلْخ» أثناءها قد اسْتَسْلَمَ لشَيْبَاق خان بعد طولِ الحصار، وسَلَّمَهُ القَلْعَة [(٣)].

اقترح الأُمَرَاء التَّيْمُورِيون أن يمضِي بَابُر الشتاء معهم فِي «هَرَاة» انتظارا للتحرك فِي الربيعِ ضد شَيْبَاق خان، لكنهم لم يعدُّوا له ما يرضيه مِن إقامة، فقرَّرَ العودة إلَى «كَابُل» فِي ديسمبر مِن عام ٩١٤هـ/١٥٠٦م فِي قوةِ الشتاء. ويصور لنا بَابُر معاناته ورِجَاله مِن قسوة البرد والشتاء فِي الطريقِ مِن «هَرَاة» إلى «كَابُل» بسبب تساقط الثلوج، ووعورة الطريق، فيقول:

---

(١) انظر بابر نامه ورقة ١٨٣أ.

(٢) بابر نامة ١٨٤ب.

(٣) بابر نامه ١٨٧ب.

وقد عانينا مشقة واضطرابا لا نظير له، وقلَّما عانينا مثل هَذهِ المشقة مِن قبل.... وحفرتُ فِي الثلج حفرة تكفيني بعمقٍ يصل إلى صدري. وصارت هَذهِ الحفرة ملجأ يأويني مِن الريح..... وآويتُ إلى الحفرةِ التي هيأتُها لنفسي فِي هَذهِ العاصفة الثلجية، واستمرت العاصفة إلى المغرب وأنا منكمش على نفسي والثلج يتراكم فوقَ ظهري ورأسي وأذني حَتَّى بلغَ أربعة أصابع. وفِي هَذهِ العاصفةِ الثلجية، تجمَّدتْ وتساقطَتْ أطرافُ الرِجَال. فمِنهم مَن فقد ذراعة ومنهم مَن فقد ساقة أو أذنه[1].

تجَاوَزَ بَابُر هَذَا الطريق الوعر، وقبلَ أن يصل «كَابُل»، علِمَ أن المُغُول الذين فِي «كَابُل» حاصروها، وأعلنوا مِيرْزا خان سُلْطَانا على كَابُل، وأشاعوا أن بَابُر محبوسا فِي «هَرَاة» عِنْدَ بديع الزمان مِيرْزا ومظفر مِيرْزا ابني السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا[2].

لكن رِجَال بَابُر المخلصين له حصنوا القَلْعَة وحافظوا عَلَيْها، وتمكن بَابُر مِن استرداد «كَابُل» بعد أن هَرَبَ مِنها أرْبَاب هَذهِ الفتنة، ويسجِّلُ بَابُر فِي كتابهِ إحساسَهُ بالأسى مِن غدرِ ذوي القُرْبَى، فيقول: كم مِن مرةٍ عاندني زماني، وفَقَدْتُ مُلْكي وعرشِي، وتجَرَّدتُ مِن جندِي ورجَالي، ولجأتُ إليهم. كما ذهبتْ إليهم أمي أيضا. لكن لم نَرَ منهم أبدا أية رعايةٍ أو شفقة، ثُمَّ يَعْرِضُ ما أبداه مِن حَسَن المعاملةِ تجاه كل مَن لجأ له مِن الأسرة التَّيْمُورِية مِن منطلق تسجيل الحقائق ليس إلا[3].

ثُمَّ يُسَجِّلُ بَابُر الأَيَّامَ الأخيرة مِن عُمَرِ الدولةِ التَّيْمُورِية فِي «ما وراء النَّهْر»؛ إذ استطاع شَيْبَاق خان فِي عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٥م أن يستولي على «هَرَاة» بعد أن عَجَزَ أبناء السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا عن تحصينها والدفاع عنها، فاستولى عَلَيْها شَيْبَاق خان، ووقعت نساءُ الأسرةِ التَّيْمُورِية وذراريهم فِي قبضةِ شَيْبَاقخان، وقد أساءَ معاملتهم ومعاملة كل أهلِ هَرَاة، ونكاية فِي

(١) بابر نامه ١٩٤أ.
(٢) بابر نامة ١٩٧أ.
(٣) بابر نامه ٢٠٠ب.

الأسرةِ التَّيْمُورِية تزوَّجَ مِن البيجوم خانزادة زوجة مظفر مِيرْزا قبل أن تُكْمِلَ عِدَّتَها[(١)].

وواصَلَ الأُزْبَكُ تقدمهم، فاستولوا على «مَشْهَد»، وقتلوا أبناءَ السُّلْطان حُسَيْن بَايْقَرا، واستنجد مَن بَقِيَ منهم ببَابُر، لكنهم رغم ذَلِكَ لم يُحْسِنُوا التعاون معه، ولم يتحركوا لملاقاتِه والتنسيقِ معه عما ينبغي عمله، وكان ردهم جافا خشنا، منكرين ما كتبوه مِن رسائل واستدعائهم لنا. فَذَهَبَت ريحهم، وخُسْروا أوطانهم وما حققوه مِن مكاسب فِي ثلاثين أو أربعين سنة[(٢)].

اتجه بَابُر بعد ذَلِكَ إلى محاربةِ شاه شجاع، وتحرَّكَ نحوه فِي تنظيمٍ دقيقٍ يدل على عقليتِهِ العَسْكَرية، واستطاع أن يهزمه عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٦م، وواصلَ طريقه إلى «قَنْدَهار» فَدَخَلَها وغَنِمَ مِنْها غنائم كَثِيرَة وأموالا تفوق الحصر، حَتَّى إنه قسم الأموال بالميزان، وأعطى كل واحد مِن الأُمَرَاء جِمْلًا مِن النقود الفضية، وكل واحد من الخدم ملء وعاء مِنْها، فحملوها على ركائبهم.

ورجع إلى «كَابُل» بغنيمةٍ وفيرةٍ وشرفٍ رفيع[(٣)]، وسرعان ما توَجَّه شَيْبَاق خان لمحاصرة «قَنْدَهار» بعد مغادرة بَابُر لها وفِيها ناصِر مِيرْزا ، الذي عَجَزَ عن الدفاع عنها فتركها، وفِي الوقتِ نفسه تَرَكَ عبد الرزاق مِيرْزا «قَلَات»، وعندئذٍ قرّرَ بَابُر التوجه مرة أخرى إلى «الهِنْد»، فِي جمادى الأول ٩١٣هـ = سبتمبر ١٥٠٧م. وفِي هَذهِ الفترة اتخذ بَابُر لنفسه لقب بادشاه، أي: السُلْطان بدلا مِن لقب مِيرْزا الذي كان يُلَقَّب به الحكام التَّيْمُورِيين حَتَّى ذَلِكَ الوقت[(٤)].

ثُمَّ تنقطع الأحداث بعد عام ٩١٤هـ حَتَّى عام ٩٢٥هـ، فيذكر حروبة المستمرة مع الأَفْغَان إخضاعهم بالقوة تارة، ولجوء بعضهم إليه طواعية تارة أخرى، وبدأ بَابُر فِي فتح مناطق الأَفْغَان شرق «الهِنْد» منطقة تلو أخر.

وقد استعرض بَابُر جانبا مِن تاريخ «الهِنْد» العام، وحكم التَّيْمُورِيون لها، وكانت لديه

---

(١) بابر نامه ٢٠٦ب.

(٢) بابر نامه ٢٠٨أ.

(٣) بابر نامه ٢١١ب.

(٤) بابر نامه ٢١٥أ.

الرغبة فِي استردادِ جميع الولايات التي كانت للأتراك فِي «الهِنْد». ففتح «بَجُور» و«سواد»، و«بهرة»، وأنعم على الأَفْغَان فِي المَنَاطِق التي فتحها بالعطايا الكَثِيرَة مِن الذهب والفضة. ثُمَّ اتجه إلى «الهِنْد» للمرة الثالثة، وسلك دَرْب «خَيْبَر» مِن جِبَال هندكوش، وهو المدخل الطبيعي لشمال «الهِنْد». وتنتهي وقائع «كَابُل» فِي عام ٩٢٦هـ-١٥٢٠م.

ويتخلل هَذهِ الوقائع وصفٌ دقيقٌ لثلاثِ مدنٍ مِن أكبرِ مدنِ «خُراسان»، وهي «كَابُل»، و«غَزْنَة»، و«هَرَاة»، وصفا جغرافيا وطبيعيا وحضاريا، خاصة مدينة «هَرَاة» التي بَلَغَت أَوْجَها فِي زمنِ السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا، وكانت تعج بالأدباء والفنانين، كما تناول جانبا مِن تقاليد التَّيْمُورِيين وعاداتهم ومجالسهم، ويتضح فِي هَذَا الجزء أيضا جانبا مِن نظرة بَابُر إلى أصحاب العقائد الأخرى، واحترامه لعقائد أهل «الهِنْد»، لا يفوته أن يدلي برأيه فِي شخصياتٍ لها مكانتها وأهميتها، مثل: السُلْطَان حُسَيْنبَايْقَرا، ومير عَلِيشِير نوائي أشهر أدباء الأدب الجغتائي فِي القرنِ السادسِ عشر، ويفسر أَسْبَاب زوال الأسرة التَّيْمُورِية، وأهمها النزاعات التي دارت بين الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين فِي الوقتِ الذي يَتَرَبَّص بهم عدوٌ مشترك وهو شَيْبَاق خان الأُزبكي.

مُخْتَصَرُ وَقَائِع الهِنْد:

وتبدأ وَقَائِعُ «الهِنْد» عام ٩٣٢هـ - ١٥٢٥،١٥٢٦م بعد انقطاع الأحداث ست سنوات، وهي المرة الخامسة التي اتجه فيها بَابُر لفتح «الهِنْد»، مُنذُ أخذ ولاية «كَابُل» فِي سنة ٩١٠هـ ومنذ ذَلِكَ الزمان كان يتمنى الاستحواذ على مملكة «الهِنْد» حسبما يراها بَابُر وكانت مِن «بهْرَه» إلى «بهَار» تحت تصرف الأَفْغَان، وسُلْطَانها هو السُلْطَان ابراهيم (اللودي)، لكن لم يتيسر له هَذَا... وفي النهاية، زالت كل الموانع. ومنذ ذَلِكَ التاريخ وحَتَّى سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م، أرسلَ الجُنْد إلى «الهِنْد» أربع مرات، كان فِي كلِّ مرةٍ يفتح بعض مناطقها حَتَّى أمكنهُ فِي المرةِ الخامسةِ بعد أن استَنْجَدَ به فريقٌ مِن أمرائها ليُخلِّصَهُم مِن استبداد ابراهيم اللودي حاكم دلهي، فانتهز الفرصة لتحقيقِ آماله العريضةِ فِي إقامةِ دولةٍ كبيرةٍ له فِي «الهِنْد»، خاصة بعد أن ثَبَّتَ الأُزْبَك أقدامَهم ببلادِ «ما وراء النَّهْر» مِن جديد، واستولى الصفويون على

«خُراسان» كلها، ولم تَعُد له من فُرصة سوى أن يقيم دولةً فِي «الهِنْد» .

التزم بَابُر فِي مسارِهِ نهر السِّنْد، وقد بدأ بالهجومِ على «بَجُور» والسيطرةِ عَلَيْها، ثُمَّ التوجهِ إلى «بهْرَه».

فِي ذَلِكَ الوقت، كان النِزاعُ دائرا بين أمراء «الهِنْد»، وتحالفوا مع بعضهم ضد ابراهيم اللودي سُلْطَان «دِهْلي»، فجاء إسماعيل الجلواني[1] وبعض الأُمَرَاء الآخرين، وانضموا إلى عالِم خان اللودي، وتحركوا قاصدين «دِهْلي». وعندما وصلوا اندري[2]، انضم سُلَيْمان شيخزاده أيضًا وبلغ عددهم ثلاثون أو أربعون ألفا وحاصروا «دِهْلي»[3].

لم ينجح هؤلاء الأُمَرَاء فِي دخولِ «دِهْلي»، وهَرَبَوا مِن أمام السُلْطَان ابراهيم اللودي، ولجأ عالمخان اللودي، ودولتخان اللودي، وعدد مِن أمراء «الهِنْد» إلى بَابُر.

تحرك بَابُر بعد ذَلِكَ إلى ملوت حيث ولاية غازي خان اللودي، حاصر قلعتها، ودخلها يوم السبت ٢٢ ربيع الأول سنة ٩٣٢هـ، ودخل مكتبة غازيخان، وأرسل مَن يبحث عنه بعد فراره، ثُمَّ استأنف طريقه لمحاربة السُلْطَان ابراهيم اللودي. وقباله «سهرند»، جاءهم سفير مِن السُلْطَان ابراهيم اللودي، وطلب إرسال سفير أو اثنين مِن ناحية بَابُر للتفاهم معهم، لَكِنَّهُ غدر بهما وأمر بسجنهما، فتيقن بَابُر مِن غدره وواصل تقدمه ناحية «دِهْلي». وعند ضِفَّة« نهر بنور وسنور» علم بَابُر بتحرك السُلْطَان ابراهيم وتقدمه مِن «دِهْلي»، وأن "حميد خان خاصة خيل" صاحب «قلعة فيروزة» ،خرج مع جُنُود القَلْعَة وصار على مَسَافَة عشرة أو خمسة عشر فَرْسَخا مِنْها.

تَقَدَّمَ بَابُر حَتَّى وصلَ إلى «انبالة» فِي شمالِ « پَانِيپَت»، حيث ستدور المَعْرَكَة الفاصلة بينه وبين السُلْطَان ابراهيم اللودهي. وواصل بَابُر تقدمه بجيشه فوصل إلى« پَانِيپَت» فِي يومِ

(١) أحد أمراء الهِنْد.

(٢) قرية بناحية كرنال فِي البنجاب.

(٣) بابر نامه ٢٥٦ب.

الخميس وهو اليوم الأخير مِن شهر جمادى الآخر سنة ٩٣٢هـ.

كان جيش بَابُر يتحرك وفق تنظيم دقيق مكون مِن مَيْمَنة ومَيْسَرَة وقلبٍ ومُقَدِّمَة ومؤخرة، ومزوّد بأسلحة حديثة مِن البنادق والمدافع والمدافع المحمولة على عربات، فِي حين اعتمد ابراهيم اللودي على كثرةِ رِجَالهِ وقوة أفيالِه.

كان جملة مَن مع بَابُر مِن الخدم والتجار والعبيد ما يناهز اثنى عشر ألفا. أما السُلْطَان ابراهيم اللودي، فكان معه مِن الجُنْد مائه ألف. ويقال: إنه كان يحوز وأمراؤه ألف فيل(١).

أقام بَابُر فِي «پَانِيپَت» سبعة أَيَّام أو ثمانية قبل أن تدور المَعْرَكَة الحاسمة، ودارت معركة هائلة انتهت بانتصار بَابُر، وقُتل فيها مِن اللوديين حوالي أربعين ألفا أو خمسون ألفا، كما قُتل فيها أيضا السُلْطَان ابراهيم اللودي عقب ذَلِكَ، قُرأت الخطبة فِي «دِهْلي» باسم بَابُر. ثُمَّ توجه بَابُر بعد ذَلِكَ مباشرة قاصدا «أَكْرا» وكان ابنه همايون قد سبقه إليها، فدخلها. وعقب هَذَا الفتح قدم أهل الراجابكرماجيت حاكم «كواليار» ، عددا مِن الجواهر والأحجار الكريمة هدية إلى هُمايون. ومن بينها الماسة المشهورة [كوهِ نور]. وكانت مشهورة جدًّا وقدر أحد الخبراء قيمتها: أنها تساوي نفقات العالم كله لمدة يومين ونصف. والأغلب أنها تزن ثمانية مثاقيل. وقد أهداها هُمايون إلى بَابُر عِنْدَ مجيئيه إلى أَكْرا. فوهبها له بدوره(٢).

وقد أنعم بَابُر على أم السُلْطَان ابراهيم وقدامى موظفيه، فأعطاها مقاطعة ريعها سبعمائة ألف، وأخرجها إلى حيث تقيم على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «أَكْرا»، كما أعطي لِكُلِّ واحد مِن الأُمَرَاء الآخرين مقاطعة.

ودخل بَابُر «أَكْرا» فِي وقت العصر مِن يوم الخميس الثامن والعشرين مِن شهر رجب سنة ٩٣٢هـ- ١٥٢٦م، ونزل بقصر السُلْطَان ابراهيم(٣).

---

(١) بابر نامه ٢٥٧أ.

(٢) بابر نامه ٢٦٨ب.

(٣) بابر نامه ٢٦٩أ.

بعد فتح «دِهْلي» و«أَكْرا» استأنف بَابُر فتح بعض المناطق الأخرى العاصية مِن شمال «الهِنْد». وبعد ذَلِكَ شرع ورِجَاله فِي تنظيم الحدائق، وحفر الآبار للمياه، وغرس أنواع الزهور والنباتات والأشجار فِي حدائق «الهِنْد»، وزرع فيها مِن الفواكه والأشجار ما لم تعرفه «الهِنْد» مِن قبل.

وفِي الوقت الذي انشغل بَابُر بتنظيم أموره، تحالَفَ الأُمَرَاءُ الأَفْغَان مع الأُمَرَاءِ الهِنْدوس، وعلى رأسهم راناسَنْكَا أكبر أمراء الهنادكة سَيِّد الراجيوتانا، لطرد بَابُر وقواته، واقتضى الأمر تحركًا سريعًا لضرب هَذَا التحالف قبل استفحاله، وما كاد بَابُر يستعد لذَلِكَ حَتَّى فوجئ بسريان روح التذمر بين جُنُوده، وتسرب الملل إلى نفوسهم، وبدءوا يطالبون بالعودة إلى بلادهم، وشعر بَابُر أن آماله ستتبدد، وأن طموحه العظيم سيصبح سرابًا إن وافقهم؛ فبذل معهم محاولات جادة ليُثنيهم عن عزمهم، وبث فيهم روح الجهاد والآمال العظيمة حَتَّى أفلح فِي استمالتهم ثانية.

وما كاد يتم له ذَلِكَ حَتَّى أرسلَ ابنه همايون إلى المَنَاطِق الشرقيةِ فِي أربعين ألفا مِن الجُنْد، فاستولوا على «قنوج»، واتجهوا إلى«أكرا» فاستولوا عَلَيْهَا، وتوغلوا حَتَّى شارفوا على حدود البنغال، وبينما قوات هُمايون تحقق تلك الانتصارات، كان خطر الأُمَرَاء الهنادكة لا يزال قائمًا، فأرسل بَابُر إلى ابنه يستدعيه على عَجَل لمواجهة التحالف الذي قام بين الهنادكة وأمراء الأَفْغَان تحت زعامة راناسَنْكَا، وتجمع فِي هَذَا التحالف نحو مائة وعشرين ألفًا مِن الجُنْد ومئات الأفيال . والتقى الفريقان فِي معركةٍ هائلةٍ استعملَ بَابُر البنادق والمدفعية، فانفرطَ عقد الهِنْدوس وَوَلُّوا الأدبار، ولم يكتفِ بَابُر بهذا النصر، فخرج بقواته لمطاردة متمردي الأَفْغَان حَتَّى حدود البنغال، وبذَلِكَ خضعت له «الهِنْد»، وأقام دولته فيها.

وقد عُرِف ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر وأبناؤه مِن بعده بالتسامح مع أصحاب العقائد الأخرى بالهِنْد، فمارس الهِنْدوس طقوسهم الدينية فِي حرية ودون تضييق، وكان سمحًا مع رِجَاله الذين تخلوا عنه، فعفا عنهم حين وفدوا عَلَيْهِ فِي «الهِنْد».

ويصف بَابُر «الهِنْد» وصفا دقيقا يشمل حدودها وجغرافيتها، وما تختص به مِن طيور وحيوانات ونباتات وطبائع أهلها، والمناخ والأنهار وما تختص به «الهِنْد» مِن مزايا.

وللهند حضارتها العريقة، وثرواتها الهائلة، وتمثل هَذَا فيما تعامل به أهل الهِنْد مِن طريقة حساب الوقت والموازين والأعداد.

فالهنـودُ يقسمون الليل والنهار إلى ستين [جزء]، يسمون الواحد مِنْها كري، ويساوى اثنين وعشرين دقيقة، ويقسمون الليل إلى أربعِ فترات، والنهار إلى أربعِ فترات أخرى، يسمون الواحدة مِنْها «بَهْرَه»، وتساوي ثلاث ساعات.

وقد قسموا كل جزء إلى ستين جزيئ. وسموا كل واحد مِنْهُ بل. فالليلة واليوم ثلاثة آلاف وستمائة جزيئ.

كما ثبت الهنود الموازين، فقالوا إن: الماشة تساوي ثمانية رتي، والأربع ماشة تساوي تانك، أي: اثنين وثلاثين رتي.

والخمس ماشة تساوي مثقال، أي أربعين رتي.

واثنتا عشرة ماشة تساوي توله، أي: ست وتسعين رتي.

وأربع عشرة توله تساوي سير.

وسير تساوي باتمان[1].

واثنتا عشرباتمان تساوي ماني.

ومائه ماني تساوي منياسه.

ويزنون الجواهر واللؤلؤ بالتانك.

كما أن الهنود ثبتوا الأعداد على النحو التَّالِي:

المائة ألف [أسمها] لك=١٠٠,٠٠٠= مائة ألف

والمائة لك كرور=١٠,٠٠٠,٠٠٠=عشرة ملايين

(١) تساوي مناً، وهو وحدة موازين قديمة تختلف مِن مكان إلى لآخر.

المائة كرور ارب =١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= مليار

والمائة ارب كرب =١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= مائة مليار

والمائة كرب نيل=١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= عشرة آلاف مليار

والمائة نيل پدم =١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= مليون مليار

والمائة پدم سانك =١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= مائة مليون مليار

وهذه الأعداد الهائلة هي دليل على عِظَم أموال «الهِنْد» وثرواتها.

قام بَابُر بعد فتح «الهِنْد» بتوزيع والعطايا والهبات والنذور مِن خزائنها، ونتبين مِن ضخامة الأرقام والأموال التي قدمها مدى ما كانت تتمتع به «الهِنْد» مِن ثروات هائلة، فبعد أن أجزل العطاء لابنه همايون قالَ: (وأعطينا بعض الأُمَرَاء عشر مائة ألف، وللبعض الآخر ثمانمائة ألف أو سبعمائة ألفٍ أو ستمائة ألف، كما أنعمنا على كل المَوْجُودِينَ فِي الجَيْش؛ مِن الأَفْغَان، والهزاره، والعرب، والبلوج، وعلى كل جماعة بقدر مِن الأموال يتناسب مع حالها. وقد حصل كل تاجر وكل طالب عِلمٍ، بل وكل امرئ رافق الجَيْش بالحظ الوافر والنصيب الكامل مِن الإنعام والعطايا، كما أرْسَلْنا إلى غير المشتركين فِي الجَيْش، وإلى كل الأقارب الشيء الكثير مِن الذهب والفضة والقماش والجواهر والعبيد. وأرْسَلْنا هدايا كَثِيرَة إلى أمراء تلك النواحي وإلى الفُرْسَان، وأرْسَلْنا هدايا إلى الأقارب فِي «سَمَرْقَنْد»، و«خُراسان»، و«كاشْغَر»، والعراق. كما أرْسَلْنا النذور إلى المشايخ فِي «سَمَرْقَنْد»، و«خُراسان»، والنذور إلى مكة، والمدينة المنورة.

***

الهِنْد[١]

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة واثنتين وثلاثين[٢]

فِي يَومِ الجمعةِ غرة شهر صفر سنة ٩٣٢هـ، وقد دَخلَت الشمس برج القَوْس، تحركتُ قاصدا «الهِنْد». فاجتزنا ربوة «يك لنكه»، ثُمَّ نزلنا بالوادي فِي الجانِبِ الغربي مِن «نهر دِه يعقوب»[٣]. وهُنَاكَ جاء عبد الملوك القورچي الذي ذهب قبل سبعة شهور أو ثمانية سفيرًا إلى السُلْطَان سعيد خان [فِي كاشْغَر]، ومعه أحد رِجَال الخان ويدعي يانكي بِك، ورسائل وهدايا مِن الخان وزوجاته.

وتوقفنا يومين فِي هَذَا المنزل للاستعدادات العَسْكَرية، ثُمَّ تَحَرَّكْنا. وبعد منزلٍ واحد، نزلنا بادام چَشْمه، وتوقفنا ليلة واحدة. وقد أكلنا المعجون فِي هَذَا المنزل.

وفِي يَومِ الأربعاء، نزلنا «باريك آب»، وهُنَاكَ جاء أحد إخوة نور بِك الصغار مِن «الهِنْد» ومعه ما يعادل عشرين ألف شاهرُخي مِن الذهب والأشرفي والتَنْكَة[٤]، أرسلها الخوجه حُسَيْن مِن أملاكنا الخاصة فِي «لاهور»، فأرْسَلْنا أكثرها إلى المُلَّا أَحْمَد أحد أعيان «بَلْخ» لإنجاز مصالحها.(٢٥٢أ).

وفِي يَومِ الجمعةِ الثامنِ مِن الشهر نفسه، نزلنا «كندمك»، وهُنَاكَ أصابتني نزلةُ بردٍ شديدة. والحمد لله فقد مَرَّت بسلام.

---

(١) التزمت الترجمتان التركية والانكليزية بلفظ الهِنْدستان ذلك لأن لفظ الهِنْدستان كان يطلق على الشمال والشمال الغربى من شبه القارة الهِنْدية وهى المنطقة التي فتحها بابر وأقام فيها دولته، وهي نفس التسمية التي التزم بها بابر، واستخدمها الدكتور أَحْمَد الساداتي فِي رسالته للدكتوراه المشار إليها سلفا. وكان العرب يستخدمون لفظ الهِنْد كلها، وكانت حدودها آنذاك تشمل الهِنْد وباكستان وبنجالاديش. وقد فضلنا استخدام لفظ الهِنْد لأنها الأقرب للقارئ العربى.

(٢) يقابل الفترة من أكتوبر ١٥٢٥ إلى أكتوبر ١٥٢٦م.

(٣) فرع من نهر لوهركر الذى يصب فِي نهر باران، فِي جنوب شرق كابُل.

(٤) عملة صغيرة من الفضة.

وفِي يَومِ السبت، نزلنا « باغ وفا». وتوقفنا بها بضعة أَيَّام بسبب [انتظار] هُمايون مِيرْزا وجُنُود هَذِهِ الناحية. وقد تكرر فِي هَذَا التاريخ ذِكر «باغ وفا» وحدودها وصفائها وطيب [هوائها]. فهي حَدِيقَة رائعة الجمال. وكل مَن يمعن النظر إليها ويتأملها يدرك جمالها. وفِي تلك الأَيَّام المعدودة التي قطعناها هُنَاكَ، أفرطنا فِي الشراب، فإن لم نشرب يوما أَقَمْنَا مجلسالتعاطي المعجون. ومن هُنَاكَ، أرسلتُ رسائل قاسية وشديدة اللهجة إلى هُمايون بسببتأخره عن الموعد.

وفِي يَومِ الأحد السابع عشر مِن شهر صفر، تناولنا الصبوحي [للإفاقة] وجاء هُمايون. وقد عنفته لطول غيابه. كما جاء فِي اليومِ ذاته الخوجه كلان مِن «غَزْنَة».

وفِي مساءِ الاثنين، تَحَرَّكْنَا فوصلنا « يانكي باغ » ومكانها بين «سُلْطَانپور» [1]، و«خوجه رستم» [2]، وغادرناها يوم الأربعاء، فركبنا الطَوْف [3]، و شربنا حَتَّى وصلنا «قوش كنبد»، فبَرِحنا الطَوْف وتوجهنا إلى مقر الجَيْش.

وفِي اليَومِ التَّالِي، أَصْدَرْنَا الأمر للجيش بالتحرك، بَيْنَمَا ركبنا نَحْنُ الطَوْف وأكلنا المعجون. وأينما نرسوا [نجد أننا مازلنا] فِي «قِيريق أريق» [4]. فلما وصلنا ظاهر «قيريق أريق» لم نعثر على أثر الجيش (٢٥٢ب) أو الخيلِ. ولأننا على مقربة من «كرم چَشْمه» [5]، فكرتُ أن الجَيْش [ربما يكون قد] حطَّ هُنَاكَ، فواصلنا الإبحار إليها.

وبلغنا «كرم چَشْمه» فِي وقتٍ متأخر، ولهذا السببَ فضلا عن إرهاقنا، فقد رسونا بالطَوْف وغفونا قليلا.ثُمَّ تَحَرَّكْنَا مع الفجر إلى يده پير.وبدأ الجَيْش فِي الوصولِ مع الصباح الباكر. وكان جيش [العدو] قد نزل فِي نواحي «قيريق أريق». لكننا لم نلحظه.

---

(١) مدينة على الطريق بين دهلى ولاهور.

(٢) مكان على مَسَافَة ثلاثة أميال غرب جلال آباد.

(٣) الطَوْف: خشب يشدُّ ويركب عليه فِي البحر، والجمع أَطْواف، لسان العرب، حرف الطاء.

(٤) فِي كَابُل وتقع بين جوى شاهى وكرم چَشْمَه.

(٥) رسمها فِي الأصل كرم چشمه وهو اسم موضع فِي كَابُل بين دَرْب خيبر وقوش كنبد.

كان على ظهر الطَوْف كثير مِن أَرْبَاب الشعر مثل الشَّيْخ ابو الوجد، والشَّيْخ زين، والمُلَّا على خان، وتردي بِك خاكسار وغيرهم، وأثناء الصُحْبَة ذكرتُ هَذَا البيت لمُحَمَّد صالح:

ماذا يفعل الإنسان لمحبوبه ذى الدلال،

فأينما يجده، لا حاجة به لسواه.

وقلتُ هيا انظموا على منواله. وبدأ الشعراء منهم فِي النظم. وحدثت مداعبات كَثِيرَة مع المُلَّا على خان إذ سرعان ما جادت قريحَتَّى بالبديهة بهذا البيت مِن قبيل الهزل:

ماذا يفعل الإنسان فِي مجنون مثلك مخمور

وماذا يفعل ومولود أنثي الحمار، ثور

وكنتُ حَتَّى ذَلِكَ الحين، ومِن باب المداعبة، أنظم بعض ما يرد على خاطري حسنا كان أو غثا، جَدا كان أو هزلا، وأُردده حَتَّى وإن كان فِي بعضِ الأحيان فجا، ولا ذوق فيه. وكنت فشي ذَلِكَ الوقت أُحَول [كتاب] المبين[1] إلى نظم. أتذكر هَذَا بفتور.(٢٥٣أ) فيملأ الحزن قلبي، وأشعر بالأسف أن جَرَت مثل هَذهِ الألفاظ القبيحة على لساني، وجادت قريحَتَّى بها، وآسى على القلب الذي استحضر مثل هَذهِ المعاني وقبيح الألفاظ. ومنذ ذَلِكَ الحين، امتنعتُ عن نظم الشعر فِي الهجاءِ والهزل. وأعلنتُ التوبة عنه. ولهذا، لا أتذكر مطلقًا متى قلتُ هَذَا البيت، ولم تخطر مثل هَذهِ المعاني على خاطري بعد ذَلِكَ أبدا.

مرض بَابُر:

بَعْدَ يَومْ أو اثنين، نزلنا «بكرام»[2]، وهُنَاكَ أصابتني نزلة وحمى، ثُمَّ تحولت النزلة إلى كحة. فكنتُ أبصق دمًا مع كل كحة، ولم تذهب عنى الحمى أبدًا. وفهمتُ سببها وسبب هَذَا الاضطراب.

---

(١) كتاب فى الفقه.

(٢) مكان فِي بيشاور.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

أيها اللسان ماذا أفعل بِك

جوفِي يدمي بسببك.

ومهما جُدت بشِعر هزل

فإما فحش وإما كذب.

ولو رمت ألا تحترق بهذا الذنب

فالوى عنانك عن هَذَا الدَرْب.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا، وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢).

فصرفتُ قلبي مرة أخرى عن مثل هَذهِ الأفكار الباطلة، وهذا الهذر غير اللائق، مستغفرا ومنيبا، وكسرتُ قلمي. إن مثل هَذَا التنبيه [الإ لهي] للعصاة مِن عباده لهو الظَّفَر، وهو السعادة لِكُلِّ ذي بصيرة.

تحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ(٣)، ونزلنا عَلِي مَسْجِد(٤). وبسبب ضيق هَذَا المنزل (٢٥٣ب) كنتُ أنزل دوما فوق ربوة مُشرِفة على الوادي الذي ينزل به الجُنْد. وكان المنظر [مِنْ فَوْقِ الربوة] يبدو فِي المساءِ بديعًا مِن أثر النيران التي يوقدها الجُنْد. ولهذا كنا نشربُ بالضرورة كلما نزلنا بهذا المكان، وهو ما فعلتُه هَذهِ المرة أيضًا، فقد شربتُ الخمر. وقبيل الصباح، أكلتُ المعجون ثُمَّ تحَرَّكْنا، فوصلنا ظاهر «بكرام». وفِي ذَلِكَ اليوم نويتُ الصيام.

---

(١) الآية ١٠ الفتح.

(٢) الآية ٢٣ الأعراف.

(٣) يقصد من بكرام.

(٤) اسم موضع على طريق خيبر.

فِي اليومِ التَّالِي، لبثنا فِي ذَلِكَ المنزل، واصطدنا الكَرْكَدَنْ[1]. ثُمَّ جاوزنا نهر سياه آب قُبَالَة «بكرام»، وأقمنا حلقة مُشْرِفة على أسفل النَّهْر.

وبعد مدة، جاء رجل وأبلغنا أن أدغال «الهِنْد» الصغيرة التي يدخلها الكَرْكَدَنْ قريبة مِن «بكرام»، ويمكن محاصرتها. فأسرعنا مِن فورنا إلى هُنَاكَ، وضربنا على الدغل حلقة. وأحدثنا جلبة، فخرج الكَرْكَدَنْ مِن الدغل، وهَرَبَ فِي اتجاهِ السهل. ولم يَكُنْ هُمايون ولا أحد ممن جاءوا معه مِن تلك الناحية، قد رأي الكَرْكَدَنْ مِن قبل، فاحتشدوا للفرجة. وتعقبنا قطيعا مِن الكَرْكَدَنْ بوابل مِن السهام، فانفضت كلها بدون أن تؤذي خيلا أو رجلا. فالكَرْكَدَنْ لا يهاجم الإنسان أو الخيل قط.كما اصطدنا اثنين مِنْهُ. ودائما يجول بخاطري تساؤل ماذا لو تقابل فيل وكَرْكَدَنْ ؟!. هَذهِ المرة، كان أصحاب الفيلة يأتون بها فيخرج الكَرْكَدَنْ (٢٥٤أ) أمامهم، وما أن يتقدموا بالأفيال حَتَّى يفر الكَرْكَدَنْ إلى الناحية الأخرى.

أثناء وجودنا فِي «بكرام»، قسَّمنا بعض السادة والخَوَاص والكُتَّاب والموظفين إلى ست فِرق أو سبع، ليسجلوا أسماء كل الجُنْد واحدًا واحدًا، ويحصوا عددهم على السفن عِنْدَ عبور [نهر] «نيلاب».

أصابتني النزلة فِي المساء، وعادوتني الحُمَّى. وانقلبَت النزلةُ إلى كُحَّة. وكنتُ مع كلِّ كُحَّة أبصق دمًا، وكانت وعكة قاسية. بَرِءتُ مِنْها بعد يومين أو ثلاثة.

غادرنا «بكرام» والمطر لا ينقطع، ثُمَّ نزلنا بضَّفَّة نهر «كَابُل». و[هُنَاكَ] جاء خبر مِن «الهِنْد» أن دولت خان [أمير البنجاب] و[ابنه] غازي خان جمعا عشرين أو ثلاثين ألف جندي، وأخذوا«كَلانور»[2]، وإنهم فِي طريقهم إلى «لاهور». فأَرْسَلْنا مؤمن علي التواچي

(١) وحيد القرن أو الخرتيت. وعبارة واصطدنا الكركدن غير موجودة فِي الترجمة الإنكليزية بهذا الشكل وعلقت بان كلمة كرك اوى الجغتائية هى اسم مكان فِي مقاطعة ديالپور.

(٢) موضع بين بيلس وراو فِي البنجاب.

ليذهب على وجه السرعة ويبلغ المَوْجُودِينَ هُنَاكَ[١]: إننا فِي الطريقِ إليكم، فلا تقاتلوهم حَتَّى ندرككم.

فِي الطريق إلى لاهور[٢]:

بعد منزلين نزلنا بضَّفَّة السِّنْد يوم الخميس الثامن والعشرين مِن الشهر[٣]. وفِي يَومِ السبتِ غُرَّةِ شهرِ ربيع الأول، جاوزنا «نهر السِّنْد»، فبلغنا ضّفَّة نهر «كچه كوت». و[هُنَاكَ] عرض الأُمَرَاء والموظفون عدد الجُنْد الذين على ظهر السفن واشتركوا فِي الحملة، وسجلوا أسماءكبيرهم وصغيرهم، والصالح منهم والطالح، والعامل منهم والعاطل، (٢٥٤ب) فبلغوا اثنتى عشر ألف رجل.

وكانت الأمطارُ المَوْسمِيَّة هَذهِ السنة شحيحة فِي هَذَا المكان، أما فِي الولاياتِ الواقعةِ عِنْدَ سفحِ الجبل، فكانت الأمطار جيدة. فتحركنا مِن سفح الجبل عن طريق «سيال كوت»[٤] لتأمين الميرة. فلما وصلنا قُبَالَة ولايات هاتي ككر، كانت مياه غزيرة قد تجمعت مِن أماكن متفرقة [فكونت] جدولا صغيرا تجمد ماؤه. ولم يَكُنْ الثلج سميكا جدا. ومثل هَذَا الثلج غريب فِي «الهِنْد»، ولم نشاهده سوي فِي هَذَا المكان. وخلال سنواتنا فِي «الهِنْد»، لم نر أي أثر أو علامة للثلج والبرد.

سرنا خمسة منازلٍ مِن السِّنْد، وفِي المنزل السادس، وصلنا مجري النَّهْر حيث موطن البكيال[٥] عِنْدَ «جبلِ بال نات جوكي» المجاور لجبل جود[٦].

---

(١) يقصد الموجودين فِي لاهور.

(٢) تقع فِي شرقِ اقليمِ البنجاب وكانت من الهِنْد آنذاك، وهى الآن ضمن باكستان على حدود الهِنْد الحالية.

(٣) شهر صفر سنة ٩٣٢.

(٤) فِي البنجاب.

(٥) أحد بطون قبيلة ككر.

(٦) جبل فِي شمال بهره.

وفِي اليومِ التَّالِي، لبثنا فِي مكانِنا هَذَا للتزود بالأقوات. وفِي ذَلِكَ اليوم شربتُ العرقي [1] وأفاض المُلَّا مُحَمَّد برغري فِي حكاياته، ولم يحدث [مِن قبل] أن أفاض فِي الكلام. أما المُلَّا شمس فكان معروفا مِن قديم بدعاباته، فإذا بدأ لا ينتهي مِنْها حَتَّى المساء.

خرج الجُنْد والخدم وسائرُ الرجَال بِقَدِّهِم وقَدِيدِهم لجلبِ الميرة، والبحث عن المزيد مِنْها، فانتشروا [هنا وهُنَاكَ] وتوغلوا بغير اكتراثٍ فِي الأحراشِ والجِبَال والمَنَاطِق الوعرة والمسالكِ غير الممهدة، ففقدنا عددًا كبيرًا منهم، كما توفي هُنَاكَ أيضًا كيچكينه تونقطار.

غادرنا مكاننا هَذَا، وعبرنا «نهر بهَت» [2] مِن مَخَاضَة قريبة مِن جنوب«جيلَم» [3] ونزلنا. وهُنَاكَ جاء ولي قيزل الذي كانت له مقاطعتي «بيمروكرى، واكرياده» [4]، وكان معاونا لسيال كوت، فقابلناه وعاتبناه لعدم محافظته على «سيال كوت».(٢٥٥أ)، فعرض [ماحدث] قائلًا:

"لقد ذهبتُ إلى مقاطعتي. فلما خرج خُسْرو كُوكَلْداش مِن «سيال كوت»، لم يخبرني بخروجه". وبعد أن استمعتُ إلى عذره قلتُ له: أما وإنك لم تستطع المحافظة على سيال كوت، فكان يلزم أن تذهب إلى أمراء «لاهور»، وتلحق بهم، فألزمتُه الصمت، ثُمَّ تجاوزتُ عما اقترفه لأننا بصدد أمر حان وقته.

ومِن مكاننا هَذَا، أرسلتُ سَيِّد طوفان وسَيِّد لاچين على وجه السرعة بخيول إضافية إلى الذين فِي جِبَالِ «لاهور» ، ليبلغهم ألا يحاربوا؛ وليأتوا إلى «سيال كوت» أو «بُرسرور » وانضموا إلينا. وكان الجميع عِنْدَ هَذَا الرأي.

---

(١) شراب مسكر يصنع من البلح.

(٢) نهر ينبع من جبال هندكوش فِي البنجاب ويتصل بنهر السِّنْد بجوار ملتان.

(٣) فِي البنجاب على ضَفَّة نهر يحمل نفس الاسم.

(٤) من مُقاطَعات البنجاب.

النزاع بين اللوديين:

جمع غازي خان ثلاثين أو أربعين ألف رجل، وتَمَنْطَق دولت خان رغم شيخوخته، بسيفين حول خصره استعدادا لحرب ضروس، وهُنَاكَ ضرب مِن المثل يقول: "عشرة أصدقاء أَفْضَل مِن تسعة" وحَتَّى لا تَضِيع أي مِن وسائلنا، فكرنا فِي أهمية أن ينضم إلينا مَن فِي «لاهور» ، ثُمَّ نقاتل.

أرْسَلْنا رجلًا [بهذا] إلى الأُمَرَاء. وبعد منزلٍ واحد، نزلنا بحافةِ «نهرِ جناب». ثُمَّ ابتعدنا عن الطريق، وتفرجنا على «بهلول پور»[١] وهي خالصةٌ لنا، ومكان قلعتها فوق صخرة عالية على حافة «نهر جناب»، وقد راقت لي، وفكرتُ فِي نقل سيال كوت إلى هَذَا المكان. وعندما تحين الفرصة سننقلها إلى هنا فورا بإذن الله.

وجئنا بالسفينة مِن «بهلول پور» إلى مَعَسْكَر الجَيْش. (٢٥٥ب) وأقمنا مجلسا للصهباء، فشرب البعض العرقى والبعض الآخر شرب البوزة[٢]، وأكل الآخرون المعجون. وبعد صلاة العشاء بفسحة مِن الوقت، غادرنا السفينة، وشربتُ بعض الخمر داخل الخيمة أيضًا، وأمضينا يوما على ضّفَّة هَذَا النَّهْر لراحة الخيل.

فِي يَومِ الجمعة الرابع عشر مِن شهر ربيع الأول، نزلنا«سيال كوت». وفي كل حملة قمنا بها على «الهِنْد»، كان يهبط مِن الجِبَال إلى السهول مالا يعد ولا يحصي مِن الجت[٣]، والكجور[٤] لسرقة الثيران والجاموس. وكانوا كلّهُم مِن السفلة والدهماء. ولأن هَذهِ الولايات كانت مِن قبل عدو [لنا]، لم يَكُنْ الضبط والربط فيها كما ينبغى. ورغم أن [سيال كوت] تابعة لنا هَذهِ المرة، فإنهم سلكوا ذات النهج. وفجأة تشاجر دهماء «سيال كوت» وفقراؤها ومساكينها الذين جاءوا إلى

---

(١) فِي البنجاب فِي شمال شرق كُجَرات.

(٢) شراب مسكر يصنع من الخمير.

(٣) سكان القرى المسلمة فِي البنجاب وضَفَّة السِّنْد وسيستان.

(٤) واحدة من القبائل التي تقطن القرى المجاورة لجبال كشمير بين بهره ونيلاب.

معَسْكَر الجَيْش، وتسارعوا فِي النهب، فأمرتُهم أن يأتوا بمن تسببوا فِي هَذِهِ الفوضي، وأمرتُ باثنين أو ثلاثة منهم فمزقوهم إربا [ليكونوا عبرة لغيرهم].ومن «سيال كوت» أرْسَلْنا شاهم نور بِك إلى أمراءِ «لاهور» للتحقق مِن أحدِ العارفين عن مَوْضِع العدو ثُمَّ يبلغنا بالأمر[١].

هزيمة عالم خان أمام السُلْطَان ابراهيم اللودى:

وأثناء مقامنا فِي [سيال كوت]، جاء أحد التجار. وأبلغنا بهزيمة عالِم خان [اللودى] أمام [ابن أخيه] السُلْطَان ابراهيم خان[٢]، وتفصيل ذَلِكَ أن:

عِنْدَمَا [علمنا] أن خانات الأُزْبَك (٢٥٦أ) وسلاطينهم، قد جاءوا وحاصروا «بَلْخ»، أذنا لعالِم خان بالسَّيْر إلى «الهِنْد»، وتحركنا نَحْنُ إلى «بَلْخ». فقطع مرحلتين[٣] مِن الطريق دفعة واحدة، وجاء إلى «لاهور» فِي هَذَا الهواء الحار، بغير اكتراث برفاقه. فلما بلغ «لاهور» ، ألح على أمراء «الهِنْد» بقوله: إن السُلْطَان يأمركم بمساعدتي، والخروج معي. وينضم إلينا غازي خان[٤] ، ثُمَّ نسير إلى «دِهْلي» و«آكْرا». فقالوا له: كيف نثق فيك وأنت تنضم إلى غازي خان ؟! فقد أمرنا السُلْطَان أن ننضم إليه غازي خان إذا أرسلَ أخاه الأَصْغَر حاجي خان مع ابنه إلى القصر، أو أرسلَهُما إلى «لاهور» وتركهما رهينة، وإلا فلا. كما إنكم تحاربتم معه توا بالأمس، وانهزمتم. فكيف نصدقك وأنت تتحالف معه الآن. لاسيما أن تحالفكم معه ليس مِن المصلحة. ولم يستمعوا لقوله، ورفضوا أن يستجيبوا له رغم إلحاحه. فأرسل ابنه شير خان، ليتفاوض مع دولت خان وغازي خان. واصطحب دلاور خان وكان محبوسًا مُنْذُ مدة، ثُمَّ هَرَبَ وجاء «لاهور» مُنْذُ شهرين أو ثلاثة. واصطحب معه أيضا محمود خان وكانت قد أُعْطِيَت له مقاطعة

(١) الترجمة الانجليزية بها تصرف فِي هَذِهِ العبارة، فقد وردت بها على النحو التالى: ومن سيال كوت أرْسَلْنا شاهم بِك أخو نور بِك إلى أمراء لاهور ليبلغهم أن يتأكدوا مِن مكان العدو ويسألوا أحد العارفين أين ينبغى ملاقاته، ثُمَّ يبلغنا.

(٢) يقصد إبراهيم اللودي ابن بهلول اللودي، وسلطان "آكرا" ودهلى.

(٣) المرحلة هى المسافة بين منزلين.

(٤) غازى خان اللودى، ابن دولت خان اللودى.

فِي «لاهور». وعلى هَذَا قرروا أن يأخذ دولت خان وغازي خان كل الأُمَرَاء الذين تركناهم فِي «الهِنْد»، وكل المناطق المجاورة، وينضم دلاور خان وحاجي خان إلى عالِم خان، وهؤلاء[1] (٢٥٦ب) لَهُم نواحي «دِهْلي» و«أَكْرا».وجاء إسماعيل الجلواني[2] وبعض الأُمَرَاء الآخرين وانضموا إلى عالِم خان، وتحركوا مِن منزلٍ إلى آخر بدون توقف قاصدين «دِهْلي». وعندما وصلوا «اندري»[3]، انضم إليهم أيضا سُلَيْمان شيخزاده. وبلغ عددهم ثلاثون أو أربعون ألفا وحاصروا «دِهْلي»، بدون أن يَسْتطِيعوا أن يشنوا حربا، أو يضيقوا على مَن بالقَلْعَة.

وعندما عَلِمَ السُلْطَان ابراهيم بتجمعهم، ساق الجَيْش إليهم، فلما اقترب [مِن دهلي]، عَلِمَ هؤلاء[4] بالأمر، فانفضوا عن القَلْعَة، وقرروا السَّيْر لمواجهته قائلين: إذا دارت الحرب فِي وضح النهار، فان الأَفْغَان يثبتون للقتال خجلا مِن بعضهم البعض. فإذا حل المساء، فلا يري الرجل منهم الآخر فِي عتمة الليل، ويفكر كل واحد منهم فِي نفسه. وتحركوا مرتين وقت الظهيرة، فكانوا يأتون مِن مكان على مَسَافَة ستة فَرَاسِخ لشن الهجوم ليلا، فكانوا ويظلون على ظهور الخيل لمدة فترتين أو ثلاث[5] مِن غير أن يقرروا إن كانوا سيرجعون أم سيتقدمون. وفي المرةِ الثالثة، جاءوا للهجوم وقد بقيَ مِن الليلِ فترة واحدة. فهجموا وأضرموا النيران فِي الخيامِ والأوتاقات[6] وأحرقوها عن آخرها، فأحدثوا هياجا. وجاء جلال خان جكهت وبعض الأُمَرَاء ورأوا عالِم خان.

وظل السُلْطَان ابراهيم [اللودى] فِي قصره ومعه عدد مِن خاصة فرسانه. ومع طلوع النهار، انشغل كل رِجَال عالِم خان بالنهب، وجمع الغنائم (٢٥٧أ). فلما رأي جند السُلْطَان

---

(١) يقصد عالِم خان ومن معه.

(٢) أحد أمراء الهِنْد.

(٣) قرية بناحية كرنال فِي البنجاب.

(٤) يقصد عالِم خان ومن معه.

(٥) يقسم الهنود اليوم والليلة إلى ثمان فترات، الفترة ثلاث ساعات.

(٦) الخيام الكبيرة الخاصة بالسلاطين ومن فِي حكمهم.

ابراهيم قلة عدد أولئك الرِجَال، تقدم نحوهم عدد مِن الجُنْد ومعهم فيل واحد. وما أن تقدم الفيل، حَتَّى تبددت مقاومة [عالِم خان] ولاذ [ورِجَاله] بالفرار.

توجه عالِم خان بعد هروبه بهذه الطريقة، إلى «ميان دو آب» [1]، ثُمَّ إلى أنحية باني بت، ثُمَّ إلى پَانِيپَت مرة أخرى. فلما صار فِي مَوْضِع قريبٍ مِن «اندري» تعلل بأمر ما، وأخذ مِن ميان سُلَيْمان ثلاثمائة ألف أو أربعمائة ألف [مِن النقود] غصبا. وانفصل عنه بِبَن، وإسماعيل الجلواني، و[وابنه] جلال خان وذهبوا إلى ميان دوآب. وقبيل الحرب، هَرَبَ ؛ سيف خان بن دريا خان، ومحمود خان بن خان جهان، والشَّيْخ جمال الفَرمُلي وآخرون مِن رِجَال عالِم خان، ولجأوا إلى [السُلْطَان] ابراهيم [اللودي] [2].

لجوء دلاور خان إلى بَابُر:

وأثناءَ مرورِ عالِم خان، ودلاور خان، وحاجي خان مِن «سِهْرِنْد»، علموا بمجيئنا إلى مِلْوَت وأخذِنا إياها. ولأن دلاور خان مازال مخلصا لنا وكان قد حبس بسبِبَنا لثلاثة أو أربعة شهور، فقد تركهم وجاء الى «سُلْطَانپور»، ثُمَّ لحق بنا بنواحي مِلْوَت بعد أن أخذناها بثلاثة أو أربعة أيَّام، والتزم.

لجوء عالم خان إلى بَابُر:

عَبَرَ عالِم خان وحاجي خان نهر شتلُت، واعتصما « بقلعة كُنَكوته » فِي الجبلِ الواقع بين دون ودَشْت، وهي قلعة منيعة. وهُنَاكَ جاء مهاجمونا مِن الأَفْغَان والهزارة وحاصروهما (٢٥٧ب). وكادت هَذهِ القَلْعَة المنيعة أن تقع فِي أيدينا مع دخول الليل. وحال تجمع الخيل بباب القَلْعَة دون خروج كل مِن أرادوا الخروج مِنْها. وكانت معهم أفيالَهُم فوضعوها فِي مقدمتهم، فسحقت أكْثر الخيل وقتلته، وخرج عالم خان تحت جُنح الظلام سيرا على قدميه لأنه لم يستطع الخروج بجواده، وبشق الأنفس لحق بغازي خان الذي فر إلى الجبل بدون أن يدخل

(١) مكان بين نهرى كُنَكْ وجون.

(٢) أغفلت الإنجليزية عبارة ولجأوا إلى إبراهيم.

مِلْوَت. ولم يحسن غازي خان بدوره استقباله. وفِي النهاية، جاء عالِم خان مجبرا إلى أنحية «پهْلور» فِي سفح الوادي، والتزم.

وفِي سيال كوت، جاء رسولٌ مِن «لاهور»، وأبلَغنا أن أولئك الذين فِي «لاهور» سيأتون جميعا إلينا فِي اليومِ التَّالِي.

وتحركنا في اليومِ التَّالِي، فوصلنا برسرور. وهُنَاكَ جاء مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، والخوجه حُسَيْن وبعض الفتية، والتزموا.

كان العدو فِي طرف نهر راوي جهة «لاهور»، فأرْسَلْنا رِجَالا [إلى هُنَاكَ] بقيادة بوجكه لاستطلاع الموقف. وعند الفترة الثالثة مِن الليل، أبلغونا أن العدو لما علم بأمرنا، تملكه الخوف، ولاذ [رِجَاله] بالفرار بدون أن يلتفت أحدهم للآخر.

وتحركنا فِي اليومِ التَّالِي تاركين الأحمال والأثقال عِنْدَ شاه مير حُسَيْن، وخان بِك. وحثثنا فِي سيرنا فنزلنا كلانور بين الصلاتين. وهُنَاكَ جاء مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وعادل سُلْطَان وبعض الأُمَرَاء الآخرين، والتزموا.

التحرك صوب قلعة مِلْوَت فِي أعقاب غازي خان:

(٢٥٨أ) وفِي الصباحِ الباكر، تَحَرَّكْنَا مِن «كلانور»، وفِي الطريق علمنا بأمر غازي خان وأولئك الهاربين. فأرْسَلْنا فِي أعقابهم القادة؛ مُحَمَّدي، وأحمدي، و قُتْلُقْقَدَم، و"ولي خازن"، وأكثر الأُمَرَاء الخَوَاص الذين أُجبروا هَذهِ المرة على الخضوع لأمارة «كابُل». وتقرر أنهم إذا أدركوهم فبها ونعمت، وإلا فليُحْكِموا محاصرة «قلعة مِلْوَت»، للحيلولة دون خروج مَن فِي الحِصْن وهروبهم. وكان غازي خان هو الهدف مِن هَذهِ الإجراءات.

وعقب ذَلِكَ، جاوزنا «نهر بياه» قُبَالَة «كانوهين» حيث نزلنا. ثُمَّ تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وبعد مرحلتين نزلنا بمدخل الوادي حيث تقوم «قلعة مِلْوَت».

وأعطينا الأوامر إلى أمراء «الهِنْد» والأمراء الذين جاءوا مِن قبل، بتشديد الحصار حول القَلْعَة. وهُنَاكَ انضم إلينا إسماعيل خان حفيد دولت خان مِن ابنه الأكبر علي خان. فأرْسَلْناه إلى القَلْعَة بالوعد والوعيد والاستمالة والتهديد.

وفي يَومِ الجمعة، أمرنا الجَيْش بالتقدم ناحية القَلْعَة، ونزلنا على مَسَافَة نصف فَرْسَخ مِنْها. وذهبتُ بنفسي، وعاينتُ الحِصْن، وحددتُ أماكن المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والقلب، ثُمَّ رجعتُ إلى الجَيْش.

استسلام دولت خان اللودى حاكم لاهور:

وأرسل دولت خان رسولا عرض [عَلَيْنَا] أن غازي خان هَرَبَ واعتصم بالجبل. وإننا إن تجاوزنا عن فعلته، فسيأتِ إلينا مذعنا طائعا، ويسلم القَلْعَة[1]. فأرسَلْنا إليه الخوجه مير ميران ليبدد مخاوفه ويأتي به. فجاء به وبابنه على خان. وأمرتُ بأن يعلقوا فِي رقبتِهِ السيفين اللذين ربطهما حول خصره لمحاربتنا. وكم كان رجلا ساذجا أحمقا، فبعد أن وصل إلى هَذهِ الدرجة، أخذ يسوق الذرائع والحجج. وأتوا به أمامي، فأمرتُ بنزع السيوف مِن رقبته.

وعندما تلاقينا تأخر فِي الانحناءِ تعظيما لي، فسحبوا قدمه وأجبروه على الانحناء بتعظيم. وأجلستُه أمامي، وأمرتُ برجل يعرف لسان [أهل] «الهِنْد» لينقل له هَذهِ الكلمات كلمة كلمة:

كنتُ أدعوك الوالد، وعاملتُك بتعظيم واحترام أكثر مما يصبو إليه قلبك. وأنقذتُك أنت وابنك مِن متشردي البَلوج[2]، وخلصتُ أهلك وذراريك وحريمك مِن أَسْر ابراهيم [اللودي]، وأحسنتُ عليك بولاية تتارخان ذات الثلاث مائة مائة ألف[3]. فهل أسأتُ إليك حَتَّى تدفع هَذَا الشقى إلى أن يتمنطق بسيفيه، ويسوق العَسْكَر إلى ولايتنا، وتُحدِث هَذهِ الفتنة وهذا الفساد. وتمتم الشَّيْخ الأحمق بكلمة أو كلمتين (٢٥٩أ) وعجز عن مواجهتى ولزم الصمت. فماذا يمكن يجيب على قولى هَذَا، وأخلينا سبيل أهله وحريمه، وأمرنا بتجريده مِن كل ما يملك، وعهدنا به إلى الخوجه مير ميران.

(١) يقصد قلعة ملوت.
(٢) قبيلة البلوج تسكن المنطقة من بهاكر إلى الملتان.
(٣) وردت في النص بلفظ ثلاث كرورات والكرور مائة مائة ألف أى عشرة ملايين.

وفِي يَومِ السبتِ الثاني والعشرين مِن شهرِ ربيع الأول، ذهبتُ بنفسي لإخراج عائلاتهم وحريمهم سالمين. فنزلتُ بالربوة الواقعة أمام باب «قلعة مِلْوَت». وخرج على خان، وقدم مقدارا مِن [النقود] الأشرفي[1] هدية. واستمروا فِي إخراجِ عائلاتهم وحريمهم [مِنَ القَلْعَة] حَتَّى صلاة العصر.

البحث عن غازي خان:

وكان هُنَاكَ مَن يقول: لعل غازي خان خرج مِنَ القَلْعَة ومضي، ومن يقول إنه رآه، ومن يقول إنه مازال داخل القَلْعَة. لهذا وضعنا بالباب بعض الخَوَاص والجندِ للبحث عن الرِجَال المشتبه فيهم، أما الغرض الأساس فهو منع غازي خان مِن الخروجِ حِيلةً، فضلا عن القبضِ عَلَيْهِ إذا أراد إخراج بعض الجواهرِ والأحجارِ الكريمة خِلسةً. وأمرتُ بإقامة خيمة فِي مَوْضِع مرتفعٍ على التل المواجه للباب، وأمضيتُ الليل هُنَاكَ. وفِي الصباح، أصدرتُ الأمر إلى مُحَمَّدي، وأحمدي، وسُلْطَان جُنَيْد، وعبد العزيز، و مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، وقُتْلُقْقَدَم، وبعض الخَوَاص بدخول القَلْعَة، وضبط خزائن [غازي خان] وكل أملاكه. واحتشد جمع مِن النَّاس عِنْدَ باب القَلْعَة. فأطلقتُ عددا مِن السهام بِشَكْلٍ عشوائي لترهيبهم (٢٥٩ب) فأصاب السهم راوي هُمايون فصرعه على الفور.

دخول بَابُر قلعة مِلْوَت ومكتبة غازي خان:

أقمتُ ليلتين فوق هَذهِ الربوة. وفِي يَومِ السبت دخلتُ القَلْعَة وتفرجتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ توجهتُ إلى مكتبة غازي خان وأخرجتُ عددا مِن الكتب القيمة، فأعطيتُ هُمايون بعضا مِنْها، وأرسلتُ عددا آخر إلى كامران. وكانت الكتب الدينية كَثِيرَة جدًا لكن تبينت أن ليس مِن بينها كتبا قيمة كما ظننت للوهلة الأولي. وأمضيتُ الليل فِي القَلْعَة. وفِي الصباح، ذهبتُ إلى المَعَسْكَر. وكنا نظن أن غازي خان مازال داخل الحِصْن، لكن هَذَا الرجل عديم الحمية والرجولة، هَرَبَ إلى الجبل مع بعض الرِجَال تاركًا أباه وأخوته وأخواته فِي «مِلْوَت».

---

(١) الأشرفي،عملة فضية كانت تستخدم فِي زمن الأق قويونلو.

لا تلتفت إلى فاقد الحمية فلن يرى أبدًا وجه السعد

إذ يلتمس الراحة لنفسه، تاركا زوجه وابيه فِي كبد

وتحركنا مِن مكاننا هَذَا يوم الأربعاء(١)، واتجهنا صوب الجبل الذي اعتصم به غازي خان. فسلكنا طريقا عِنْدَ مدخل «مِلْوَت» على مَسَافَة فَرْسَخ مِن المَعَسْكَر، ونزلنا الوادي. وهُنَاكَ، جاء دلاور خان، والتزم.

وأَوْثَقْنَا قَيْدَ دولت خان، وعلي خان، وإسماعيل خان وعدد مِن الكبار، وسَلَّمْنَاهُم إلى كته [بِك] للتحفظ عَلَيْهِم ونقلَهُم إلى «قلعة مِلْوَت» فِي «بَهْرَه» (٢٦٠أ) وبالإتفاق مع دلاور خان، تم تحديد الفدية لبعض الأفراد الذين ظهر مِن يكفُلَهُم، فأطلقنا سراح بعضهم بالكفالة، والبعض الآخر ظل يرسف فِي قيده. وأخذ كته [بِك] الأسرى، وقد مات دولت خان قريبا مِن سُلْطَان پور.

وتَرَكْنَا قلعة مِلْوَت فِي عهدةِ مُحَمَّد علي جِنْكِجَنْك. فترك بها أخاه الأكبر ارغون نيابة عنه، وعددا مِن الفتيان، وعين مائتي رجل مِن الهزاره والأَفْغَان لحراستها. وحَمَّل عددا مِن الإبل بما طلبه الخوجه [كلان] مِن خمر «غَزْنَة». وكان معَسْكَر الخوجه كلان فوق ربوة مشرفة على القَلْعَة والجَيْش، فأقام [مجلس] صهباء هُنَاكَ. فشرب بعضهم الخمر، وشرب بعضهم العرقي، وكان مجلسا جميلا.

وَتَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، فَتَجَاوَزْنَا تِلال مِلْوَت ذات المسالك الكَثِيرَة وجئنا إلى دون. ويسمون الوادي فِي اللُّغَة الهِنْدية باسم «دون». و هَذَا الوادي فِي «الهِنْد» عبارة عن نهرٍ جارٍ، تحفُّه قرى كَثِيرَة. وهذا المكان هو «مقاطعة جِوال» (٢) وحاكمهم هو دلاور خان.

وصف وادي دون:

دون وادٍ جميل. ويحف النَّهْر مَرْج يزرعون بعض أطرافه أُرزا. ويتدفق وسطه نهر يكفي

(١) يقابل١٠ يناير ١٥٢٦م.

(٢) إحدى مُقاطَعات ملوت فِي البنجاب.

لتشغيل ثلاث سواقي أو أربع. واتساع الوادي فَرْسَخ أو أثنين وفي بعض مواضعه ثلاثة فَراسِخ (٢٦٠ب) وجِبَاله تشبه التلال الصغيرة. وتقوم قُراه في سفوح هَذهِ الجِبَال. والأماكن التي تخلو مِن القرى، يكثر فيها الطاووس والميمون، ونوع مِن الدجاج يشبه دجاج المنزل. وهو مثل الدجاج تمامًا. لكن أكثره بلون واحد.

وبسببِ عدمِ معرفةِ خَبَرٍ مؤكدٍ عن مكانِ غازي خان، فقد كلفنا ترديكه، وبريم ديو بالذهابِ إلى كل مكان يحتمل وجود غازي خان فيه، ويأتوا به بأي طريقة.

الاستيلاء على قلعة كوتله:

وفي التِّلالِ الواقعةِ بأطرافِ هَذَا الوادي كثيرٌ مِن القِلاعِ المنيعة. وفي جِهةِ الشمالِ الشرقي مِنْهُ قلعةٌ تسمى قلعة كوتله. تحفها صخور بارتفاع سبعين أو ثمانين ذراعا، ويصل ارتفاعها في جهةِ بابها الكبير إلى سبعة أذرع أو ثمانية، وقد أقاموا جسرا باثنين مِن جزوع الأشجار الطويلة يتكئ على مَوْضِع باتساع عشرة أو اثني عشر ذراعا، وتمر فوقه الخيول والحيوانات. وهذه واحدة مِن القِلاع التي أقامها غازي خان في هَذهِ المنطقة الجبلية. وبها يقيم رِجَاله. فَهَاجَمَتْهَا طلائعنا. ومع حلول المساء، وبينما نَحْنُ على وشك أخذ القَلْعَة، إذا بمن داخل هَذهِ القَلْعَة المنيعه يتخلون عنها ويلوذون بالفرار.

التحرك لقتال ابراهيم اللودي:

وفي أحْوَازِ هَذَا الوادي قلعةٌ أخرى هي«قلعةُ كُنكوته»، وهذه أيضا قلعةٌ منيعةٌ تقوم على حافةِ هاوية. لكنها لَيْسَت بالغة المنعة. وكان عالِم خان قد لجأ إلى قلعة كُنكوته هَذهِ ودخلها كما ذكرتُ سلفًا. (٢٦١أ) وبعد مهاجمة غازي خان، وطِئنا ركاب الهِمة، وأمسكنا عنان التوكّل، وتحَرَّكْنا صوب السُلْطَان ابراهيم بن السُلْطَان سكندر بن السُلْطَان بهلول اللودي الأَفْغَاني وعاصمته «دِهْلي» والمتصرف في ممالِكِ «الهِنْد» آنذاك. وكانوا يقولون إن عنده مائة ألف مِن الجُنْد، ومعه ومع أمرائه زُهاء ألف فيل.

وبَعْدَ مَنْزِلٍ واحِدٍ، أعطينا «ديبالپور» إلى باقي شيغاول إنْعَامًا منا، وأرْسَلْناه إلى «بَلْخ»

للمساعدة، وأرسلتُ الهدايا إلى الأقارب والأبناء فِي «كَابُل» مِن ريع «بَلْخ»، ومن المتاع الذي حَصَّلْنَاه مِن فتح «مِلْوَت».

انضمام عالِم خان إلى بَابُر:

وبَعْدَ مَنْزِلٍ أو اثنين أسفل الوادي، جاء شاه عماد الشيرازي ومعه رسائل مِن ارايش خان والمُلَّا مُحَمَّد مذهب، أظهرا فيها الوِدِّ، وأبْدَيَا تحمسا واهتماما بهذه الحملة. ونحن بدورنا، أرْسَلْنا مراسيم العناية لَهُما مع أحد المشاة، ثُمَّ تقدمنا فِي سيرنا. أما الجُنُود المهاجمون الذين انطلقوا مِن مِلْوَت، فقد جاءوا وانضموا إلينا بعد أن حازوا كل القِلاع الجبلية فِي هرور وكهلور، وتلك النواحي التي لم يستطع أحد أن يذهب إليها مُنْذُ زمن طويل بسبب أهلها وقوة تحصينهم، ونهبوها. كما جاء عالِم خان مشيا على قدميه عاريًا ومشتت الحال. فأرْسَلْنا بعض الأُمَرَاء والخَوَاص بالخيول لمقابلته، فجاء ونحن فِي تلك الأنحية والتزم. (٢٦١ب)

وذَهَبَ المغيرون إلى وِدْيَان هَذهِ الناحيةِ وجِبَالها، ثُمَّ عادوا بعد يوم أو يومين بدون شيء يعتد به. والتمس شاه مير حُسَيْن، وجان بِك وبعض الفتية الآخرين الرخصة بالذهاب للغارة.

وبَيْنَمَا نَحْنُ فِي وادِي [دون]، وَرَدَت إلينا عرائض مِن إسماعيل الجلواني، و"بِبَن" مرتين أو ثلاث مرات. وأرسَلْتُ بدوري المراسيم استجابة لرغبتهما. ثُمَّ غادرنا الوادي وجئنا إلى «اروبر». ونحن هُنَاكَ، انهمر المطرُ غزيرا، وكان الجو باردًا بصفةٍ عامة. وهلك أغلب الهنود الجوعي العراة.

غَادَرْنَا اروبر، وبَلَغْنَا «كرمال» قُبَالَة «سِهْرِنْد». وجاء هنديٌّ يقول: إنه سفير السُلْطَان ابراهيم. وطلب أن نرسل مِن عندنا رسولا، رغم أنه جاء بلا خط أو كتاب. فأرْسَلْنا فِي المقابلِ واحدًا أو اثنين مِن الحرس [مِن أهل] «سواد». وعندما ذهب هذان الضعيفان، أمر ابراهيم [اللودى] بسجنهما. وقد هَرَبَا مِن «سواد»، وجاءا يوم انتصارنا على ابراهيم.

وبَعْدَ مسيرةِ مَنْزِلٍ واحِدٍ، نَزَلْنَا ضَفَّة «نهر بنور وسنور»، وهذا واحدٌ مِن الانهارِ الجاريةِ فِي «الهِنْد» فضلا عن الأنهار الكبيرة، ويُسَمُّونَه «نهر ككّر». وتقع «چُتُر» على حافته.

فذهبنا للتفرج على الطرف العلوي للنهر. وهذا النَّهْر ينبع مِن جدول يعلو «چُتْر» بثلاثة فَرَاسِخ أو أربعة، ومن الوادي الواسع فِي الجانِبِ العلوي للجدول الذي ذهبنا للتفرج عَلَيْهِ، ينبع نهر آخر يمكن أن يدير أربع سواقي أو خمس (٢٦٢أ). وتعلوه قليلًا أماكن مناسبة ولطيفة وطيبة الهواء. فأمرتُ بإنشاء چارباغ عِنْدَ مخرج هَذَا النَّهْر مِن الوادي الواسع. وينثال هَذَا النَّهْر إلى استواء، ثُمَّ يجري مَسَافَة فَرْسَخ أو اثنين ويصب فِي الجدول. وينبع مِنْهُ «نهر ككر». وعندما تزيد مياه هَذَا الجدول فِي فصل المطر أسفل مصب هَذَا النَّهْر بثلاثة فَرَاسِخ أو أربعة، يلتقى مع «نهر ككر»، ثُمَّ يذهب إلى «سامان وسنام».

فِي هَذَا المنزل، علمنا بتحرك السُلْطَان ابراهيم وتقدمه مِن هَذهِ الناحية مِن «دِهْلي»، وأن "حميد خان خاصة خيل"صاحب «قلعة فيروزة»، خرج مع جُنُود القَلْعَة وجُنُود تلك النواحي وصار على مَسَافَة عشرة أو خمسة عشر فَرْسَخا مِنَ القَلْعَة. فأرْسَلْنا كَتَه بِك إلى معَسْكَر ابراهيم لتقصي الأمر، ومؤمن اتكه لتقصي خبر جُنُود قلعة فيروزة.

وفِي يَومِ الأحدِ الثالثِ عشر مِن شهرِ جمادى الأول، تحَرَّكْنَا مِن «انباله»[(١)]، ونزلنا بحافة بحيرة، وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء مؤمن اتكه، و كَتَه بِك.

انتصار هُمايون على حميد خان:

وجَّهنا هُمايون ومعه كل رِجَال المَيْمَنَة، وهم الخوجه كلان، والسُلْطَان مُحَمَّد دولداي، وولي خازن، ومن الأُمَرَاء الذين ظلوا فِي «الهِنْد»، خُسْرو، وهندو بِك، وعبد العزيز، و مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، وفِي المركز شاه منصور برلاس، وكَتَه بِك، ومحب على [القورجي] وهم مِن الخَوَاص والفتيان ومعهم عدد مِن الرِجَال [٢٦٢ب] للتحرك ضد حميد خان.

كما جاء "بِبَن" ونحن فِي هَذَا المنزل والتزم. وهؤلاء الأَفْغَان فِي غاية السذاجة والحماقة. فلم يجلس دلاور خان [فِي حضوري] رغم أنه أعلى مِن "بِبَن" درجة، وأكثر اعتبارا، كذَلِكَ أبناء

(١) تقع شمال باني بت.

عالِم خان لم يجلسوا مع أنهم أبناء السلاطين، أما "بِبَن" هَذَا، فقد رغب فِي الجلوس. فمن ذا الذي يصغي لما يهذي به.

وفِي صَباحِ يَومِ الاثنينِ الرابعِ عشر مِن الشهرِ، توجه هُمايون صوب حميد خان. وكان هُمايون يتحرك بسرعة، وقد أرسلَ مائه أو مائه وخمسين مِن خيرة الفتية ليكونوا مُقَدِّمَة له. فاقتربوا والتحموا [مع حميد خان] فِي قتال، وبعد أن اشتبكوا معهم بالأيدي لمرة أو مرتين، رأى غبار هُمايون وراءه فولى هاربا مِن فوره. فأمسك [هُمايون] بمائةٍ أو مائتين مِن رِجَالَهُم، وضرب أعناق نصفهم، وجاء بالنصف الآخر وسبعة أو ثمانية أفيال. وقد جاء ميرك مُغُول بِك بخبر هذا الفتح [الذي أنجزه] هُمايون فِي يَومِ الجمعة الثامن عشر مِن الشهر أثناء مقامنا فِي معَسْكَرِنا هَذَا، فأنعمنا عَلَيْهِ فِي الحال بطاقم ملابس خاص، وجواد مِن الجياد الخاصة مع وعد أيضا بمكافأة.

وفِي يَومِ الأحدِ الحادِي والعشرين مِن الشهر، ونحن فِي هَذَا المنزل، جاء هُمايون ومعه زُهاء مائة أسيرٍ وسبعةِ أفيالٍ أو ثمانية، والتزم. وصَدَرَ الأمر إلى الأستاذ عليقُلي ورُماة البنادق [٢٦٣أ] بقتل بعض الأسرى رميا بالرصاص سياسةً، وكانت هَذهِ هي أول حملة يقوم بها هُمايون وأول عمل ينجزه، فكان مدعاة لسرورٍ كبير. أما مِن ذهبوا لتعقُّب الهاربين فقد طاردوهم إلى «قلعة فيروزة»، وحازوها مِن فورهم ثُمَّ رجعوا. وكافأنا هُمايون بقلعة فيروزة التي كانت وتوابعها ومُلْحَقَاتها [عبارة عن] ولاية ريعها مائة مائة ألف، فضلا عن مائة مائة ألف أخرى مكافأة له.

وتَحَرَّكْنا مِن منزلِنا هَذَا، وذَهَبْنَا إلى «شاه آباد». ثُمَّ أرْسَلْنا رجلا إلى معَسْكَر السُلْطَان ابراهيم لتقصِّي الأخبار. وتَوَقَّفْنَا فِي هَذَا المنزل عدة أَيَّام، وأرْسَلْنا رحمت پيادة إلى «كابُل» برسائل الفتح.

وفِي يَومِ الإثنَيْنِ الثامنِ والعشرين مِن شهرِ جمادى الأول، دَخَلَت الشمسُ برج الحمل ونحن فِي هَذَا المنزل، وبَدَأَت الأخبارُ تتواتر عن جيشِ ابراهيم، فمن يقول: إنه تحرك مَسَافَة فَرْسَخ أو فَرْسَخَيْن، وإنه يتوقف فِي كل منزل يومين أو ثلاثة أَيَّام.

وتَحَرَّكْنا بدورنا، وبعد منزلين مِن شاه آباد، نَزَلْنا قُبالَة «سرساوه» على شاطئ «نهر جون»، وأرْسَلْنا حيدر قُلي خادم الخوجه كلان لتقصي الأخبار. واجتزتُ مَخَاضَة «نهرجون» وتفرجتُ على «سرساوه». كما أكلنا المعجون فِي ذاك اليوم. وفِي «سرساوه» عين ماء يتدفق ماؤها نَدِرا يسيرا. وقد وصفه تردي بِك خاكسار بأنه مكان طيب.[٢٦٣ب] فقلتُ له: "هي لك"وأعطيته « سرساوه ».

أمرتُ بعمل مجلس فِي السفينة، وكنتُ أتنزه بها أحيانا، وأذهبُ بها فِي بعض الحملات. وتَحَرَّكْنا مِن هَذَا المنزل بمحاذاة شاطئ النَّهْر إلى أسفل مَسَافَة فَرْسَخَيْن. وجاء حيدر قُلي وهو مِن الذين ذهبوا لتقصي الأخبار بخبر أن داود خان، وهيتم خان ومعهما خمسة أو ستة آلاف رجل، تقدموا إلى ناحية «ميان دوآب» على مَسَافَة ثلاثة أو أربعة فَرَاسِخ مِن معَسْكَر ابراهيم، وضربوا دائرة واستقروا هُنَاكَ.

الاستعداد للحرب مع السُلْطَان ابراهيم اللودي:

وفِي يَومِ الأحدِ الثامنِ والعشرين مِن شهر جمادى الآخر[1]، تَحَرَّكْنا ضد هَذَا الفوج، ووضعنا فِي الهجومِ چين تيمورسُلْطَان، والخوجه مهدي، ومُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وعادل سُلْطَان، وفِي المَيْسَرَة السُلْطَان جُنَيْد وشاه مير حُسَيْن و قُتْلُقْقَدَم. وفِي القلبِ الأُمَرَاء يونس على، وعبد الله، وأحمدي، وكَتَه بِك.

وجاوزوا النَّهْر مِن هَذَا المكان عِنْدَ صلاةِ الظهر، وشرعوا فِي التَحَرُّكِ بين صلاتَىْ العصرِ والعشاء، وعَبَر بِبَن النَّهْر متعللا بهذه الغارة، وَوَلَّى هاربا. وأدركوا العدو فِي وقت العصر، وكان [العدو] بدوره قد نَظَّم صفوفه بعض الشيء، وبدوا وكأنهم يتصدون لنا، لكنهم لاذوا بالفرار أمام هجوم رِجَالنا. فتعقَّبَهم رِجَالنا بالضربات حَتَّى ظاهِر معَسْكَر ابراهيم. ووقع هيتم خان الأخ الأكبر لداود خان وأحد ألْقُواد فِي أيديهم، وجاءوا بستين أو سبعين أسيرًا، وستة أو سبعة

(١) يقابل أول أبريل سنة ١٥٢٦م.

أفيال. (٢٦٤أ) فأعملتُ السيف فِي أكثر الأسرى سياسةً[١].

وتحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ، وعاينتُ تنظيم جناحي المَيْمَنَة والمَيْسَرَة وصفوف القلب. وقدرنا عدد الجُنْد، فلم يَكُنْ كما قدرناه تخمينا، فأصدرتُ الأمر بأن يقوم جميع الجُنْد بإحضار العَرَبَات كلٌّ حسب موقعه، فكانت سبعمائة عربة. وصدر الأمر إلى الأستاذ عليقُلي بأن يَجْدِل حبالا ضخمة مِن جلد الثيران بدلا مِن سلاسلِ الحديد بين العَرَبَات وفقَ الأصولِ الرومية[٢]، وربط العَرَبَات ببعضها البعض. وسيكون بين كل عربتين ستة أو سبعة متاريس. ويقف وراءها رُماة البنادق.

وتوقفنا خمسة أيّام أو ستة لهذا الترتيب، وبعد إتمام الأسْبَاب والآلات، عقدنا مجلسا عاما دعونا إليه كل الأُمَرَاء والفتية النابهين، وأبلغناهم القرار التّالي: «پَانِيپَت» مدينة، أحياؤها وبيوتها كَثِيرَة ومنتشرة فِي كل نواحيها. فيلزم أن نحوطها كلها بالعَرَبَات والمتاريس، ويصطف رُماة البنادق والسهام خلف العَرَبَات والمتاريس. وتحَرَّكْنا على هَذَا.

الإعداد لمعركة پانيپَت:

لبثنا هنا ليلة واحدة، وفِي يَومِ الخميس وهو اليوم الأخير مِن شهر جمادى الآخر[٣]. جِئْنَا إلى «پَانِيپَت». وكانت المدينة والأحياء عن يميننا، والمتاريس المجهزة أمامنا، والخنادق وموانع الأشجار فِي بعض الأماكن عن يسارنا (٢٦٤ب). وفِي كل مَسَافَة رمية سهم، تركنا أماكن يمكن أن ينسحب إليها مائه أو مائه وخمسين مِن الفُرْسَان.

وكان بعض الجُنْد لديهم شيء مِن التردد والوجل. لكن لم يعد هُنَاكَ مجال لمثل هَذَا. فلن يَكُنْ سوي ما قدره الله لنا. وليس هُنَاكَ مجال للوهم، فهم أيضًا على حق، فقد قطعوا مِن

---

(١) جاءت فِي التركية للعبرة وفِي الانجليزية للعقاب وكلاهما غير دقيق فِي الدلالة على لفظ سياسة الذى يعني العقاب التعزيري، وهو اصطلاح فقهى يعني انزال عقوبات غير الحدود الشرعية. وقد يقتل المرء تعذيرا أي سياسة.

(٢) يقصد الأصول العثمانية.

(٣) يقابل ١٢ أبريل سنة ١٥٢٦م.

وطنهم طريقا مسيرته شهرين أو ثلاثة، وكان عملَهُم مع قوم غرباء نجهل لغتهم، ويجهلون لغتنا.

جَمْع شتى وجمعهم شتات،

وقوم يُعاني وقوم عُجاب

وكانوا يُقَدِّرُون عدد جُنُود العدو [ابراهيم] بمائه ألف، ويقولون: إن معه هو وأمرائه ما يناهز ألف فيل. وأن معه أموال الخزينة التي بقيت عن والديه.

وفِي «الهِنْد» تقليد، إنه فِي مثل هَذهِ المهام، يجمعون الجُنُود لفترة محددة نظير مال، ويسمونهم "بَد هندي"، فإذا ظهرت الحاجة إلى مائه ألف أومائتي ألف رجل يمكن جمعهم. وقد شاء الله العظيم، فما أرضي جنده، ولا قسَّم خزينته. وكيف يرضى عنه جنده وقد كان غضا بلا تجربه، يتملكه حب المال، ويغلب البخل على طبعه. فكان مجيئه بلا غاية، (٢٦٥أ) وتوقفه بلا اهتمام، وكذَلِكَ قتاله.

وعندما أحكمنا حولَهُم الجُنُود والعَرَبَات وموانع الأشجار والخنادق، عرض درويش مُحَمَّد ساربان قائلًا:عِنْدَمَا يرون ما اتخذناه مِن أَسْبَاب، [سَيّدركون] أن مجيئهم إلينا غير ممكن. فقلت: أتقارن هؤلاء بخان الأُزْبَك وسلاطينهم. لقد خرجنا فِي ذَلِكَ العام مِن «سَمَرْقَنْد»، فلما وصلنا إلى «حِصار»، اجتمع كل خانات الأُزْبَك وسلاطينهم، واتفقوا على السَّيْر إلينا، وجاوزوا در بَنْد وكلَهُم عزيمة. فأدخلنا كل فرسان المُغُول وعائلاتهم وأموالَهُم إلى الأحياء، وأحكمنا تحصينها. ولأن هؤلاء الخانات والسلاطين يعرفون حساب الكرِّ والفرِّ وأصوله، فإنهم عِنْدَمَا عاينوا ما أحكمناه حول «حِصار» ولم يجدوا مِن سبيل لمهاجمتها، انسحبوا مِن نواداك، وتراجعوا إلى نواحي «چَغَانْيان». فلا تُشَبِّه هؤلاء بأولئك، فأولئك يحسنون تقدير الأمر ويتقنون أصول القِتال. وشاء الله أن يجري الأمر حسبما قلت.

معركة پانيپَت[1]:

أَقَمْنَا فِي«پَانِيپَت»سبعة أَيَّام أو ثمانية، وذهب رِجَالنا فِي مجموعاتٍ صغيرةٍ حَتَّى ظاهر

---

(١) تقع فِي الشمال من دهلى

معَسْكَر [السُلْطَان ابراهيم اللودي]. وأطلقوا السهامَ على رِجَاله الكُثْر، وقطعوا رؤوسهم وأتوا بها، فأعجزوهم عن التحرك. وفِي النهاية، تحَرَّكْنَا وفقَ مشورةِ أمراءِ «الهِنْد» وكان بعضهم مخلصًا ومحبًا لنا، وأرْسَلْنا أربعة أو خمسة آلاف رجلٍ للغارة ليلا [على العدو] وعلى رأسهم الخوجه مهدي، و مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وعادل سُلْطَان، وخُسْرو، وشاه مير حُسَيْن، سُلْطَان جُنَيْد برلاس، عبد العزيز الميراخور، مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، و قُتْلُقْقَدَم، وولي خازن، ومحب على [القورچي]، وخليفة، ومُحَمَّد بخش، وجان بِك، وقراقوزي. ولم يتحركوا سويا بسبب عدم تمكنهم مِن تأمين التواصل بينهم تحت جنح الليل، ولم يتمكنوا مِن إنجاز الأمر معا. ومع بزوغ الفجر، صاروا على مقربه مِن معَسْكَر العدو. فقرع العدو طبوله، وعلى الفور انتظمت أفياله وخرجوا لَهُم. والواقع أن [رِجَالنا] تصادموا مع هَذهِ الجحافل لكن لم يلحق بأحد منهم أذى، وخرجوا سالمين معافين، وقد أُصيب مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك بسَهْمٍ فِي قدمه، ورغم أنها إصابة لَيْسَت خطيرة، لَكِنَّهُ يوم الحرب لم يُجْدِ نفعا بسببها.

وعندما تلقيتُ هَذَا الخَبَر، أرسلتُ هُمايون وجنده مَسَافَة فَرْسَخ أو فَرْسَخ ونصف لمواجهتهم، أما أنا فقد خَرَجْتُ مع الجُنْد الباقية فِي شكل منظم. وجاء مَن ذهبوا للغارة الليلية وانضموا إلى هُمايون، فلم يستطع العدو أن يتقدم أكثر، ثُمَّ رجعنا إلى مكاننا. وفِي تلك الليلة حدث فِي الجَيْش هرْج ومرْج عن طريق الخطأ. واستمرت صَيْحَات الحرب وجلبتها لجزء مِن الوقت. واعتري التردد والوجل الجُنُود الذين رأوا هَذهِ الجلبة، وبعد فترة، (٢٦٦أ) سكنت الزيطة.

وفِي وقتِ صلاةِ العصرِ مِن يومالجمعةِ الثامنِ مِن شهرِ رجب، جاءنا خبر مِن [جند] المُقَدِّمَة أن العدو قادم نحونا. فلبسنا الدروع وتسلحنا وامتطينا الجياد. وكان هُمايون، والخوجه كلان، وسُلْطَان مُحَمَّد دولدي، وهندو بِك، وولي خازن، وبيرقلي السسيتاني فِي المَيْمَنَة،و مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، والخوجه مهدي، وعادل سُلْطَان، وشاه مير حُسَيْن، والسُلْطَان جُنَيْد برلاس، وقُتْلُقْقَدَم، وجان بِك، ومُحَمَّد بخشي، وشاه حُسَيْن ياركي، ومغول غانچي فِي المَيْسَرَة.

وچين تيمور سُلْطَان ، وسُلَيْمان مِيرْزا، ومُحَمَّدي كُوكَلْداش، وشاه منصور برلاس، ويونس على، ودرويش مُحَمَّد ساربان، وعبد الله الكتابدار فِي مَيْمَنَة القلب. وخليفة، والخوجه ميرميران، وأحمدي البروانچي، وتردي بِك، وقوج بِك، ومحب على خليفه، ومِيرْزا بِك تَرْخان فِي مَيْسَرَة القلب. و خُسْرو كُوكَلْداش، و مُحَمَّد علي جَنْكِچَنْك في المُقَدِّمَة. وجعلنا عبد العزيز الميراخور فِي القسم الاحتياطي.

وفِي مُقَدِّمَة المَيْمَنَة ولي قيزيل ومعه ملك قاسم بابا قشقه، وفِي مُقَدِّمَة المَيْسَرَة قرا قوزي، وابو المُحَمَّد نيزه باز، وشيخ على، وشيخ جمال بارين، وهندي، وتينري[1] قُلي پشغي المُغُولي، وكانت مهمة هاتين المجموعتين، أن يلتفا حول العدو عِنْدَمَا يلوح غباره، ويحيطا به عن اليمين وعن الشمال.

وعندما بدا لنا غبار العدو، تبينا أنه متجه ناحية المَيْمَنَة بِشَكْلٍ أكبر. ولذَلِكَ أرْسَلْنا عبد العزيز [وقوات] الاحتياط لمساعدة المَيْمَنَة.

وصف معركة پانيپَت:

(٢٦٦ب) وبدا غبارُ السُلْطَان ابراهيم مِن بعيدٍ قادما بسرعة بغيرِ توقف. وعندما دنا منا، بدا له أيضًا غبارنا. ولاحظ هَذَا الترتيب وهذا التشكيل، بدا وكأن [لسان حاله] يقول: أينبغي أن نتوقف أم لا؟ أينبغي أن نذهب أم لا ؟. فما استطاع أن يتوقف، وما استطاع السَّيْر إلينا كما كان يفعل مِن قبل. فأصدرنا الأمر بأن يلتف رِجَال الكمين خلف العدو مِن اليمين والشمال، ويتراشقوا معه بالسهام، بَيْنَما تتقدم فرق المَيْمَنَة والمَيْسَرَة وتهاجمه.

وفِي أول الأمر، هاجم الخوجه مهدي مِن فرق المَيْسَرَة، فخرج له فوج منهم ومعهم فيل، فأطلق [رِجَاله] عَلَيْهِم وابلا مِن السهام، فهزموهم وأجبروهم على التراجع. وأرْسَلْنا أحمدي البروانچي، وتردي بِك، وقوچ بِك، ومحب على خليفة مِن المَيْسَرَة ليدعموا القلب. وكانت المَيْسَرَة مستمرة فِي القِتَال. وأصدرنا الأمر إلى مُحَمَّدي كُوكَلْداش، وشاه منصور برلاس،

---

(١) تنطق تينرى..

ويونس على، وعبد الله بالتحرك مِن المركز، والتقدم لمواجهة العدو. ومن مُقَدِّمَة القلب أطلق الأستاذ على قُلي عدة قذائف جيدة [بالمدفع] بالأفرنكى، كما أحسن مصطفي الطوبجي مِن مَيْسَرَة القلب إطلاق القذائف بالمدافع المحمولة على العَرَبَات. والتي تستخدم عِنْدَ القِلاع. (٢٦٧أ)

وأحاطت فرقُ المَيْمَنَة والمَيْسَرَة التي فِي المركزِ والكمين بأطرافِ العدو. وشنوا هجماتا خاطفة لمرة أو مرتين. وأطلق رِجَالنا السهام، ودفعوا بهم إلى مراكزهم مرة ثانية تحت وابل مِن السهام. وتجمعت فرق مَيْمَنَة ومَيْسَرَة العدو كلها فِي مَوْضِع واحد، فحوصروا مِن كل جانبٍ ولم يجدوا سبيلا للتقدمِ أو الهَرَب.

وعند بدءِ المَعْرَكَة، كانت الشمسُ بارتفاعِ مزراق. واستمرت المَعْرَكَة حاميةُ الوطيس حَتَّى الظهيرة، وعندها صار العدو مغلوبا ومقهورًا، والأحياء مبتهجين مسرورين. فبفضل الله وكرمه، يَسَّرَ لنا أمرا صعبا كهذا، وصار جيشا جرارا [كجيش السُلْطَان ابراهيم اللودي مطروحا] فوق الثري فِي نصفِ يوم،. وقتل خمسة أو ستة آلاف رجل فِي مَوْضِع قريب جدًا مِن [السُلْطَان] ابراهيم. وكنا نظن أن عَدَدَ مَن قتلوا فِي هَذهِ المَعْرَكَة فِي كل الجهات حوالي خمسة عشر أو ستة عشر ألف رجل. فلما جِئْنَا «أَكْرا» بعد ذَلِكَ، تبين مما قاله أهل «الهِنْد» أنه قتل فِي ساحة هَذهِ المَعْرَكَة أربعون أو خمسون ألف رجل.

هزمنا العدو، وتعقبناه بالضرب. وبدأ [رِجَالنا] فِي إحضار أمراء [العدو] وجُنُوده الأسرى. وجاء أصحاب الفيلة بأفيالَهُم قطعانا. وقدموها هدية.

وتعقبنا العدو، (٢٦٧ب) ولاعتقادنا أن ابراهيم خرج [حيا مِن المَعْرَكَة] فقد كلفنا متعقبين مِن الفرقة الخاصة بقيادة قسمتاي مِيرْزا، وبابا چهره، وبوجكه، بالتعجيل بالسَّيْر لإدراكه، وأسره قبل أن يَبْلُغ «أَكْرا».

مقتل السُلْطَان ابراهيم اللودي:

وخضنا داخل معَسْكَر ابراهيم، وشاهدنا خيامهم وبيوتهم، ونزلنا إلى حافةِ نهرِ قراسو.

وقبيل العصر، تعرف طاهر تبري الأخ الأَصْغَر لزوجة خليفة عَلَى جُثَّةِ السُلْطَان ابراهيم بَيْنَ رُكَامِ الموتى، فجزَّ رأسَه وجاء بها. وفِي ذَلِكَ اليوم، كَلَّفْنَا هُمايون مِيرْزا، والخوجه كلان، ومُحَمَّدي، وشاه منصور برلاس، ويونس علي، وعبد الله ولي بالسَّيْر فورًا وبسرعةٍ بدون أَثْقال، والاستحواذ على «أَكْرا» والسيطرة على خزائنها. كما كلفنا الخوجه مهدي، ومُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وعادل سُلْطَان، والسُلْطَان جُنَيْد برلاس، وقُتْلُقْقَدَم، بالتحرك على وجهِ السرعة وبدون أَثْقال لدخول قلعة «دِهْلي»، والتحفظ على خزائنها.

تَحَرَّكْنَا فِي اليومِ التَّالِي، وبعد مسيرة فَرْسَخ نزلنا بضَّفَّة«جون» لراحةِ الخيل. وتقدمنا منزلين. وفِي يَومِ الثلاثاء، طُفْنا بمزارِ الشَّيْخ نظام أوليا، ونزلنا بضَّفَّة «جون» قُبَالَة «دِهْلي».

بَابُر فِي دِهْلي:

وفِي مساءِ يَومِ الأربعاء، تفرجنا على حصن «دِهْلي»، وأمضينا الليل هُنَاكَ.

وفِي اليَومِ التَّالِي وهو يومُ الخميس، طوَّفْنا بمزارِ الخوجه قطب الدين. وتفرَّجْنا على المقابرِ والعماراتِ والمناراتِ وحوضِ الشمسِ والحوضِ الخاص بالسُلْطَان غياث الدين بَلْبَن والسُلْطَان علاء الدين الخلجي (٢٦٨أ) ومقابر وحدائق السُلْطَان بهلول والسُلْطَان سكندر [اللودي]، ثُمَّ جِئْنَا إلى المعَسْكَر، وركبنا السفينة، وشربنا العرق.

وجعلنا ولي قيزيل عاملنا على «دِهْلي» إنْعَامًا مِنَّا، وجعلنا دوست علِي عَلَى ديوانها، وختمنا على الخزائن، وجعلناها فِي عهدته.

قراءة الخطبة فِي دِهْلي باسم بَابُر:

وفِي يَومِ الخميس، نهضنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا بضَّفَّة «جون» أمام طغلق اباد. وتوقفنا هُنَاكَ يوم الجمعة، وذهب مولانا مُحَمَّد مع الشَّيْخ زين، وأقاما صلاة الجمعة فِي «دِهْلي»، وقرءا الخطبة باسمي، ووزعا قدرا مِن المال على الفقراء والمساكين. ثُمَّ جاءا إلى الجَيْش.

السَّيْر إلى أَكْرا:

تَحَرَّكْنَا مِن هَذَا المنزل يوم السبت، وتَقَدَّمْنَا مِن منزِلٍ إلى آخر قاصدين «أَكْرا»،

وذهبتُ، لأتفرج على «طغلق اباد»، ثُمَّ رجعتُ إلى الجَيْش.

وفِي يَومِ الجمعة الثاني والعشرين مِن شهر رجب، نزلنا بمنزل سُلَيْمان فَرمُلي فِي ضواحي «أَكْرا». ولأن هَذَا المكان بعيد جدا عن القَلْعَة، فقد غادرناه فِي اليوم التَّالِي، ونزلنا بقصر جلال خان جكهت. وكان هُمايون قد سبقنا فِي المجيء، وأبدى مَن فِي القَلْعَة الأعذار والحيل، فلاحظ همايون ما يسعون إليه مِن فوضى، وأدرك أنهم يريدون الاستيلاء على الخزينة، فظل يرقب مخارج الطرق لحين حضورنا.

وكان آباء بكر ماجيت هندو ملك «كواليار». قد أقاموا سلطنتهم فِي ولاية «كواليار» قبل أكثر مِن مائه سنة (٢٦٨ب). وقد أقام سكندر[اللودى] بضع سنوات فِي «أَكْرا» وعَيْنُه على «كواليار». وفيما بعد، شن أعظم هُمايون السرواني عدة حروب ضروس [لذات العناية] فِي زمن ابراهيم [اللودى]. وفِي النهاية أخذها مِنْهُ صُلْحا، وأعطاه شمس آباد عوضا عنها. وقد ذهب بكر ماجيت إلى الجحيم.

إهداء الماسة كوهِ نور إلى هُمايون[1]:

وعندما هزمنا السُلْطَان ابراهيم،كان أهل بيته وذراريه فِي «أَكْرا». فلما جاء هُمايون إلى «أَكْرا» كان أهل بيت بكر ماجيت عازمين على الهَرَب. لكن مواقع رِجَالنا حالت دون هَذَا، فقد كانوا تحت المراقبة، كما أن هُمايون ما كان ليسمح لَهُم بذَلِكَ. فَقَدَّمُوا برغبتهم عددا مِن الجواهر والأحجار الكريمة هدية إلى هُمايون. ومن بينها الماسة المشهورة [كوهِ نور] التي حازها السُلْطَان علاء الدين. وكانت مشهورة جدا حَتَّى أن أحد الخبراء قدَّر قيمتها بأنها تساوي نفقات العالم كله لمدة يومين ونصف. والأغلب أنها تزن ثمانية مثاقيل[2]. وقد أهداني هُمايون إياها عِنْدَ

---

(١) هَذِهِ الماسة معروفة باسم كوهِ نور أى جبل النور، وتزن ١٨٦ قيراطا، وقد أخذتها بريطانيا أثناء احتلالها للهند. وهذه الماسة تزين الآن التاج البريطانى.

(٢) المثقال وحدة وزن تساوي درهم وثلاثة أسباع الدرهم. والدرهم يساوى اثنى عشر جزء من الأوقية، والأوقية جزء من اثنى عشر جزء من الرطل.

مجيئي [إلىأَكْرا]. فوهبتها إلى هُمايون.

ومن الفُرْسَان والرِجَال المعروفين الذين كانوا داخل القَلْعَة؛ ملك دادكراني، وملي سوردك، وفيروز خان الميواتي، وظهرت منهم بعض الحيل، فعاقبناهم سياسةً. والتمس البعض استثناء ملك دادكراني مِن العقاب، وظلوا لمدة أربعة أَيَّام أو خمسة يترددون عَلَيْنا جيئة وذهابا لحين الاستقرار على قرار. فأظهرتُ لَهُم العناية والشفقة استجابة لَهُم، وأعطيناهم كل أملاكه.

دخول بَابُر أَكْرا:

وأعطينا أم ابراهيم [اللودى] وقدامى موظفيه مقاطعة ريعها سبعمائة ألف. (٢٦٩أ) كما أعطينا لِكُلِّ واحد مِن الأُمَرَاء الآخرين مقاطعة على حدة. وأخرجناها إلى حيث تقيم على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «أَكْرا».

وفي يَومِ الخميس الثامن والعشرين مِن شهر رجب، دخلنا «أَكْرا» فِي وقت العصر، ونزلنا بقصر السُلْطَان ابراهيم.

حملات بَابُر على الهِنْد:

لقد أخذنا ولاية «كَابُل» فِي سنة تسعمائة وعشر، ومن وقتها ونحن نتمني الاستحواذ على «الهِنْد» كلها. لكن لم يتيسر لنا القيام بحملة على «الهِنْد»، وتسخير ممالكها، تارة بسبب تراخي الأُمَرَاء، وتارة بسبب عدم مؤازرة إخوتي، وفِي النهاية، زالت كل الموانع. وأصبح كل الأُمَرَاء الكبار والصغار جميعهم معى على كلمة واحدة.

وفِي سنة تسعمائة وخمس وعشرين، سقنا العَسْكَر، وهاجمنا «بَجُور»، وأخذناها بالقوة فِي جزئين أو ثلاثة أجزاء [مِن اليوم] [1]. وبعد أن أعملنا السيف فِي أهلها جِئْنا إلى «بَهْرَه»، فأمنَّا [أهلها] على أموالَهُم، ووضعنا عَلَيْهِم فدية، مقدارها أربعمائة ألف شاهرُخي نقدًا أو عينًا. ووزعنا الجُنْد حسب عدد أهلها، ثُمَّ رجعنا إلى «كَابُل».

ومنذ ذَلِكَ التاريخ وحَتَّى سنة تسعمائة وثلاثين واثنتين، أَرْسَلْنا الجُنْدَ إلى «الهِنْد» [أربع

(١) الجزء من الوقت يساوى اثنتين وعشرين دقيقة.

مرات] حَتَّى أمكنَنَا فِي المرةِ الخامسةِ بفضل الله وكرمه، أن نَجْعَل عدوا مثل السُلْطَان ابراهيم مقهورا أبترا، وتيسرلنا تسخير ممالك «الهِنْد».

تاريخ الهِنْد:

مُنْذُ عصرِ النبوةِ إلى يومنا هَذَا، حكم «الهِنْد» ثلاثة سلاطين، أقاموا سُلْطَانهم فيها. أولَهُم، السُلْطَان محمود الغازي[1]، وقد اعتلى أولاده كرسي الحكم فِي «الهِنْد» زمنا طويلا.

والثاني، هو السُلْطَان شهاب الدين الغوري[2] (٢٦٩ب)، وقد استمرت سلطنة مماليكه وأتباعه فِي هَذهِ الممالك لسنوات طويلة.

والثالثة، هي سلطنتا نَحْنُ. لكن ما قمتُ به لا يقارن بما قام به هذان السُلْطَانان. فعندما سخَّر السُلْطَان محمود «الهِنْد»، كانت «خُراسان»فِي قبضته، وسلاطين خوارزم، و دار المرز[3] طوع أمره، وخاضعين له، وسُلْطَان «سَمَرْقَنْد»تحت يده. وكان جنده يزيد عن مائه ألف ودون المائتين، وأعداؤه هم سلاطين «الهِنْد» مِن الراجاوات [أي الأُمَرَاء]، ولم تكن «الهِنْد» كلها فِي قبضة سُلْطَان واحد. فكل أمير هندى هو صاحب السَّلْطَنَة فِي ولايته.

ورغم أن سلطنة «خُراسان» لم تكن للسُلْطَان شهاب الدين الغورى، فإنها كانت لأخيه الكبير غياث الدين الغورى. وكما جاء فِي [كتاب] طبقات ناصري، أنه ساق إلى «الهِنْد» فِي مرة واحدة مائة وعشرين ألف فارس مدرع، وكان خصومه أيضًا من الراي والراجه [سلاطين وحكام الهِنْد]. ولم تكن «الهِنْد» كلها لرجل واحد.

وعند مجيئنا إلى «بهْرَه» هَذهِ المرة، كان معي ما يناهز ألف وخمسمائة إلى ألفي رجل. أما فِي المرة الخامسة، فقد جئتُ وتغلبتُ على السُلْطَان ابراهيم، وفتحت ممالك «الهِنْد». ولم يأت إلى «الهِنْد» فِي أي زمن قط مثل هَذَا العدد مِن الجُنْد الذي جئتُ به، إذ كان جُملة مَن كان

---

(١) محمود الغزنوى (ت ٩٩٧هـ=١٠٣٠م) فاتح الهِنْد و مؤسس الحكم الإسلامى فِي الهِنْد.

(٢) مؤسس الدولة الغورية فِي الهِنْد سنة ٥٨٢هـ= ١١٨٦م.

(٣) جاءت فِي الانجليزية بمعنى التخوم.

معي مِن الخدم والتجار والعبيد يناهز إثنى عشر ألفا. وكانت الولايات التي تتبعنا هي (٢٧٠أ) «بَدَخْشان»، و«قُنْدُز»، و «كَابُل» و«قَنْدَهار». لكن ليس مِن هَذهِ الولايات نفع يعتد به. بل ربما احتاج بعضها إلى مَدَدٍ كبيرٍ بسببِ وقوعها قريبة مِن العدو. وكانت كل ولايات «ما وراء النَّهْر» تحت تصرف خانات وسلاطين الأُزْبَك. ولَهُم مِن الجُنْد ما يناهز المائه ألف، وهم أعداء لنا مُنْذُ القدم. أما مملكة «الهِنْد»، فكانت مِن «بَهْرَه» إلى «بَهَار» تحت تصرف الأَفْغَان.وسُلْطَانها هو السُلْطَان ابراهيم [اللودي]. وبحساب الولاية، يجب أن تحوز مِن الجُنْد خمسمائة ألف. وبسبب أمرائها المخالفين[١] آنذاك، فالمتوقع أن يكون عدد الجُنْد بها مائه ألف. ويقال إنه كان يحوز وأمراؤه ألف فيل.

توكلنا على الله بهذا الحال وهذه القوة، وقد خلينا وراءنا عدوا قديما ذا قوة قوامها مائه ألف وهم الأُزْبَك. فوجدنا أنفسنا فِي مواجهة سُلْطَان كثير الجُنْد، واسع المُلك هو السُلْطَان ابراهيم [اللودى]. وبِحُسْن توكلنا هَذَا، لم يضيّع الله سبحانه وتعالى تعبنا وما كابدناه هباءً، فظهرنا على عدو قوي كهذا، وفتحت لنا بلاد وَاسِعَة كالهِنْد. ونعرف أن هَذَا الفَلاح ليس بجهدنا وقوتنا، لَكِنَّهُ محض لطف مِن الله ورحمة، وهذه السعادة أيضًا لَيْسَت مِن سعينا وهمتنا، لكنها مِن الله عين الكرم والعناية.

حدود الهِنْد:

وممالك «الهِنْد» وَاسِعَة وأهلها كُثُر، وريعها كبير. (٢٧٠ب) تنتهي مِن الشرق والجنوب والغرب إلى البحر المحيط[٢]. وشمالها جبل متصل بجِبَال «هندوكش» و«كافرستان» و«كشمير» وفِي الشمال الغربي مِنْها «كَابُل»، و«غَزْنَة»، و«قَنْدَهار».

سلاطين الهِنْد قبل بَابُر:

كانت «دِهْلي» عاصمة جميع ولاية «الهِنْد». وبعد السُلْطَان شهاب الدين الغوري،،

(١) جاءت فِي الانجليزية الشرقيين
(٢) أي ما يعرف اليوم باسم المحيط الهِندى.

أصبح أكثر «الهِنْد» تحت إدارة سلاطين «دِهْلي» حَتَّى آخر عهد السُلْطَان فيروز شاه. وفِي هَذَا التاريخ، فتحتُ «الهِنْد»، وكان خمسة سلاطين مِن المسلمين واثنان مِن الكُفَّار قد أقاموا سلطنتهم فِي «الهِنْد»، وكثير مِن الإمارات الصغيرة والكبيرة فِي الجبل والأدغال [يحكمها ولاة وأمراء يلقبون] الراي والراجه، لكنهم كانوا معتبرين ومستقلين.

السَّلْطَنَة الأولى، سلطنة الأَفْغَان، وعاصمتهم «دِهْلي». وفِي قبضتهم الأماكن مِن «بَهْرَه» إلى «بَهَار». وقبل الأَفْغَان كانت «جونپور» فِي قبضة السُلْطَان حُسَيْن شرقي، اويُطْلِقُون عَلَيْهِم اسم پُورَبي. وكان آباؤهم سقاة السُلْطَان فيروز شاه وأولئك السلاطين. وبعد فيروز شاه تسلطوا على مملكة جونپور. وكانت «دِهْلي» فِي يد السُلْطَان علاء الدين وهو مِن طبقة السادة، وكان تيمور بِك قد أعطى أباءهم حكومة «دِهْلي» عِنْدَمَا أخذها.

وقبض السُلْطَان بهلول اللودي الأَفْغَاني وابنه السُلْطَان سكندر على العاصمتين «دِهْلي» وجونپور، وصار كل منهما سُلْطَانا فِي عاصمة.

و[السَّلْطَنَة] الثانية، للسُلْطَان مُظَفَّر فِي كُجَرات. وقد توفي قبيل فتح السُلْطَان ابراهيم [كُجَرات] بأَيَّامٍ.(٢٧١أ) وكان سُلْطَانا عارفا متمكنا بالشريعة، وطالبا للعلم. يقرأ الحديث، ودائم الانشغال بنسخ المصحف. ويُطْلِقُون على طبقتهم [أسرتهم] اسم تانك. وآباؤه أيضًا كانوا سقاة السُلْطَان فيروز وأولئك السلاطين، وبعد فيروز شاه، صارت ولاية كُجَرات فِي قبضتهم.

و[السَّلْطَنَة] الثالثة، هم البهمنيون فِي الدكن. لكن فِي هَذَا الحين، كان سلاطين الدكن لا حول لَهُم ولا قوة. واستولى الأُمَرَاء الكبار على كل ولاياتهم. فإذا احتاج [سُلْطَان الدكن] لشيء، طلبه منهم.

والسلطنة الرابعة، للسُلْطَان محمود فِي ولاية «مالوه» التي يسمونها منداو. ويسمون هَذِهِ الطبقة الخلجيين. وقد هاجمهم الكَافِر راناسَنْكَا وحاز أكثر الولاية. فذهبت قوتهم. وآباء الخلجيين أيضا ممن رباهم فيروز شاه، ومن بعده صارت ولاية «مالوه» فِي قبضتهم. والخامسة، لنصرت شاه فِي ولاية بنكاله.

ولاية بنكاله:

كان والد نصرت شاه سُلْطَانا فِي «بنكاله». وكان سَيِّدا. وتلقب باسم السُلْطَان علاء الدين. وقد انْتَقَلَت له السَّلْطَنَة بالإرث. وفِي بنكاله تقليد غريب، فقلما يقع توارث السَّلْطَنَة. فالسُلْطَان له [العاصمة] مقر العرش، وكل واحد مِن الأُمَرَاء والوزراء وأصحاب المناصب له مكان محدد. وهذه الأماكن هي المعتبرة لدى شعب بنكاله. ولكل واحد منهم جنده وخدمه المحددين المنقادين له. ولو أراد السُلْطَان نَصْب شخص ما أو عَزْله (٢٧١ب) أو تعيين أي شخص مكانه، فكل الجُنْد والخدم المطيعة والتابعة لذَلِكَ المكان تصير لذَلِكَ الشخص، والأمر نفسه فِي تولي عرش السَّلْطَنَة. فإذا قام أحد بقتل السُلْطَان ووجد الفرصة لاعتلاء العرش يصير هو السُلْطَان. ويطيعه كل الأُمَرَاء والوزراء والفُرْسَان والرعية وينقادون له. ويسلمون به سُلْطَانا مثل السلاطين القدامي ويطيعون أوامره.ومقولة أهل بنكاله هي: نَحْنُ مخلصون للعرش نطيع مَن يعتليه ونخضع له. ولاسيما أنه قبل السُلْطَان علاء الدين ابو نصرت شاه، حدث أن حبشيا(١) قتل السُلْطَان واعتلي العرش، وتولى السَّلْطَنَة لفترة. وكذَلِكَ السُلْطَان علاء الدين اعتلى العرش بعد قتله لذَلِكَ الحبشي، والآن صار ابن السُلْطَان علاء الدين(٢) سُلْطَانا بالإرث.

وتقليد آخر فِي. فمن العار على مَن يصبح سُلْطَانا، أن يصرف مِن خزائن السُلْطَان السابق، ويجب على كل مَن يعتلي عرش السُلْطَان أن يجمع الخزينة مِن جديد. وجمع الخزينة، مدعاة فخر ومباهاة أمام الأهالي.

ومن تقاليدهم أيضًا، أن خزانة السلاطين المعينة والمقررة مِن قديم ومرابط الخيل، وجميع منشآتهم ومقاطعاتهم، لا يُنفق مِن ريعها مطلقا، على أي مكان آخر سواها.

هؤلاء هم السلاطين المسلمون، ذوي الاعتبار أصحاب الجُنُود الغفيرة،والولايات الكَثِيرَة.

ومن الكُفَّار الذين حكموا فِي «الهِنْد» الملك بِيجانكَر، وهو أحدُ الكبارِ مِن حيث الجُنُود

(١) ذكرت الترجمة الانجليزية أن هَذَا الحبشى اسمه مُظَفَّر شاه.

(٢) اسمه نصرت [الترجمة الانجليزية].

الغفيرة والولايات الكَثِيرَة. (٢٧٢أ) وآخر هو راناسَنْكَا، الذي ارتفع نجمه مؤخرا بجرأته وسيفه. اصل ولايته چيتور، وعندما انهارت سلطنة مندو، أخذ الولايات التابعة لها مثل «رَنْتَبور»، و«سارنكپور»، و«بَه لَسَان»، و «چنديري».

وفي سنة ٩٣٤[هـ] [(١)]، حاربنا بعون الله في «چَنْدِيرِي» لعدة سنوات، وكانَ بها رجلا معتبرا مِن رجَال راناسَنْكَا اسمه ميدني راو، ومعه أربعة أو خمسة آلاف كافر. فشددتُ عَلَيْهِ الهجوم مرة أو مرتين، فأخذتُها وأبَدْتُ الكُفَّار، وأقمتُ دار الإسلام. وهو ما سيأتي ذكره بالتفصيل فيما بعد. وكان في أنحاء «الهِنْد» وأطرافها كثير مِن [الأُمَرَاء الهنود ممن يلقبون بألقاب] الراي والراجه. خضع بعضهم لسلاطين الإسلام، بَيْنَمَا لم يخضع بعضهم الآخر بسبب بُعد مناطقهم، أو منعة أماكنهم.

جغرافية الهِنْد:

و«الهِنْد» مِن الإقليم الأول والثاني والثالث. ودون الرابع. وهي ولاية غريبة، إنها عالم آخر[مختلف] عن ولاياتنا.

جِبَالها وماؤها، أدغالها وسهولها، أرضها وولاياتها، حيواناتها ونباتها، أهلها ولغتها، مطرها ورياحها، كلها شيء مختلف تمامًا. فكَابُل ومُلْحَقَاتها مِن الإقليم الحار، ولو أن بعضها يشبه «الهِنْد» في بعض أحوالها، فإن بعضها الآخر لا يشبهها. وبمجرد تجاوز نهر السِّنْد [(٢)]، فإن كل شيء يكون على طريقة «الهِنْد»؛ الأرض والنَّهْر، والشجر والحجر، والقَبَائِل والعَشَائِر، والعادات والأعراف.

---

(١) يقابل عام ١٥٢٨م.

(٢) نهر السِّند هو أطول أنهار الهِنْد يبلغ طوله ألف ميل، وله خمسة روافد هى بهت، وجاناب، وراوي، وبياه، وسُتْلُج، وقد عرف الإقليم الذى تجرى فيه هَذهِ الروافد باسم البنجاب بمعنى الأنهار الخمسة ـ أما الرافد السادس فهو نهر كَابُل الذى ينبع من جبال الهِنْدكوش ويلتقى بالسِّنْد في ناحية الغرب كما ان في البنجاب بوابة الهِندستان وهى دَرْب خيبر ومنـــه نفذ أغلب الغزاة والفاتحين للهـند .. أنظـر، الساداتى، تاريخ المسلمين، ج١، ص٦.

وكما ذكرنا، تقوم الجِبَال فِي الجهة الشمالية، وولايات هَذهِ الجِبَال الكائنة فِي ذَلِكَ الجانب مِن «نهر السِّنْد»، خاضعة كلها لكشمير.

ورغم أن أكثر ولاياتٍ فِي هَذهِ الجِبَال مثل «بكلي» و«شهمنك» كانت خاضعةً لكشمير مِن قبل، لكنها الآن غير خاضعة لها. وبعد تجاوز كشمير، نجد فِي هَذهِ الجِبَال مالا يعد ولا يحصي مِن القَبَائِل والعَشَائِر والمقاطعات والولايات. وتسكن هَذَا الجبل [الممتد] مِن بنكاله إلى ساحل المحيط جماعات كَثِيرَة. ولم نعرف مِن أهل «الهِنْد» خبرا مؤكدا عن هَذهِ الجماعات رغم البحث والتدقيق. وقالوا أنهم يدعون أهل باسم " كَسْ"، وجال بخاطري أن أهل «الهِنْد» ينطقون حرف الشين، سينًا، ولأن «كشمير» هي أكبر المدن فِي هَذَا الجبل، ولعلَهُم لا يعرفون مدينة أخرى سواها، ولهذا ينطقونها «كشمير».

وتجارة أهل هَذَا الجبل هي المسك، وثور البحر، والزعفران، والرصاص، والنحاس، وأهل «الهِنْد» يُطْلِقُون على هَذَا الجبل اسم «سوا لك پربت». وسوا فِي لغة «الهِنْد» تعني ربع، و لك تعني مائه ألف، وپربت تعني جبل. ومعناها جبل رُبع المائة ألف جبل، أي المائتين وخمسين ألف جبل. وهذه الجِبَال لا ينقطع عنها الثلج أبدًا. ويظهر الثلج فِي بعض ولايات «الهِنْد» مثل «لاهور» ،و«سِهْرِنْد»، و«سُنيْل». وهذا الجبل معروف فِي «كَابُل» باسم «هندكوش». ويمتد مِن «كَابُل» جهة الشرق ويميل جزءٌ مِنْهُ ناحيةَ الجنوب، والطرف الجَنُوبِيّ هو «الهِنْد» تماما. وشمال هَذَا الجبل وهذه القَبَائِل غير المعلومة التي يسمونها كَسْ (٢٧٣أ) [تقع] «ولاية التبت ».

أنهار الهِنْد:

وتخرج مِن هَذَا الجبلِ(١) أنهارٌ كَثِيرَة تجري داخل «الهِنْد»، فمن «سِهْرِنْد» فِي اتجاه الشمال تجري ستة أنهارٍ هي؛ «السِّنْد»، و«بهت»، و«جاناب»، و«راوي»، و«بياه»، و«سُتلُج»، وكلها تخرج مِن هَذَا الجبل وتتحد بنواحي «مُلْتَان»، ويُطْلِقُون على المكان الذي

(١)يقصد جبال هندوكوش.

تجتمع وتتحد فيه اسم السِّنْد. ويجري هَذَا النَّهْر جهة الغرب، فيمر مِن داخل «ولاية تته»، ثُمَّ تصب فِي المحيط. وغير هَذهِ الأنهار الستة، يُوجَد كثير مِن الأنهار الأخرى مثل «جون»، و«كُنك»، و«ربت»، و«كومتي»، و«ككر»، و«سرو»، و«كندك». وكلها تتحد مع «نهركُنك»، وتصب جهة الشرق باسم «نهركُنك»، ثُمَّ تمر مِن داخل «ولاية البنكاله»، وتصب فِي المحيط. ومنبعها كلها «سوا لك پربت». وبعض الأنهار، تخرج مِن جِبَال «الهِنْد» مثل «جنبل»، و«بناس»، و«بيتوي»، و«سون»، ولا يُوجَد ثلج مطلقًا فِي هَذهِ الجِبَال. وهذه الأنهار أيضًا، تتحد مع «نهر كُنك».

جِبَال الهِنْد:

وبالهِنْد جِبَال عِدَّة، واحد مِنْها يمتد مِن الشمال إلى الجنوب، ويبدأ مِن العمارة المسماه فيروز شاه جهان نُما فِي ولاية «دِهْلي»، وتقوم فوق جبل حجري صغير، وبعد تجاوزها تظهر جِبَال صخرية صغيرة ومتفرقة هنا وهُنَاكَ قريبا مِن «دِهْلي»، وعند ولاية «ميوات»، تبدو هَذهِ الجِبَال أكبر قليلًا، وبعد أن تجتاز «ميوات» (٢٧٣ب) تمتد إلى ولاية «بيَانه».

كذَلِكَ جِبَال «سيكري»، و «باري»، و«دُولپُور» فإنها مِن سلسلة هَذَا الجبلِ بالرغم مِن أنها غير متصلة به.

كذَلِكَ جِبَال «كواليار» التي يُطْلِقُون عَلَيْها اسم «كاليور»، فإنها مِن سلسلة هَذَا الجبل (١). ومن سلسلة هَذَا الجبل أيضا جِبَال «ونتنپور»، و«جيتور»، و«منداو»، و«چنديري». وفي بعضِ الأماكنِ تنقطع الجِبَال لمسافةِ سبعةٍ أو ثمانية فَرَاسِخ. وهي عبارة عن جِبَال منخفضة، وعرة ذات أحجار وأدغال، ولا يسقط عَلَيْها الثلج بتاتا على هَذهِ الجِبَال، وتنبع مِنْها بعض أنهار «الهِنْد».

طريقة الريّ فِي الهِنْد:

وأكثرُ ولاياتِ «الهِنْد» تقومُ فِي أماكنِ منبسطة. وتخلو المدنُ والولاياتُ مِن أي ماء جار.

(١) أضافت الانجليزية هنا رغم أنها غير متصلة به.

والماء الجاري هو الأنهار. ويُوجَد فِي بعضِ الأماكن بركُ ماء. ورغم أن بعضَ المدن، يمكن الحفر فيها واستخراج الماء، إلا أنهم لايفعلون ذَلِكَ. ولهذا أَسْبَاب مِنْها، أنه لا حاجة مطلقًا للماء فِي الزراعةِ أو الحدائق.كما أن محصولَ الخريف ينمو بالأمطارِ المَوْسِمِيَّة. والغريب أن محصولَ الربيعِ ينمو وإن لم تكن تسقط أمطار. فهم يَرْوون شتلاتَ الأشجارِ لمدةِ عامٍ أو اثنين بالدلاءِ أوالسواقِي، وبعد ذَلِكَ لا تصبح هُنَاكَ ضرورة لريها أصلا. ويروون فقط بعض أنواع الخُضَر.

وفِي «لاهور»، و«ديپالپور»، و «سِهْرِنْد» وتلك النواحي، يروون [الزراعات] بالساقية. فيربطون حبلين طويلين على هيئةِ حلقةٍ بعمقِ البئر، ويربطون بين هذين الحبلين قطعا مِن الخشب، ويربطون فيها الدلاء. ويضعون الحبلَ الذي يربط هَذهِ الدلاء (٢٧٤أ) على عجلةٍ فوقَ البئر. وأمام هَذهِ العجلة عجلة أخرى فِي عمودٍ مائل، وعندما يدير الثور العجلة، تتداخل أسنان العجلة الأولى فِي أسنانِ العجلةِ الثانية، فتدور العجلةُ ذات الدلاء وتحملُ الماء، وتصُبّه فِي الميزابِ الذي وضعوه، فينتقل الماءُ مِن الميزابِ إلى كل مكان.

وفِي «أَكْرا»، و«چندوار»، و «بيانه» وهذه النواحي، ينقلون الماء بالدلاء. وهي طريقةٌ شاقةٌ وغير نظيفة.

وقد غرسوا شجرة ذات غصون على حافةِ البئر، ووضعوا بَكَرَة بين غصونها، وربطوا الدَّلْو بحبلٍ طويلٍ يضعوه فوق هَذهِ البَكَرَة. ويربطوا طرفَ الحَبْلِ بثورٍ يسوقه رجل، ويقوم آخر بتفريغ الماء مِن الدَّلْوِ. ويسحب هَذَا الثور الحَبْلَ. وعندما يعود ثانية، فإن هَذَا الحَبْل فِي كلِّ مرة ينسحب فوق الطريق الملوث بروث هَذَا الثور، ويسقط ثانية فِي البئر. وإذا كانت المياه لازمة لبعض الزراعات، فإن الرجَال والنساءَ يحملون الماء لِرَيِّها.

مدنُ الهِنْد وولاياتُها:

ومدنُ «الهِنْد» وولاياتُها تخلو مِن البهجة، فكل المدنِ والأراضي متشابهة، لا تميز أي مِنْها عن الأخرى. وحدائقُها بلا سياج. وأغلبُ الأماكِنِ منبسطة. وسواحلُ بعض الأنهارِ والجداولِ مغمورة بالماء مِن جراء الأمطار المَوْسِمِيَّة. (٢٧٤ب) فتحول دون تجاوزها مِن أي

مَوْضِع. وفِي بعضِ الأماكِنِ أدغال مِن الشوك، يختبئ بها أهلُ المقاطعاتِ تمردا أو هَرَبًا مِن دفعِ المكوس.

ويندر وجود الماء الجاري فِي «الهِنْد» عدا الأنهار. ونادرا ما نصادف تجمعات للمياه فِي بعضِ الأماكن. وأكثرُ المدنِ والولاياتِ تعيش على مياهِ الآبارِ أو مياهِ الأمطارِ المَوْسِمِيَّة التي تتجمع فِي الأحواض.

وفِي «الهِنْد» يمكن أن يزول أي مكان، بل وتمحى قرى ومدن بأكملها فِي لحظةٍ واحدة، ويمكن فِي ذاتِ اللحظة أن تقام قرى ومدن أخرى. فالمدن الكبيرة العامرة، إذا قرّرَ أهلُها الفرار مِنْها، فإنهم يهجرونها فِي يَومٍ واحدٍ بل وفِي نصفِ يومٍ، فلا يَبْقَ مِنْها أثرٌ أو علامة، وإذا أرادوا أن ينشِئوا مكانا، فلا حاجة بهم لحفرِ قناةٍ أو عملِ خزانٍ للمياة، لأنهم يروون زراعاتهم كلها بماءِ المطر. فيتجمعون كلّهُم وهم كثرة تفوق الحَصْر، وينشئون حوضا أو يحفرون بئرا، كما أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى إقامةِ بيتٍ أو رفعِ سقف، فالخيزران عندهم كثير، والشجر لا يحصى، فيقيمون الأكواخ، فتتكون قريةٌ أو مدينةٌ فِي الحال.

حيوانات الهِنْد

الفيلُ:

وهو مِن الوحوش، ويسميه الهنود هاتي. ويُوجَد على حدودِ ولايةِ «كَالْپِي». فإذا اتجهنا إلى أعلى وإلى الشرق، نجد الأفيالَ الصحراوية. وهم يصطادون الفيلة ويحضرونها مِن هَذِهِ النواحي. وثلاثين أو أربعين مَوْضِع فِي كرهومانك پور يَعْمَل أهلُها بصيدِ الفيلة. (٢٧٥أ) ويدفعون ضرائبهم أفيالًا.

والفيلُ حيوانٌ عظيمُ الجُثة، ذكي يفهم ما يُقَالُ له، ويَفعل ما يُؤْمرُ به. فَيُقَدَّرُ ثمنه تبعا لحجمِهِ أو يزيد. ويُرْوَى أنه فِي بعضِ الجزرِ توجد فيله بارتفاعِ عشرة أذرع، أما هنا، لم نر مِنْها ما يزيد ارتفاعه عن أربعةِ أذرعٍ أو خمسة. ويتناول الفيل طعامه وشرابه بخرطومه، فلا يمكن أن يعيش بدونه. وفِي الشفة العليا على جانبي الخرطوم، يُوجَد نابان كبيران. فيضغط بهما على الحائطِ فيكسرها، أو الأشجار فيقتلعها، ويَسْتَخْدِم هَذِهِ الأنياب فِي العراكِ أو فِي أيِّ مِن الأعمالِ

الشاقة. ويسمون هَذهِ الأنياب "عاج". وهي لدى أهالي «الهِنْد» ثمينة للغاية. والفيل أجردٌ. ولابد أن يُوجَد مع كل فوجٍ مِن الجَيْش عدد مِن الفيلة. وللفيلِ بعض المزايا الحسنة. فهو ضخم الجُثة ويخوض المياه الوَاسِعَة العميقة، ويحمل أثقالا، وتستطيع ثلاثة أو أربعة أفيال أن تجر بَيُسْرٍ عربةَ المدفعِ التي يجرها أربعمائة رجلٍ أو خمسمائة. كما أن حَلْقة أيضًا عظيم الاتساع، فما يأكله فيلٌ واحدٌ يكفي قافلتين مِن الإبل.

الكَرْكَدَنْ:

واسمه الكَرْك: وهذا أيضًا حيوان كبير.(٢٧٥ب) وبعضه بحجم ثلاث مِن الجاموس. وهُنَاكَ قولٌ مشهورٌ فِي هَذهِ الولايات، إن الكَرْك يرفعُ الفيل بِقَرْنه. وهو قولٌ خطأٌ فِي الغالب. ويعلو منْخَرَيْهِ قرنٌ يجاوزُ طوله الشبر، ولم يُري مِنْهُ أبدا ما يبلغ الشبرين. ويصنع مِن القرنِ الطويلِ قدح وصندوق للنرد، وربما يزاد على ذَلِكَ ثلاثة أو أربعة أزرار. وجِلدُه فائقُ الثخانة، ويقولون لو أن [رجلا] جذب قوسا قويا بأقصى ذراعه، ثُمَّ أحسن إطلاقه، فإنه ينغرس [فِي جلده] بعمق أربعة أصابع، ويمكن أن يخترقه فِي بعضِ مواضِعِه بِشَكْلٍ أَفْضَل. ويتدلي جلدٌ كثيفٌ مِن كتفيه وعَجُزه. ويظهر مِن بعيد وكأنه مغطي بغطاء. وهو أكثر الحيوانات شبهًا بالحصان. فبطنه لَيْسَت كبيرة مثل بطن الحصان. وللكَرْكَدَنْ عظمٌ فِي حافرِهِ يُشبه ذَلِكَ الذي فِي حافرِ الحصان. كما أن عظامَ حافريْهِ الأماميين تشبه تلك التي فِي الحافرين الأماميين للحصان. وهذا الحيوان أكثر وَحْشِية مِن الفيل، وغير مطيع ولا منقاد مثله. ويكثر فِي أدغال «پَرْشاوَر» و«هَشْنَغَر». وفِي الأدغالِ التي بين ولاية «بَهْرَه» و«نهرِ السِّنْد». كما يكثر على ضَفَّة «نهر سَرْو» فِي «الهِنْد».

وفِي أغلبِ حملاتنا على «الهِنْد»، (٢٧٦أ) كنا نصيد الكَرْكَدَنْ فِي أدغال پَرْشاوَر، و«هَشْنَغَر». فكان يضرب بقرنه. وفِي رحلاتِ الصيدِ هَذهِ، ضَرَبَ بِقَرْنه الكَثيرَ مِن الرِجَال والجياد، وفِي أحدِ المرات، ألقى بقرنه حصان غلام اسمه مقصود، ولهذا نعتوه بالكرك.

الجاموس البري:

وهو حيوانٌ أكبر قليلًا مِن الجاموس. وقرْنُه مثل قرن الجاموس، وظهْرُه ليس كبير، وهو حيوانٌ مؤذٍ وفتَّاك.

الثور الأزرق:

ارتفاعُه كالحصانِ وأدق مِنْهُ قليلًا. الذَّكَرُ مِنْهُ أزرق اللون. ويبدو أنهم سموه الثور الأزرق لهذا السبب. وله قرنان صغيران، وأسفل حَلْقِه شعرٌ يزيد قليلًا على الشبر، ويشبه ثور البحر، وظِلْفَاه مشقوقان مثل ظلفي الثور، وأنثاه بلَوْنِ الكستناء، ولا يُوجَد شعرٌ عِنْدَ حلْقِها، وليس لها قرون، وهي مثل الحصان الأصيل مقارنة بالذكر[1].

الكوته باي:

حجمُه مثل الغَزَال الأبيض، وساقاه الأماميتانِ والخلفيتانِ قصيرةٌ بعض الشيء، ولذا، يسمونه كوته باي، وقرونُه مثل قرون الغَزَال ذات فروعٍ صغيرة لكنها أَصْغَر مِنْها قليلًا،وهذا أيضًا مثل الغَزَال يُغَيِّرُ قرونه كل سنة، وهو ضعيفٌ بعض الشيء فِي الجري، ولذا لا يخرج مِن الأدغال.

الغَزَال الأسود:

وهو نوعٌ مِن الغَزَال، الذَّكَرُ مِنْهُ يشبه الهون، أسودُ الظهرِ، وأبيضُ البطن، وقرونُه أطولُ مِن قرونِ الهون الأبيض (٢٧٦ب) وأكثر تشابكا مِنْها. ويسميه أهل «الهِنْد» كلهره. واسمه فِي الأصل كالا هرن يعني الغَزَال الأسود. ويخفف ويكتبونها كلهره. وأُنْثَاهُ بيضاء. ويصطادون به الغَزَال. فيعلقون بقرونه حَلَقَة الشَرَك، ويربطون بحافره حجرًا أكبر قليلًا مِن قذيفة المدفع، ليمنع الغَزَال البري مِن الانطلاق بعيدًا بعد الإيقاع به. وصيدُ هَـذَا الغَـزَال أمرٌ ممتع للغاية، فعندما يظهر الغَزَال البرى، يُطْلِقُون الغَزَال الأسود أمامه، وعلى الفورِ يتناطحان

(١) الجملة الأخيرة لَيْسَت فِي الانجليزية.

ويتضاربان بقرونهما، وعندما يبدآن فِي الكَرّ والفَر، فإن قرونَ هَذَا الغَزَال الأسودِ تشتبك بقرون الغَزَال الآخر وتتعلق بحلقة الشرك. وعندئذ لايتمكن الغَزَال مِن الفرار. وعلى كل حال، فإن الحجرَ المربوط بحافرِ الغَزَال الأسود يمنع الغَزَال [الآخر] مِن الفرار.

ويصطادون كثيرا مِن الغزلانِ بهذه الطريقة. وبعد صَيْدِه يقومون باستِئْنَاسِه، ويستخدمونه مرةً أخرى فِي صيدِ الغزلان، ويضعون هَذهِ الغزلان المستأنسة فِي المنزل، وهي تجيدُ التناطح.

وعلى سفوحِ جبلِ «الهِنْد»، يُوجَد أيضًا نوعٌ مِن الغَزَال الصغير، حجمُه صغيرٌ يشبه حجم صغير خروف ارقارغلچه البالغ عمره سنة واحدة.

الكيني اوي:

وهو ثورٌ صغيرٌ فِي حجمِ القوچقارى الصغير عندنا. ولحمُه ناعمٌ جدًا ولذيذ.

الَميْمُون:

ويسميه أهلُ «الهِنْد» باندر. وأنواعُه كَثِيرَةٌ ومتنوعة، مِنْها النوع الذي نراه فِي مناطقِنا. ويُعَلِّمُه المُهَرِّجون أداءَ الحركاتِ بجسمه، ويُوجَد فِي جِبَالِ « دره‌ء نور» والسفوحِ المجاورةِ لجبلِ «سفيد خَيْبَر» وفِي كلِّ مكان فِي «الهِنْد» أسفل [هَذهِ الجبَال] ولا نَجِده فِي المناطق التي تعلوها. وهو أصفرُ الزّغب،أبيضُ الوجه، وذيلُه أقرب إلى الطول. ونوعٌ آخر مِن الميمونِ لا نراه فِي «بَجُور» و«سواد» وما حولها. وهو أكبرُ كثيرا مِن الميمونِ الذي نراه فِي ناحيَتِنا. وذيلُه طويلٌ جدًا. وشَعْرُهُ أبيضُ نَذِر، أما الوجه فشديدُ السواد. وهذا النوعُ مِن القردةِ نراه فِي جِبَالِ «الهِنْد» وأدغالها. ولا نراه فِي مناطِقِنا.

ونوعٌ آخر مِن القردة، وجهُهُ وزغبُهُ وكلُّ جِسمِه شديدةُ السواد.

النول:

أَصْغَر مِن السنجاب، ويتسلقُ الأشجار، وبعضُهم يُطلَق عَلَيْهِ اسم «موشي خورما» ويَتَبَرَّكون به.

الكلاهرى:

نوعٌ مِن الفئران، ويعيش دائمًا فِي الأشجارِ، ويجري مِنْ فَوْقِ الأشجارِ إِلى أسفلِ بِخِفَّةٍ كبيرة.

طيور الهِنْد:

الطاووس:

طائرٌ غنيٌ بالألوانِ، ومبرقش، لكن جسمه غير ملون أو مبرقش، وفِي حجمِ الكُرْكي. لَكِنَّهُ ليس طويلا مثله. ويعلو رأسَ الذَّكَرِ والأنثى مِنْهُ ما بين عشرين أو ثلاثين شَعْرة، طولُها بين إصبعينِ أو ثلاثة. وأنثاه غير ملونة ولا يزينها سوى هَذهِ الشعيرات. وتعلو رأس الذَّكَرِ حَلَقةٌ زرقاءٌ مبرقشة. ورقبتُه لونها أزرق لامع. (٢٧٧ب) وأسفل رقبتِه وظَهْرِهِ مبرقش بالأصفرِ والأخضرِ والأزرقِ والبنفسجي. وتُزَيّن ظَهره بقعٌ صغيرة، وأسفلُ ظهرِهِ بقعٌ مبرقشة بنفس الألوان حَتَّى طرف ذيله، وذيلُ بعض الطاووس بطولِ ذراعين. وأسفلُ هَذَا الريش الملون ذيل آخر أقصر مِنْهُ كذيلِ بقيةِ الطيور. هَذَا الذيل والأجنحة لونها أحمر. ويُوجَد الطاووس فِي «بَجُور»، وسواد وفِي الجنوب مِنْها. ولا يُوجَد مطلقًا فِي [المناطق الواقعة] شمالها فِي«كُنَر»، و«لَمْغَانات» ويعجز عن الطيرانِ كالديك البرى بل أكثر. ولا يمكنه التحليق إذ لا يمكنه أن يخفق بجناحية[للطيران] سوى مرة أو مرتين على الأكثر، لذا فإنه يعيش فِي الجِبَال أو الأدغال. والغريب، أن ابن آوي يكثر فِي الأدغالِ التي يعيش فيها الطاووس. فكيف يمكنه أن يمشى بذيله الطويل وينتقل مِن دغلٍ إلى آخر بدون أن يؤذه ابن آوي. ويسميه الهنود مور. وأَكْلُ لحمِهِ حلالٌ فِي مذهب أبو حنيفة. ولا يخلو مِن المذاق، ويشبه لحم الدُرَّاج. لَكِن أكْلَه غير محببٍ كأكل لحم الإبل.

الببغاء:

ويُوجَد فِي «بَجُور» والولاياتِ التي فِي جنوبِها، ويأتي إلى « نيكنهار»، و «لَمْغَانات» فِي الربيعِ عِنْدَمَا يمو شجرُ التوت. ولا نراه فِي غيره.

والببغاواتُ أنواعٌ مختلفة. مِنْها النوع الذي نراه فِي مناطقنا، ويعلِّمُونَه الكلام، ونوعٌ أخر

أَصْغَر قليلًا مِن هَذَا الببغاء (٢٧٨أ) وهذا أيضًا يعلمونه الكلام. ويسمونه جنكلى، وهذا النوع يكثر فِي «بَجُور»، و «سواد» وتلك النواحي، ويطير فِي أسرابٍ مِن خمسةٍ إلى ستة آلاف طائر. وهذان النوعان يختلفان عن بعضهما فِي الجسم. أما مِن حيث اللون فلَهُما نفس اللون. ويُوجَد نوعٌ مِن الببغاءِ أَصْغَر قليلًا مِن ببغاءِ الأدغال. رأسُه وظهرُ جناحيْهِ أحمر. وفِي طرفِ ذيلِه جزء أبيض اللون بطولِ إصبعين. والبعضُ مِن هَذَا النوعِ رأسُه أزرق. وهذا النوعُ لا يمكن أن يتَعَلَّم الكلام. ويُسَمونَه ببغاء كشمير.

وهُنَاكَ نوعٌ آخر صغير مِن الببغاء يشبه ببغاء «جنكلى»، منقارُه أسود، وعلى جسمِهِ بُقَعه كبيرة سوداء. وباطن جناحيه أحمر. ويتعلم الكلام جيدًا. وكنا نظن أن كل مِن الببغاء، والشارك يردِّدُ كل ما يتعلمه، لَكِنَّهُ لا يَسْتطِيع التفكير فِي شيء وترديده مِن تلقاء نفسه. وعندئذ قَالَ ابو القاسم جلاير وهو مِن المُلازمين المقربين لي شيئًا غريبًا: إنهم عِنْدَمَا وضعوا غطاءً على قفصِ ببغاء مِن هَذَا النوع قَالَ البيغاء: ارفعوا الغطاء، أُوشِك أن اختنق. وفِي مرة أخري، عِنْدَمَا جلس مَن يحملونه التماسا للراحة، جاءهم ضيوف ثُمَّ ذهبوا، فقال الببغاء لقد انصرف الرِجَال، ألن تذهبوا؟ والعهدة على الراوي. والإنسان لا يَسْتطِيع أن يُصَدِّق ما لم يسمعه بنفسه.

وهُنَاكَ نوعٌ مِن الببغاء، لونه أحمر براق. وآخر بعض ألوانه (٢٧٨ب) لم أُعد أتذكرها جيدًا، لذا لن يمكننى وصفها بالتفصيل. وهو ببغاءُ أحمر رائع الشكل. كانوا يعلمونه الكلام. وعيبه أن صوتَه سيء وحاد مثل الصوت الذي يصدر عِنْدَ حك الصيني المكسور بصحن مِن النحاس.

الشارك:

ويكثرُ فِي «لَمْغَانات» وفِي كل [مناطق] «الهِنْد» التي تقع جنوبها. والشارك أيضًا أنواعٌ مختلفة، والنوع الموجود بوفرة فِي «لَمْغَانات» أسود الرأس، أرقط الجناحين، وجسمه أكبر (كثيرا) مِن الزرزور وأشد مِنْهُ، ويعلمونه الكلام.

ويُطْلِقُون على نوعٍ مِن الشارك اسم بَنْداولى. ويحضرونه مِن البنكاله، وهو أسودٌ،

وجسمه أكبر قليلًا مِن هَذَا الشارك. ورِجْلاه أصْغَر، وتتدلى حُليمتان مِن أذنيه، ومنظره سيء، ويتعلم الكلام. ويتكلم جيدًا.

ونوعٌ آخر مِن الشارك أدق قليلًا مِن النوع الذي ذكرناه أولًا. أطرافُ عينه حمراء. وهذا النوعُ لا يتعلم الكلام. ويسمونه ون شارك.

أَقَمْنَا قنطرة واجتزنا «نهر كُنَك»، لمطاردة الأعداء. ورأينا نوعا مِن الشارك فِي «لكنو» وأود ونواحيها، صدرُه أبيض، أسود الرأس والظهر. ولم نَرَهُ مطلقًا مُنْذُ ذَلِكَ اليوم. وهذا النوعُ فِي الغالبِ لا يتعلم الكلام.

اللوجه:

ويُطْلِقُون على هَذَا الطائرِ اسم ابو قلمون، ويُوجَد بين رأسِهِ وذيلِهِ خمسة أو ستة ألوان مختلفة، وجسمُه براق كجسم الحمام. وحجمه (٢٧٩أ) بحجم الكبك درى[١]، وهذا هو الديك البري الخاص ببلاد «الهِنْد». ويعيش فِي قمم الجِبَال مثل الديك البري، ويُوجَد فِي «نجراو» مِن ولايات «كَابُل» وفِي الجِبَال الواقعة فِي الجنوب مِنْها. ولا يُوجَد فِي شمالها. والنَّاس هُنَاكَ يقولون شيئًا غريبًا: إنه عِنْدَمَا يأتي الشتاء، ينزلونه إلى سفوح الجِبَال، وإذا أطلقوه داخل كرمة عنب، يعجز عن التحليق مِن طرف إلى آخر وسرعان ما يمسكون به. ولحمه يؤكل، وهو طيب المذاق وشهي جدًا.

الدُرَّاج[٢]:

وهو طائرٌ لا تختص به «الهِنْد»، ويُوجَد فِي ولاياتِ المنطقةِ الحارة. لكن بعض أنواعه تختص به «الهِنْد»، ولهذا رأيتُ مِن المناسب ذكرها. والدُرَّاج طائر فِي حجم الحجل[٣]. وظهر الذكر مِنْهُ بلون أنثى الديك البرى [ويسمونه السولون]. وجسمُه وصدرُه سوداوان. وله زَغَبٌ

---

(١) نوع من الدراج الجبلى.
(٢) نوع من الطيور يدرج فِي مشيه.
(٣) طائر فِي حجم الحمام، أحمر المنقار والرجلين، طيب اللحم (المعجم الوجيز١/١٣٧.

ناصعُ البياض. وعلى طرفِ عينه خط أحمر. وصوتُه جميل، وعندما يصيحُ يُسْمَعُ وكأنه يقول: عندى حليب وقليل مِن السكر. ودُرَّاج «استرا باد »يصيحُ بسرعةٍ وكأنه يقول لقد أمسكونى. ودُرَّاج «جزيرة العرب» وما يجاورها، يصيح [وكأنه يقول]" بالشكر تدوم النعم". وأنثاه ملوَّنَةٌ مثل السولون. وهذا الطائرُ يُوجَد فِي الجنوبِ مِن «نجراو».

الكنجل:

هو طائرٌ مِن جنسِ الدُرَّاج ويمثل حجمه. وصوتُه يشبه صوت الحَجَل. لكن صوته (٢٧٩ب) حاد جدًا، والفرق بسيط بين الذَّكَرِ والأنثي. ويُوجَد فِي «پَرْشَاوَر»، و«هَشْنَغَر»، والولايات الجَنُوبِيّة مِنْها، ولا يُوجَد فِي المَنَاطِق الواقعةِ شمالها.

البُل بكَار:

وبعضُه بحجمِ الدُرَّاج البري؛ جسمُه ولونُه يشبه جسم الدجاج ولونه. والجزء بين منقارِه وصدرِه أحمر لامع. ويُوجَد فِي جِبَالِ «الهِنْد».

الدجاج الصحراوي:

والفرقُ بينه وبين دجاجِ المنزل أنه يطير مثل الديك البرى. كما أنه يشبه الدجاج فِي أن جسمَهُ ليس بلون واحد. وهذا الدجاج يُوجَد فِي جِبَالِ «بَجُور»، والجِبَال الواقعة فِي الجنوب مِنْها، ولا نجده فِي شمالها.

الجلسى:

جسمُهُ مثل البُل بَكَار، لكن لون البُل بَكَار أجمل. ويُوجَد فِي جِبَالِ «بَجُور».

الشام:

فِي حجمِ دجاجة المنزل، ومُتَعَدِّد الألوان، ويَعِيشُ فِي جِبَالِ «بَجُور».

طائر السلوى:

ويسمونه البودنه، والواقع أنه طائرٌ لا تَخْتَص بهِ «الهِنْد». لكن مِنْهُ أربعة أو خَمْسَة أنواعٍ تختص بها «الهِنْد» مِنْها طائر السلوي الذي يأتي إلى ولاياتنا. وهو أكبرُ مِن طائرِ السلوي،

وأُكثرُ مِنْهُ انتشارا فِي «الهِنْد». ونوعٌ آخر أقصر مِن طائرِ السلوي يأتي إلى مناطقنا، ولون الجناح والذيل أكثر حُمرة. وهذا النوع يشبه الچر، ويطير فِي أسراب. ونوعٌ آخر أكثر صفرة مِن طائر السلوي الذاهب إلى مناطقنا. والمنطقة مِن منقارِه إلى صدرِه أشد سوادًا (٢٨٠أ) ونوعٌ آخر مِن طائر السلوي يذهب إلى «كَابُل» فِي أعداد قليلة، وهو صغيرٌ جدا ولعله أكبر قَلِيلا مِن القارچه(١). ويسمونه فِي «كَابُل» قوراتو.

الحُبَارى:

ويسمونه الخرجل، وهو بحجمِ التوغداق. وعلى كل حال، فإنه يعتبر حُبَارى «الهِنْد». لحمه لذيذ جدًا. ولحم الأطراف الخلفية لبعض الطيور يكون طيبا. وبعضها يطيب لحم صدره. أما الخرجل، فكل أجزائه لذيذة.

الچرز:

جسمُه أَصْغَر قليلا مِن التوغدرى. وظَهْرُ الذَّكَرِ مِنْهُ مثل التوغدرى. وصَدْرُه أسود، أما أُنْثَاه فذات لونٍ واحد. ولحُمه أيضًا طيب جدًا، كما أن الحبارى، والتوغداق متشابهان، كذَلِكَ الچرز يشبه التوغدرى.

ديك الخلنج:

ويسمونه باغرى قرا، وديكُ الخلنج الهِنْدي أَصْغَر قليلًا مِن ديك الخلنج [المعروف] وأدق مِنْهُ، وسواد الخلنج أقل، كما أن صوته أكثر حدّة.

وهُنَاكَ أيضًا طيور عِنْدَ الأنهارِ وشواطئها.

الدينك(٢):

وهو طائرٌ ضخمٌ. جناحه بطولِ القامة، أجرد الرأسِ والجسم. أسفل منقاره شيئا يشبه الكيس، وهو طائرٌ أسود الظهر، وأبيض الصدر. يذهب أحيانًا إلى «كَابُل». وذات عام

(١) ابو فصادة الأصفر.
(٢) لعله البجعة.

أمسكوا بِواحِدٍ مِنْهُ وأحضروه، واسْتَأْنَسُوه بِشَكْلٍ جيد، وكلما ألْقُوا إليه لحمًا، التقطه بمنقاره بدونأن يخطئ أبدا. وذات مرة، إبتلع حذاءً ذا ستة مسامير. ومرة أخرى، إبتلع دجاجةً كاملةً بجناحيها وريشها.

السارس:

ويُطلِقُ عَلَيْـــهِ الأتـــراك فـــي «الهِنْـــد» اسـم الكـــركي الناقـة، وحجمُه أَصْغَر قليلا مِن الدينك وجسمُه أعلى مِنْهُ قليلًا. ورأسُه أحمر قانٍ. وإذا رُبِّيَ فِي البيتِ فإنه يستأنس جيدا.

المينك:

هو بحجمِ السارس، لكن جسمه أَصْغَر قليلًا، وأكبر قليلًا مِن اللقلق ويشبهه. ومنقاره أسود وأطول قليلًا مِن منقار اللقلق، ورأسه أزرق. وجسمه أبيض، وجناحاه أرقطان، وطرفا جناحيه وأسفلَهُا أبيض، ووسطها أسود.

اللقلق:

أبيضُ الجسم، أسودُ الرأس والأطراف. واللقلق المعروف عندنا أَصْغَر قليلًا مِن اللقلق الذي يذهب إلى تلك المناطق. ويطلق الهنود على هَذَا اللقلق اسم يك دينك.

ونوعٌ آخر مِن اللقلق، لونُه وشكلُه هو نفس اللقلق الذي يذهب إلى مناطقنا لكن منقاره أدق وأكثر سوادًا.

ويُوجَـد طـائر يشبه اللقلق والبلشون. منقارُه أكبر وأطول قليلًا مِن منقار البلشون، وجسمُه أَصْغَر مِن جسمِ اللقلق.

الكروان الأسود:

[ويسمونه] أولوق بزك، فِي حجمِ الصقر، وباطنُ جناحيه أبيض، وعالى الصوت.

ابو قردان:

ويسمونه آق بزك، رأسه ومنقاره سوداوان. وهو أكبر قليلًا مِن ابو ملعقة[1] الذي نعرفة فِي بلادنا، وأَصْغَر قليلًا مما فِي «الهِنْد».(٢٨١أ)

(١) ويسمونه البارور بزرك.

الغرمباي:

وهو نوعٌ مِن البط. وأكبر مِن البط البري. والذَّكَر والأنثي مِنْهُ بذاتِ اللون. ويُوجَد دائمًا فِي «هَشْتَغَر». وأحيانًا يذهب إلى «لَمْغَانات» ولحمُه طيبٌ جدا.

الشهمُرغ:

نوعٌ مِن البط، أَصْغَر مِن الإوَز. يعلو منقاره نتوء. صدرُه أبيض، وظهرُه أسود، ولحمُه شهي.

الزُمَج: جِمُه مثل الصقرِ الشاهين، ولونُه أسود.

الزرزور: ظهرُه وذيلُه أحمر اللون(١).

غراب الهِنْد الأرقط:

وهو أَصْغَر قليلًا وأدق مِن الغرابِ الأرقطِ الموجود لدينا.

طائر الدغل:

ويُسمونه فِي «لَمْغَانات» مرغ جنكل، وهو طائرٌ يشبه الغراب. رأسُه وصدرُه سوداوان، وجناحاه وذيلُه يميلان إلى الحمرة، وعيناهُ بلونٍ أحمر قاني. ولأنه لا يَسْتطِيع الطيران، فإنه لا يخرج مِن الدغل، ولهذا يسمونه طائر الدغل.

الشبره:

ويُسمونه چمكدر، وهو نوعٌ كبيرٌ مِن الخفاش، حجمُه مثل البومه، ورأسُه يشبه رأس الجرو، وعندما يقيم فوق الشجرة، يتدلى مِن فرعها ورأسه إلى أسفل. وهو غريبٌ جدًا.

العقعق الهِنْدي(٢):

ويُسمونه متايله، وهو أَصْغَر مِن طائر العقعق. فالعقعق لونُه أبيض أرقط، أما المتايله فأرقط.

---

(١) أغفلت الانجليزية هَذهِ الجملة.

(٢) طائر من الفصيلة الغرابية وهو صخاب، له ذنب طويل ومنقار طويل، والعرب تتشاءم به. المعجم الوجيز ٢/٤٢٨،

ويُوجَد طائرٌ آخر صغير فِي حجمِ أبو فصادة (٢٨١ب) ولونُه أحمر لامع. يشوبُ جناحه بعضَ السواد.

الكرجه:

ويُشبه طائر الخطاف[1] وأكبر مِنْهُ بعض الشيء، ولونُه أسودٌ قاتم.

الكويل:

بعضُه بحجمِ الغرابِ الصغير، وبعضُه أصْغَر قليلًا. وتغريدُه جميل. وهو بلبل «الهِنْد». وله عِنْدَ أهلِ «الهِنْد» نفس قيمة البلبل. وتراه فِي الحدائقِ كَثِيرَة الأشجار.

ويُوجَد نـوعٌ آخر مِن الطيور يسير مثل الشقراق، وهو يلتصق بالأشجار، وحجمُه كالشقراق، ولونُه أخضر كالببغاء.

حيوانات الماء:

أسد النَّهْر:

يُوجَد فِي المياهِ الكبيرة، ويشبه التمساح. ويقولون إنه يخطف الإنسان بل والجاموس أيضًا.

السيسار:

وهذا أيضًا له شكلُ التمساح، ويُوجَد فِي كل أنهار «الهِنْد». وذات مرة، أمسكوه وجاءوا به. وطولُه حوالي أربعة أذرع أو خمسة، ووزنُه مثل الغنم. وبعضُه أكبر مِن هَذَا. وفمُه أطول مِن نصفِ ذراع، وفِي فكيه صَفَّانِ مِن الأسنانِ الدقيقة. ويخرج مِن النَّهْرِ ويرقد على ضفته.

خنزير الماء:

[ويسمونه] " خوك آبى" يُوجَد فِي كل أنهار «الهِنْد»، ويطل برأسه مِن الماء فجأة ثُمَّ يغطس، ليظهر ذيله فقط. وفمُه (٢٨٢أ) طويلٌ مثل السيسار، وله أسنانٌ صغيرةٌ متراصة. مؤخرة رأسه وجسمُه يشبه السمك. وعندما يلعب فِي النَّهْر يبدو مثل القِرْبة. وعندما يلعب

(١) طائر السنونو.

خنزير البحر يخرج السرو مِن الماء. وهو مثل السمك لا يغادر الماء مطلقا.

الكريال:

حجمُه كبير. وقد رآه كثيرٌ مِن الجُنْد في «نهر سَرْو» ويمكنه أن يخطف شخصا. وعندما كنا بضَفَّة «سرو» خطف خادم أو اثنين، وفيما بين «غازيپور» ، و«بنارس» خطف من الجيش ثلاثة رِجَال أو أربعة. وفِي هَذِهِ المنطقة، رأيتُ قليلا مِن الكريال، لكني لم أستطع أن أري تفاصيله جيدًا.

سمك الككه:

وتبرز عَظْمَتان أمامَ أذنيه، وطولُه ثلاثة أصابع. وعند الإمساك به تتحرك هاتان العظمتان ويخرج مِنْها صوتٌ غريب. وعلى أيةِ حال، فإنهم يُطْلِقُون عَلَيْهِ اسم ككه بسبب هَذَا الصوت.

ولحمُ سمكِ «الهِنْد» لذيذُ الطعم. يخلو مِن الشوك، وهي أسماك خفيفةُ الحركة جدًا. وذات مرة، أَلْقَى رِجَالنا بشبكةٍ مِن جهتي النَّهْر، وكانت أطرافُ الشبكة فوق الماءِ بأكثر مِن نصفِ ذراع. فقفز أغلبُ السمك مِنْ فَوْقِ الشبكة بارتفاع ذراع.

وفِي بعضِ أنهارِ «الهِنْد» أسماك صغيرة عِنْدَمَا يَحْدث صوتٌ قويٌ أو صيحة، (٢٨٢ب) تقفز فجأة، وترتفع فوق الماء مَسَافَة ذراعٍ أو ذراعٍ ونصف.

ضفادع الهِنْد:

مع أنها مثل الضفادع التي نعرفها لكنها تجري فوقَ الماءِ مَسَافَة سبعة أو ثمانية أذرع.

نباتات الهِنْد:

المانجو:

[ويسمونها] انبه. وأهل «الهِنْد» ينطقون حرف النون ساكنا، ولأن هَذَا النطق يكون سيئًا، فإن بعضهم يسمونها نغزك ولاسيما أن الخوجه خُسْرو قَالَ:

ثمار نغزك، يا زينة حدائقنا

بين فواكه الهِنْد أنت الأجمل

والجيدُ مِنْهُ لذيذ لَكِنَّهُ قليل، وأغلبُه يصلح للأكل، وأكثرُه يجمع نيئًا ويتم نضجه فِي البيت.

والنيئ مِنْهُ يكون مادة طيبة للطهي، ومنه تعمل مربى جميلة. والواقع، إنه أحسن فواكه «الهِنْد»، وشجرته مرتفعة جدًا، وقد قام البعض بوصفه قائلًا: إنها شيء آخر غير الشمام، وأفْضَل مِن جميع الفواكه. لكنها لَيْسَت كما يصفونها وإن كانت تشبه الشمام. وتنضج المانجو فِي موسم المطر، ومنها نوعان مختلفان، الأول لين ويعصر. فيثقبون الثمرة مِن جانب، ويضغطون عَلَيْها ويشربون ماءها. والثاني، يقشر ويؤكل مثل الخوخ. وأوراقه، تشبهه. وشجرتها ذات جزع غير جميل بل عديم الشكل، وتجود زراعتها فِي «البنكاله»، و«كُجَرات».

الكيله:

ويُسَميه العرب الموز. وشجرتُه ليس مرتفعة إلى حد ما. (٢٨٣أ) بل لا يمكن تسميتها شجرة، فهي شيء بين الشجرِ والعشب. أوراقُها تشبه أوراق موز البنكاله غير أن طولَ أوراقِ الموز يصل إلى ذراعين. أما عرضها فحوالي ذراع. ومن وسطها، يخرج برعم مثل القلب. وثمرها فِي هَذَا البرعم. وبرعمها الكبير له شكلُ قلبِ الغنم، وعندما تفتح كل ورقة فيه، يخرج مِن قلب الورقة ست أو سبع زهرات مصفوفة. هَذه الصفوف تصبح موزًا. وهذا البرعم الكبير الذي يشبه القلب، تتفتح أوراقه كلما ابتعد عن الغصن، وتظهر زهورُ الموزِ فِي شكلِ صفوف، وكل شجرة موز تثمر مرة واحدة فقط. وللموز مزيتان، فقشرته سهلة النزع، وليس له بذر. وهو أطول مِن الباذنجان وأدق مِنْهُ، ومذاقه غير طيب. أما موز البنكاله فهو لذيذٌ جدًا. وشجرتُها تبدو أجمل، وأوراقُها العريضة البراقة جميلةٌ جدًا.

التمر الهِنْدي:

[ويُسَمونه] انبه لي: وشجرتُه ذات أوراقٍ صغيرةٍ بعض الشيء. وتشبه أوراق جوز «الهِنْد». لكنها أَصْغَر مِنْهُ قليلًا. وتبدو شجرته جميلة وعالية جدًا. وظِلُّها وفير. والصحراوي مِنْهُ كثيرٌ جدًا.

المهوه:

ويُسَمونه أيضًا كُل چكان وشجرتُه ضخمة. وعمائرُ أهلِ «الهِنْد» (٢٨٣ب) أكْثرها مِن شجر المهوه، ويعصرون ثمرته، ويجففونها، وهي فِي مجملها تشبه الزبيب، ويأكلونها. ويصنعون مِنْها

أيضًا العرق، ومنه ما يكون سيء المذاق، وزهوزُه مقبولة الطعم ويمكن أكلها. ومنه ما هو صحراوي، وثمرته كبيرة بعض الشيء لا طعم لها، وقشرته رقيقة، ومن لُبِّه يعصرون الزيت.

الست المستحية:

[ويُسَمونه] الكرني شجرتُه متراميةٌ وارفة، لَيْسَت صغيرة. وثمرتُه صفراء وأدق قليلًا مِن العنّاب. ومذاقه بِشَكْلٍ عام يشبه العنب. ومع أن نهاية الثمرة بها جزء عديم الطعم، إلا أنه ليس سيئا. وهو وفيرٌ جدًا. وقشرتُه رقيقة.

الجامن:

أوراقُه بصفةٍ عامة تشبه أوراق الصفصاف وأكثر مِنْها استدارةً واخضرارا، وشجرتُه مقبولة المنظر. وثمرتُه تشبه العنب الأسود، وطعمُه فيه لذوعة، وطيب إلى حد ما.

الكمرك:

وثمرتُه ذات خمسةِ فصوصٍ وفِي حجمِ الخوخ، وطولها أربعة أصابع، وعندما تنضج يصير لونها أصفر، وتخلو مِن البذر، وما يقطف نيئا مِنْها يكون زائد الحموضة، ومذاقه لطيف.

الكدهل:

فاكهةٌ غريبةُ الشكلِ والطعم، تشبه كرش الغنم تمامًا، (٢٨٤أ) وداخلها حبّات مثل البندق. وهي فِي الجُملةِ تشبه البلح. بذورُها مستديرة ولَيْسَت طويلة، وأكثر ليونة مِن البلح، ويأكلونها. ولأنها ماده دبقة، فإن البعض يدهن يَدَهُ وفَمَهُ بالزيتِ ثُمَّ يأكلها. [وهذه المادة الدبقة] فِي غصونِ الشجرةِ وجذعِها وفِي جذورِها أيضًا، وتبدو [ثماره فوق أغضان] الشجرة وكأنها الضولمة[١].

بدهل:

وبعضُه بحجمِ التفاح. ورائحتُه لَيْسَت سيئة، والنيئُ مِنْهُ لاذعا جدًا لا طعم له، والناضجُ مِنْهُ مقبول. وثمرتُه لينه. ويمكن قطفها باليد مِن شجرتها وأكلها. ومذاقها يشبه السفرجل الأملس. ولاذع بعض الشيء ومقبول.

(١) الضولمة هي ما يتم حشوه من أعلى من الخضر مثل الباذنجان.

بير:

ويُسَمونه بالفارسية كنار، ومنه أنواع مختلفة، وهو أكبرُ قليلا مِن البرقوق. وله شكلُ العنبِ الحسيني وإن اختلف عنه. وأغلبه ليس طيبا. وقد رأيناه في باندير جميلا جدًا. تُسقط شجرة البير أوراقها مع دخول الشمس برجي الثور والجوزاء. وتورق مِن جديد عِنْدَمَا تدخل برجي السرطان والأسد، أي في فصل المطر، وتكسوها الخضرة. وتنضج ثمارها [عِنْدَمَا تدخل الشمس] برجي الدلو والحوت.

كَرونده:

وهي طبقاتٌ متراكمةٌ مثل الجكه في ولاياتنا. (٢٨٤ب) وتنمو الجكه في الجِبَال، أما هَذهِ فتنمو في السهول. وطعمها يشبه الراوند وألذ مِنْهُ وأقل ماءً.

بنياله(١):

أكبرُ قليلًا مِن البرقوق. ويشبه التفاح الأحمر النيئ، وله طعمٌ حمضي، وشجرتُه أكبر قليلًا مِن شجرةِ الرمان. كما أن أوراقَه تشبه أوراق اللوز.

الجميز:

ويُسَمونه الكُلر، وهي فاكهةٌ تشبه التين ولا طعم لها، وتنبت مِن جذع شجرة الفاكهة.

أمْلج أو:

وهذه أيضًا [فاكهة] صلبة وعديمة الطعم، والمربى مِنْها لَيْسَت سيئة. وهي فاكهةٌ مفيدةٌ جدًا. وشجرتُها جميلةُ المنظر. وأوراقُها صغيرةٌ جدًا.

چرونجي:

وشجرتُه تزرع في الجِبَال. وقد عَلِمْتُ فيما بعد، أن في حديقتِنا ثلاث أو أربع شجرات مِنْها. وهي قريبةُ الشبه مِن المهوه. ولبها ليس سيء. ويشبه لب اللوز والجوز، ومستدير وأصْغَر قليلًا مِن لب الفستق. ويوضع في البلوطه والحلوى.

(١) لعله الخوخ.

نخيل البلح:

ويُسَمونه الخُرما، ورغم أن نخيلَ البلحِ ليس خاصا ب«الهِنْد»، لكننا نَذْكُره بمناسبةِ عدمِ وجودِه فِي تلك الولايات. وكما يُوجَد نخيلُ البلحِ فِي «لَمْغَان». وأغصانه تغطي قمته، وأوراقُه تنبت على جانبي الأغصان مِن أولها إلى آخرها. وجذعُه متجعد وقبيح، وثمرُهُ يشبه عنقود العنب (٢٨٥أ) لَكِنَّهُ أكبر مِنْهُ. ويقولون: إن نخيل البلح بين النبات يشبه الحيوان فِي صفتين، الأولى: أن الحيوانَ تنتهى حياته عِنْدَمَا تقطع رأسه،كذَلِكَ نخلة البلح تذوي عِنْدَمَا تقطع رأسها [أي طرفها العلوى]. والأخرى: إن الحيوان لا يتكاثر بغير ذَكَر، كذَلِكَ نخيل البلح لا تطيب ثماره بغير أن تلقح بفرع مِن نخلة ذَكَر. ولا نعلم مدى صحة هَذَا القول. ورأسُ نخلة البلح الذي أشرنا إليه عبارة عن شيء يشبه الجبن. ويسمى جبن البلح، وتنبت الأغصان والأوراق مِن هَذَا الشيء الأبيض الذي يشبه الجبن. وكلما كَبرت الغصون والأوراق زاد خضارها، ويُطْلِقُون على هَذَا الشيء الأبيض اسم جبن البلح. وهو طيبٌ وغير سيء. ويشبه تماما لب الجوز. ويقومون بثقب مَوْضِع فِي هَذَا الجبن ويضعوون فيه ورق البلح، وكل ماء يخرج مِن هَذَا الثقب ينسال فوقَ أوراقِ النخيل. ويدخلون الورق إلى فوهةِ إبريق، ويربطون الإبريق إلى الشجرة، ويتجمع الماء الخارج مِن الثقبِ فِي الإبريق. وهذا الماءُ يكون لذيذا إذا شُرِب فور انسياله، أما إذا شرب بعد ثلاثة أَيَّام أو أربعة فيكون مُسْكِرًا بِشَكْلٍ عام. وذات مرة عِنْدَمَا ذهبنا للتفرج على (٢٨٥ب) القرى الواقعة على شاطئ بحر «چَنْبَل». وأثناء الطريق، رأينا فِي أحدِ السهول مجموعةً ممن يقومون بجمعِ هَذَا النوع مِن ماءِ البلح. وشربتُ بعضًا مِنْهُ، لَكِنَّهُ لم يؤثر، إذ يجب شرب كميات كبيرة مِنْهُ لكي يَعْمَل أثره.

الجوز الهِنْدي:

ويُسَمية العرب المعربة نارجيل، أما الهنود فيُسَمونه نالير. وغالبا أنه خطأ شائع. وفاكهة النارجيل هي الجوز الهِنْدي. ويصنعون مِنْهُ الصحاف. ويصنعون مِن الكبير ثمره جسم الربابة، وشجرته مثل شجرة البلح تمامًا. غير أن أغصان شجرة الجوز الهِنْدي أكثر أوراقًا، وأورقها أكثر

بريقًا. وللجوز الهِنْدي قشرة خضراء كقشرة الجوز، لكن قشرة الجوز الهِنْدي ذات شقوق. ويصنعون كل لوازم المُلاَّحة وحبال السفن مِن قشرة الجوز الهِنْدي، كما يربطون ألواح السفن بهذه الحبال. وعند تنظيف قشرة الجوز الهِنْدي يظهر فِي أحد طرفيها ثلاثة مواضع على شكل مثلث. إثنان منها صلبان، والثالث لين. هَذَا المَوْضِع اللين يثقب بالضغط عَلَيْهِ ضغطا خفيفا، ويقال: إنه قبل تمام تشكلها يكون بداخلها ماء يشربونه بثقب هَذَا المَوْضِع. وطعمه غير سيء ويشبه جبن البلح المذاب فِي الماء.

تار:

وأغصانُها أيضًا فِي طرفِها العلوى (٢٨٦أ). والتار مثل النخيل، إذ يتلقون ماءه فِي وعاءٍ معلق به،ثُمَّ يشربونه. ويسمون هَذَا الماء تار، وتأثيره [المُسكر] أقوي مِن تأثيرِ ماء النخيل. وأغصانها عارية مِن الأوراقِ ويصل طولها إلى ذراع أو ذراع ونصف، وليس بها أوراق. ثُمَّ يخرج فِي طرف الغصن الواحد ثلاثون أو أربعون ورقة. ويبلغ طول هَذِهِ الأوراق حوالي ذراع، وعندما لا يجد الهنود حلقات ليعلقونها فِي آذانهم ذات الثقوب الوَاسِعَة، يصنعون حلقة مِن أوراق التار هَذَا ويعلقونها. ويبيعون فِي الأسواق الحلقات المصنوعة مِن أوراق التار لتوضع فِي ثقب الأذن. وجذعها أجمل وأكثر انتظامًا مِن جذع نخيل البلح.

النارنج وما يشبهه مِن الفواكه:

ويكثر النارنج ويجودُ فِي«لَمْغَانات» و«بَجُور» و« سَوَاد ». ونارنج «لَمْغَانات» أصْغَر قليلًا وله صُرَّة. وهو لطيفٌ ورقيقٌ وغنيٌ بالماء. ولا يشبه نَارنْج «خُراسان» وتلك الأنحية. ومن رقته تَلِف بعضه أثناء نقله مَسَافَة ثلاثة عشر أو أربعة عشرفَرْسَخا مِن «لَمْغَانات» إلى «كَابُل». أما نَارنْج «اسْتَرَآبَاد» فيحملونه إلى «سَمَرْقَنْد» على مَسَافَة مائتى وسبعين أو مائتى وثمانين فَرْسَخا. ولا يتلف نتيجة غلظ قشرته وقلة مائه (٢٨٦ب). ونارنج «بَجُور» بحجم السفرجل، وماؤه أكثر مِن ماءِ أنواع النارنج الأخرى. وقال الخوجه كلان: إنه أحصى سبعة آلاف ثمرة نَارنْج مِن هَذَا النوع جمَعَها مِن شَجرةٍ واحدة. وكُنتُ أفكر دائمًا إن كلمة نَارنْج مِن

أصْلٍ عربيّ، فكل أهل «بَجُور»، وسواد كلّهُم ينطقون النارنج نارنك.

الليمون:

[ويُسَمونه] ليمو، وهو متوفرٌ جدًا،حجمُه وشكلُه مثل البيضة. وشُرْب المغْلِي مِنْهُ يدفع ضرر السم عن المسموم.

الترنج:

فاكهةٌ تشبه النارنج. ويُسَميه أهل «بَجُور»، و«سواد» البالنك. ولهذا يسمون مربى قشرة الترنج،مربى البالنك. وفِي «الهِنْد» يُطْلِقُون على الترنج اسم بجوري. والترنجُ نوعان، واحدٌ حلو لَكِنَّهُ بلا طعم، ولا يصلح للأكل، بل يصلح قشره للمربى، وطعمُ لبه يشبه ترنج «لَمْغَانات» والآخر هو ترنج «الهِنْد»، وطعمُه حامضٌ لكن حموضته محبَّبَة. وشرابُه طيب المذاق، والترنج بحجمِ الشمامِ الخُسْروي، وقشرتُه مجعدة. وطرفُه رقيقٌ ذو نتوء، ولونُه أقل صفرة مِن النارنج، وشجرتُه لا جذع لها وأقرب إلى الصغر، كَثِيرَةُ الغصون، وأوراقُها أكبر قليلًا مِن شجرةِ النارنج.

سنكتاره:

فاكهةٌ تشبه النارنج، وهى مثلُ الترنج في لونها وشكلِها، غير أن قشرتها ملساء، وثمرتها أَصْغَر قليلًا مِن الترنج. وشجرتُها كبيرة فِي حجمِ شجرةِ المشمش. وأوراقُها تشبه أوراق النارنج. ولها طعمٌ لاذعٌ جميل. وشرابُها غايةٌ فِي اللذة، وهو مُقَوي للمعدةِ كالليمون، وغير مضعف مثل النارنج.

الليمون الكبير:

[ويُسَمونه] اولوق ليمو: فاكهةٌ تشبه النارنج. ويُسَمونها فِي «الهِنْد» كلكل ليمو. شكلُها يشبه بيضةَ الإوَز. ولكنها تختلف عنه، فطرفُها غير مُدَبَّب، وقشرتُها أيضًا مستَوِيَة مثل قشرة السنكتاره، وشرابُها عجيب.

چنبيري:

فاكهةٌ شكلها يشبه النارنج، لكن لونها أكثر صفرة، ورائحتها تشبه رائحة الترنج، كما أن طعمها لاذع ولذيذ.

سدافل:

فاكهةٌ تشبه النارنج، لها شكلُ الكمثري، ولونُها مثل السفرجل، لذيذةٌ ولكنها لَيْسَت بحلاوةِ النارنج.

امرديل:

فاكهةٌ تشبه النارنج.

كرنه:

تشبه النارنج، وحجمها مثل الليمون الكبير، ومذاقها حمضي.

املبيد:

فاكهةٌ تشبه النارنج. رأيتُها لأولِ مرةٍ مُنْذُ ثلاثِ سنوات، ويقولون: إنه لو غُرِسَت بداخلها إبرة،(٢٨٧ب) فإن الإبرة تذوب مِن حموضتها أو مِن خواصها. ولها حموضةُ النارنج والليمون.

زهور الهِنْد:

فِي «الهِنْد» زهورٌ جميلة مِنْها:

جاسون:

وبعضُ الهنودِ يُسَمونه كَدْهَل. وهذا ليس بعشب، إذ أن له ساق مثل الوردة الحمراء. وأغصانها أعلى قليلا مِن أغصانِ الورد. ولونها الأخضر أفتح مِن زهرةِ الرمان. وبحجمِ الوردةِ الحمراء. لكن الوردة الحمراء تكون برعمًا ثُمَّ تتفتح، أما الجاسون فبعد أن يتفتح يخرج البرعم رقيقا مِن وسط أوراقها المتفتحة، وينمو بطول إصبع واحد، ثُمَّ تتفتح أوراق الجاسون مرة أخرى. وفِي النهاية تتكون زهور كثيفة لها شكل القلب. وهو أمرٌ لا يَخْلُ مِن الغرابة. فيبدو فوق

الشجرةِ جميل اللون، وبديعُ الشكل، ولا يُعَمِّرُ طويلا، إذ يذبلُ] فِي يَومٍ واحدٍ، وتتفتحُ فِي أكثرِ العام لكن يجود تفتحها فِي فصلِ المطر الذي يستمر أربعة شهور، وبالرغم مِن وفرتها، فليس له رائحة.

زهرة الكَنير:

مِنْها الأبيض والأحمر، ولها شكل زهرة الخوخ، وذات خمس أوراق، وهُنَاكَ وجهٌ للشبه بين زهرتِه الحمراء وزهرةِ الخوخ. وتتفتح أربع عشرة زهرة أو خمس عشرة مِن زهرة الكنير مِن منبت واحد. وتبدو مِن بعيدٍ كزهرةٍ كبيرة. وتزكو رائحتها كلما زادت حُمْرَتها. وهذه الزهرة تتواجد فِي أكثرِ أوقاتِ السنة لكن يجود تفتُّحِها وتجمل فِي فصل المطر. (٢٨٨أ).

زهرة الكيورا:

وهي زهرةٌ زكيّةُ الرائحة، وإذا كان عيْب المسك فِي جفافه، فيمكن القول إن زهرةَ الكيورا هي المسكُ الغض، ورائِحَتُها أزكى مِن المسك. والحقيقة، إن منظرها غريب، ويتراوح طول زهرتها بين شبرٍ ونصف إلى شبرين. وشكلُ أوراقِ غصونها طويلة وذات أشواك، أما أوراقها الداخلية فهي لينة وبيضاء. وبين أوراقها الداخلية تنمو بتلات تشبه التي فِي قلب الوردة، وتنبعث مِنْها الرائحة الطيبة. وفِي أول تفتحها، تكون اغصانها التي لم تزهر بعد تشبه الغاب. وأوراقها منبسطة وأعرض، وساقها المملوءة بالشوك غير منتظمة، وجذورها بادية للعين.

الياسمين:

ويُسَمونه چنبا، لونُه أبيض. وهو أكبرُ مِن الياسمينِ الذي نعرفه فِي بلادِنا، ورائحتُه أقوى.

مواقيت الهِنْد:

فصولُ السنةِ فِي غيرِ «الهِنْد» أربعة، أما فِي «الهِنْد» فهي ثلاثةُ فصول. أربعةُ شهورٍ للصيف، وأربعةُ شهورٍ للمطر، وأربعةُ شهورٍ للشتاء. وبدايةُ الشهورِ تُحسب قَمَريا. وكل ثلاث سنوات يضافُ شهر إلى شهور المطر، وبعد ثلاث سنوات أخرى يضاف هَذا الشهر إلى شهورِ الشتاء، وبعد ثلاثة أخري يضاف إلى شهورِ الصيف. والشهور الكبيسة مِنْها هي:

(٢٨٨ب) چيت، بيساك، جيت، آسار[١]، وهي فصل الصيف. وتُقَابِل [أبراج] الحوت، والحَمَل، والثَّوْر، والجَوْزاء. وشُهُور المطر تُقَابِل السرطان، والأسد، والسُنْبُلة، والميزان. وشهور الشتاء تُقَابِل العقرب، والقَوْس، والجدى، والدلو.

وقد قَسَّم الهنود الشهورَ الأربعةِ لِكُلّ فصلٍ إلى قِسْمَيْنِ، وكل قِسْمٍ مِنْها قَسَّموه إلى شهرين، يسمى أحدهما باسم شهرى الشدة، فشهران لشدةِ الحر، وشهران لشدةِ المطر، وشهران لشدةِ الشتاء. فالشهران الأخيران مِن الصيف هما شدة الحر، ويقابلان [برجى] الثور، والجوزاء، والشهران الأولان مِن فصلِ المطر هما شدة المطر، ويقابلان [برجى] السرطان، والأسد، والشهران الأوسطان مِن شهورِ الشتاء هما شدة البرد، ويقابلا [برجى] القَوْس، والجدي. وهكذا تكون السنة [عبارة عن] ستة فصول.

كما أثبتوا أسماء الأَيَّام وهي؛ سينجر ،يكشنبه،ايتوار ،دوشنبه،سموار، سه شنبه، منكلوار[٢].

حساب الوقت فِي الهِنْد:

وكل ساعة تنقسم إلى ستين جزء، ويسمى الجزء مِنْها دقيقة. وفِي ولاياتنا، تعرفنا على تقسيم الليل والنهار إلى أربعةٍ وعشرين قسما، الواحدُ مِنْها ساعة، فيكون الليل والنهار ألف وأربعمائة وأربعين دقيقة، ومدة الدقيقة تساوي تقريبًا قراءةَ سورةِ الفاتحة مع البسملة ست مرات (٢٨٩أ). ويمكن قراءة سورة الفاتحة مع البسملة فِي اليوم والليلة ثمانية آلاف وستمائة وأربعين مرة.

أما الهنود، فيقسمون الليل والنهار إلى ستين [جزء] يسمون الواحد مِنْها كري[٣]، ويقسمون الليل إلى أربعِ فترات، والنهار إلى أربعِ فترات أخرى، يُسَمون الواحدة مِنْها «بَهْرَه»[٤]،

(١) تقابل شهور مارس وإبريل ومايو، ويونيو.

(٢) تبدأ أسماء الأَيَّام بيوم السبت.

(٣) الجزء يساوى٢٢ دقيقة.

(٤) الفترة تساوي ثلاث ساعات.

وهي بالفارسية سي باس. ويردد النَّاس لفظا باس و باسنان لكنهما ليسا بالمعني الذي نعرفه.

ويضطلع بمهة الميقاتى فِي كل مدن «الهِنْد» المعتبرة جماعة مقررة ومعينة تسمي الكريالية، وهؤلاء يستخدمون صَحْفة كبيرة مِن النحاس الأصفر له شكل الطبق وعمقها حوالي إصبعين، ويسمون هَذِهِ الصَّحْفة كريال. ويضعون هَذَا الكريال فِي مكان مرتفع. ومع بدء كل كري [أي جزء مِن الوقت] يضع الكريالي وعاءً مثقوبا يشبه ساعة مِن زجاج فِي الماء ليعرف به الوقت. فإذا وضعه مع شروق الشمس وامتلأ [مرة واحدة]، فإن الكريالى يضرب بمطرقته مرة واحدة. ولو امتلأ مرتان يطرق مرتين. وهكذا حَتَّى تنتهي الفترة [أي : البهره]. ولانتهاء كل فترة علامة هي أن يطرق الكريالى بقوة وبِشَكْلٍ مستمر. ولوكان الوقت أول فترة مِن النهار، فإن الكريالى يطرق الكريال بِشَكْلٍ متصل، (٢٨٩ب) ثُمَّ يتوقف برهة، ثُمَّ يطرق مرة واحدة. فإذا كانت الفترة الثانية فإن الكريالى يطرق طرقا متواصلا، ثُمَّ يطرق مرتين بعد برهة. وفِي الثالثة يطرق ثلاث مرات، وفِي الرابعة يطرق أربع مرات. حَتَّى تنتهي فترات النهار الأربع، ومع بداية فترات الليل يفعلون ذات الأمر طوال فترات الليل الأربعة.

وكان الكريالية مِن قبل، يطرقون الكريال مع نهاية كل فترة مِن الليل والنهار علامة على انتهائها. فمن يستيقظون مِن نومهم ليلًا ويسمعون الصوت الدال على الجزء الثالث أو الرابع، لا يعرفون فِي أي فترة هم [مِن فترات الليل]، أهي الفترة الثانية أم الثالثة. لهذا أمرتُ أن يُطرق الكريالى الطرقة الدالة على الجزء مِن الليل والنهار، ثُمَّ يُطرق طرقةً أخرى تدل على [ترتيب] الفترة مِن الليل أو النهار.

فمثلًا يُطرق ثلاث مرات للدلالة على الجزء الثالث مِن الفترة الأولى مِن الليل، ويتوقف لحظات،ثُمَّ يُطرق مرة ثانية للدلالة على الفترة، فيتضح مِن هَذِهِ الطرقات الثلاث، أنها الجزء الثالث مِن الفترة الأولي. وبعد أن يطرق إشارة الجزء الرابع مِن الفترة الثالثة مِن الليل يتوقف لحظات، ثُمَّ يُطرق ثلاث مرات للدالة على الفترة، فيفهم أنها الجزء الرابع مِن الفترةِ الثالثه. وقد

لَقِيَ هَذَا استحسانا كبيرا. فمن يستيقظ فِي اللّيْلِ، كان يتبين [الوقت] وفِي أي جزء مِن الليل هو وذَلِكَ مِن عددِ طرقات الكريال.

وقد قسموا كل جزء إلى ستين جزيئ. وسموا كل واحد مِنْهُ پَل. فالليلة (٢٩٠أ) واليوم ثلاثة آلاف وستمائة جزيئ، ومدة كلجزيئ قدر طرفة العين ستين مرة. وعدد طرفة العين فِي اليوم والليلة مائتى وستة عشر ألف مرة. وقد جربتُ فوجدتُ أن الجزيئ الواحد يكفي لقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾مع البسملة ثمان مرات. ويمكن أن تقرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [1] مع البسملة ثمانية وعشرين ألف وثمانمائة مرة فِي اليوم والليلة.

الموازين فِي الهِنْد:

- ثَبّتَ الهنود الموازين بطريقة جيدة:
- الماشة تساوي ثمانية رتي.
- والأربع ماشة تساوي تانك، أي اثنين وثلاثين رتي.
- والخمساشة تساوي مثقال، أي أربعين رتي.
- واثنتا عشرة ماشة تساوي توله أي ست وتسعين رتي.
- وأربع عشرة توله تساوي سير.
- واتفقت على الأماكن على أن الأربعين سير تساوي باتمان.
- واثنتا عشرباتمان تساوي ماني.
- ومائه ماني تساوي منياسه.
- ويزنون الجواهر واللؤلؤ بالتانك.

- الأعداد فِي الهِنْد:

كما أن الهنود ثبتوا الأعداد تثبيتًا جميلًا:

- المائة ألف [أسمها] لك.

---

(١) سورة الإخلاص الآية ١.

- والمائة لك كرور.
- المائة كرور ارب.
- والمائة ارب كرب.
- والمائة كرب نيل.
- والمائة نيل پدم.
- والمائة پدم سانك.

وهذه الأعداد دليل على عِظَم أموال «الهِنْد».

وأغلبُ أهلِ «الهِنْد» كفار، ويسمى أهل «الهِنْد» الكَافِر هِنْدو. وأكثر الهِنْدو يؤمنون بالتناسخ. ومنهم العمال، والأجراء، والخدم كلّهُم. والقَبَائِل الرُّحَّل فِي ولاياتنا وفِي الصحراء يحملون أسماء قبائلَهُم. وهنا أيضًا يتسمي المتوطنون فِي الولاية وفِي القرى بأسماء قبائلَهُم. وكل صاحب مهنة يمارس هَذهِ المهنة أبا عن جِد.

الهند عِنْدَ الفتح البَابُرى::

و«الهِنْد» مكانٌ قليلُ البهجة، ينقُص أهله الجَمال، ويفتقرون إلى حَسَن العِشرة والتربية والضِيافة، فلا ذَوق ولا ذَكاء، ولا أدب ولا كَرَم أو مروءة، ولا نِظام ولا جَمال فِي فنونهم وأعمالَهُم، ولا أسلوب ولا نظام، ولاخيل جيدة، ولا لحم طيب، ولا عنب أو شمام أو فواكه طيبة، ليس بها ثلج أو ماء بارد، والطَّعَام الجيد والخبز الطيب، والحمامات والمدارس والشمع والمشاعل والشمعدان كل هَذهِ أشياء غير موجودة فِي أسواقه.

وحملة المشاعل عبارة عن جمع كبير قبيح، ويسمونهم ديوتي.فيُمسكون فِي أيديهم الشمال واحدًا أو ثلاثة مِن العصي الصغيرة بدلًا مِن الشمع والمشاعل، وفِي طرف كل واحدة مِن هَذهِ العصي الثلاثة يثبتون قطعة مِن الحديد عَلَيْها خشبة ذات ثلاث شعب مثل رأس الشمعدان، ويربطون فتيل بسمك إصبع الإبهام، على الدعامة الحديدية المثبتة على الخشبة ذات الشُعب الثلاث. وفِي يدهم اليمني، وعاء به فتحة ضيقة قليلًا يصبون مِنْها الزيت، وكلما احتاج الفتيل إلى

زيت يضعونه مِن هَذَا الوعاء. ويستخدمون هَذَا بدلًا مِن الشمع والمشاعل. ويُوجَد لكبارهم مائه أو مائتين مثل هؤلاء الدويتية. وإذا كان لدي السُلْطَان والأمراء فِي اللَيْلِ عمل يحتاج إلى الشمع، يقوم هؤلاء بهيئتهم القبيحة بإحضار هَذَا الشيء، ويقفون بجوارهم.

وليس بالهِنْد مياه جارية فِي الحدائق والعمائر سوى تلك التي تجرى فِي الأنهار وباطن الأرض والمياه المتجمعة فِي الوديان. ولا يُوجَد فِي عمائرهم صفاء أو هواء أو أصول أو انتظام.

ملابس الهِنُود:

يتجول الرعيةُ والدهماءُ [فِي الهِنْد] وهم عراة تمامًا، ويربطون الشيء المسمي لنكوته، فيلفون قطعة مِن القماشِ طولها شبرين أسفل السُرَّه. وقطعةٌ أخرى فوقَ قطعةِ القماش المتدلية، فيربطون طرفها بخيط هَذهِ اللنكوته، ويمررون الطرف الثاني بين الفخذين. ويمررونه مِن الرباطِ الخلفي للنكوته ويمسكونه به. أما السَيِّدات، فيربطن قطعةَ قماشٍ طويلةٍ تسمى اوق لنك. يربطن نصفه حول وسطهن، ويغطين رؤوسهن بالنصف الثاني.

مزايا الهِنْد:

ومزية ولاية «الهِنْد» أنها لَيْسَت كبيرة. ويتوفر فيها الذهب والمال. وهواؤُها لطيفٌ جدًا فِي فصلِ المطر، وأحيانا تمطر فِي اليومِ الواحدِ عشر أو خمس عشرة مرة. وفِي أوقاتِ المطر تحدث السيول. وتصب مياهها فِي الأماكن المحرومة مِن المياه. والأماكن التي تتعرض للمطر يصير الهواء فيها لطيفا للغاية، وتصبح فريدةً فِي اعتدالِ هوائِها ولطافتِه. ولا يعيبها سوى زيادة الرطوبةِ فِي الهواء. وفِي فصلِ المطرِ فِي تلك الولايات لا تنطلق السهام مطلقًا مِن أقواسها، ويصيبها العَطَب. (٢٩١ب) ليس الأقواس فقط، بل إن الدروعَ والكتبَ والقماشَ والمتاعَ أيضًا كلها تتأثر مِن الرطوبة. والمباني أيضًا واهية. بالإضافة إلى فصل المطر. فإن الهواء يكون جيدا فِي الشتاءِ والصيف، لكن تهب فيها ريحُ الشمال، ويكثر الغبار. وصيفُها فِي برجي الثور والجوزاء. وعندما يقترب فصل المطر. تهب الرياح شديدة أربع أو خمس مرات، ويكثر الغبار حَتَّى

يحجب المرء عن الآخر، ويسمون هَذِهِ الرياح آندي [1]، والهواء يكون حارا فِي الجوزاء [2]. لَكِنَّهُ ليس سيئًا أو مفرط الحرارة. فلا يصل نصف حرارة «بَلْخ»، و « قَنْدَهار». ومدته أيضا نصف مدته فِي تلك الأماكن.

ومن حسناتها، أن بها ما لا يُعَدُّ ولا يحصى مِن أَرْبَاب الحرف ومن كل صنف. وأَرْبَاب كل حرفةٍ [عبارة عن] مجموعة مقررة ومعينة، يمارسون هَذِهِ الحرفة أَبًا عن جَد. ولاسيما أن المُلَّا شرف سجل فِي منظومته ظفرنامه أن الأمير تيمور [3] كان يجلب يوميًا مائتين مِن الحجارين مِن آذربيجان، وفارس، و«الهِنْد» والممالك الأخرى للعمل فِي عمارة المسجد الحجرى. أما عمائرنا الخاصة فِي «أَكْرا»، فيشتغل فيها كل يوم ستمائة وثمانين شخص مِن الحجارين المحليين مِن «أَكْرا» وحدها. وذات مرة، كان يشتغل فِي عمائرنا الخاصة فِي «أَكْرا»، و«سيكري»، و«بيانه»، و«دلپور»، و«كواليار»، وكول، ألف وأربعمائة وواحد وتسعين حجار كل يوم. وقياسا على هَذَا، فإن أَرْبَاب كل حرفة فِي «الهِنْد» (٢٩٢أ) لا تعد أعدادهم ولا تحصى.

وهذه الولايات مِن «بَهْرَه» إلى «بهَار» تحت أيدينا. و[ريعها] إثنين وخمسين مائة مائة ألف. ويتضح مجموعها مِن هَذَا الجدول المفصل. مِنْها ثمان أو تسع مائة مائة ألف عن مُقاطَعات الراي والراجاوات التابعين لنا، وكانت هَذِهِ المقاطعات فِي أيديهم مُنْذُ القدم يجمعون أموالها ويحافظون عَلَيْها. وجميع ولايات «الهِنْد» المُسَخَّرة لراياتنا المنصورة [إيراداتها] مُنْذُ ذَلِكَ الحين [بالتخمين] على هَذَا النحو:

ولاية أنروى آب ستلج، وبهره، ولاهور، وسيالكوت، و ديپالپور وغيرها، [إيرادها] ٣ كرور، ٣٣ "لك" ١٥,٩٠٩ تنكَه

ولاية سِهْرِنْد: ١ كرور، ٢٩ لك، ٣١,٩٨٥ تنكَه.

---

(١) جاءت فِي الانجليزية بمعنى ظلمة السماء.

(٢) جاءت فِي الانجليزية الثور والجوزاء.

(٣) يقصد تيمورلنك.

ولاية «حِصار» فيروز : ١ كرور، ٣٠ لك، ٧٥,١٧٤ تنَكَه.

ولاية دار المُلك دهلي وميان دوآب، ٣ كرور و٦٩ لك، ٥٠,٢٥٤ تنَكَه.

ولاية «ميوات» فيما عدا فترة سكندر [اللودى]

ولاية بيَانه ١ كرور، ٤٤ لك، ١٤,٩٣٠ تنَكَه:

ولاية أكرا: ٢٩ لك، ٧٦,٩١٩ تنَكَه.

ميان ولايت: ٢ كرور، ٩١ لك، ١٩ تنَكَه.

ولاية كواليار: ٢ كرور ٢٣ لك٥٦,٤٥٠ تنَكَه

ولاية كالبى وسهنده وغيره: ٤ كرور، ٢٨ لك، ٥٥,٩٥٠ تنَكَه.

ولاية قُنوج: ١ كرور، ٣٦ لك، ٦٣,٣٥٨ تنَكَه.

ولاية سنبل: ١ كرور، ٣٨ لك،٤٤,٠٠٠ تنَكَه

ولاية لكنور وبكسر: ١ كرور، ٣٩ لك، ٨٢,٤٣٣ تنَكَه.

ولاية خيراباد: ١٢ لك، ٦٥,٠٠٠ تنَكَه.

ولاية اود وبهرايج: ١ كرور، ١٧ لك، ١,٣٦٩ تنَكَه.

ولاية جونبور: ٤ كرور، ٨٨,٣٣٣ تنَكَه.

ولاية كره ومانكبور: ١ كرور، ٦٣ لك، ٢٧,٢٨٢ تنَكَه.

ولاية بهَار: ٤ كرور، ٥ لك، ٦٠,٠٠٠ تنَكَه.

ولاية سروار: ١ كرور، ٥٥ لك، ١٧,٥٠٦ ونصف تنَكَه.

ولاية سارن: ١ كرور، ١٠ لك،١٨,٣٧٣ تنَكَه.

ولاية جبارن: ا كرور، ٩٠ لك، ٨٦,٠٦٠ تنَكَه.

ولاية كندله: ٤٣ لك،٣٠,٣٠٠ تنَكَه.

ولايةترهت (راجه روب) : ٢٧ لك، ٥٠,٠٠٠ تنَكَه.

ولاية رنتنبور(من يولى وجاتسو وملانه): ٢٠ لك.

ولاية ناكور:-------

ولايةراجه بكر ماجيت(من رنتنبور):-------

ولايةكلنجرى:--------

ولاية راجه سنكديو:------

ولاية راجه بكم ديو:------

ولاية راجه بكم جند:------

(٢٩٣ب) وقد كتبنا عن موقع ولايات «الهِنْد» وما تُعرف به، وخصائص أهلها وصفاتهم. فإذا بدا للعين أو تناهى للسمع بعد ذَلِكَ ما يستأهل الكتابة فسوف أكتبه.

خزينة الهِنْد:

فِي يَومِ الاثنينِ التاسعِ والعشرين مِن شهرِ رجب، انشغلنا بالنظرِ فِي الخزينةِ وقِسْمَتها. وأعطينا إلى هُمايون مِنْها سبعين مائة ألف، علاوة على خزينة جماعة بأكملها بدون حصر لها أو قيد له. وأعطينا بعض الأُمَرَاء عشرة مائة ألف، وللبعض الآخر ثمانمائة ألف أو سبعمائة ألف أو ستمائة الف.كما أنعمنا على كل المَوْجُودِينَ فِي الجَيْش؛ مِن الأَفْغَان، والهزاره، والعرب، والبلوج، وعلى كل جماعة بقدر مِن الأموال يتناسب مع حالها. وقد حَصَل كُلّ تاجِر وكُلّ طَالِب عِلمٍ، بَل وكُل امرئ رافق الجَيْش،على الحظِّ الوافِر والنصيبِ الكامِل مِن الإنْعَامَات والعَطَايا. كما أرْسَلْنا إلى غير المشتركين فِي الجَيْش كثيرًا مِن الإنعامات والعطايا مِن هَذهِ الخزينة. فأرْسَلْنا إلى كامران سبعة عشرة مائة ألف، وإلى مُحَمّد زمان مِيرْزا خمس عشرة مائة ألف، وإلى عَسْكَري [مِيرْزا] وهِندال [مِيرْزا] بل وإلى كل الأقارب الشيء الكثير مِن الذهب، والفضة، والقماش، والجواهر، والعبيد. وأرْسَلْنا هدايا كَثيرَة إلى أمراء تلك النواحي وإلى الفُرْسَان، وأرْسَلْنا هدايا إلى الأقاربِ فِي «سَمَرْقَنْد»، و «خُراسان»، (٢٩٤أ) و«كاشْغَر»، و«العراق». كما أرْسَلْنا النذور إلى المشايخ فِي «سَمَرْقَنْد»، و«خُراسان»، وإلى«مكة»، و«المدينة» أيضًا. كما أحسنا

بشاهرخ واحد على كل رجل وامرأة وعبد وحر وكبير وصغير في ولاية «كابل»، وأحواز «وزسك».

تحالف بعض أمراء الهند ضد بابر:

وفي أول مجيئنا إلى «اكْرا»، دَبّ نشوز غريبٌ ووحشةٌ بين رجالنا والأهالي، وكان الفُرسان والرعية يفرون مِن رجالنا إلى كل صَوْبٍ وحَدَبٍ. ولم تُعْلِن كل الأماكن ذات القِلاع الانصياع لنا اعتمادا على مَنَعَةِ قِلاعها باستثناء «دِهْلي»، و«اكْرا». وكان قاسم السُنْبُلي في «سُنْبُل»، ونظام خان في «بيَانه»، وحسن خان الميواتي في «ميوات»، وهَذَا الرجل الملحد هو السبب في هَذَا الشر والفساد. وكان مُحَمّد زيتون في «دُولْپُور»، وتاتار خان السارنكاني في«كواليار» ، وحسين خان النوحاني في «رابري»، وقطب خان في «اتاوه»، وعالِم خان في «كالْپي».

أما نواحي «قنوج»، و«كُنكْ» فكانت كلها في يدِ الأفْغَان المعارضين أمثال نصير خان النوحاني، ومعروف الفَرمُلي وعدد كبير مِن الأُمَرَاء. وهؤلاء انتقلَت إليهم «قُنوج»وكل الولايات التي في ذَلِكَ الجانب، وبعدما ظهرتُ على ابراهيم [اللودي]، جاءوا مِن «قُنوج» إلى هَذهِ الناحية، وأقاموا على مَسَافَة منزل أو اثنين. وأعلنوا بَهادِر خان ابن دريا خان سُلْطَانا (٢٩٤ب)، ولقبوه بالسُلْطَان محمود. ورغم أن مرغوب قولكان كان في «محاون» عَلَى مقربةٍ منا، لَكِنّهُ لم يأت مُنْذُ أمدٍ بعيد.

شكوى بَابُر مِن رِجَاله:

عِنْدَمَا جِئْنَا إلى «أَكْرا»، كان فصلُ الحر[قد بدأ] وهَرَبَ كل الأهالي خشية [منا]. فلم نجد بها طعاما لنا، أو علفا لخيولنا. وبسبب المُغَايَرة والنُفُور، شَرَع أهل القُرى في قطعِ الطريقِ والسرقةِ والعداون. واستحال السَّيْر بالطرق. وكنا آنذاك مشغولين بقسمةِ الغنائم، لذا لم تسنح لنا الفرصة مُنْذُ ضبطِ الخزينة وحَتَّى الآن لتَعْيين الرِجَال الأَكفاء لِكُلِّ مقاطعةٍ ومَوْضِع. فقد كان هَذَا العام قائظا، ولقِيَ كثيرٌ مِن الرِجَال حتفهم بتأثيرِ ريحِ السموم. ولهذا انفض عنا أغلب الأُمَرَاء

والفتية الجيدين. وكانوا متضررين مِن البقاء فِي «الهِنْد»، بل إنهم قرروا الرحيل. ولو كان هَذَا هو قولُ الكبارِ أَرْبَاب التجربة، فلا تثريب عَلَيْهم، إذ قلما قالوا مثل هَذَا الكلام، فبعد أن ينجلى الأمر، يميز كل ذى عقل ومنطق بين الصالح والطالح، وبين الطيب والخبيث. لكن ما معني ترديد الكلام المعاد، وأن يتحرك كل أمرؤ وفق هواه. وما سبب أن يردد كل غرير صغير، مثل هَذهِ الأفكار والأقوال التي لا طائل مِنْها (٢٩٥أ).

والغريب فِي الأمر، إنه عِنْدَمَا تَحَرَّكْنَا هَذهِ المرة مِن «كَابُل»، كان بعض هؤلاء الصغار حديثى العهد بالإمارة، وكنتُ أتمني منهم أننى لو خضتُ النَّهْر أو النار وخَرَجْتُ مِنْها، أن يخوضوا معي ويخرجوا مِنْها بغير تردد، و يكونوا إلى جواري حيثما أذهب. لا أن يكون كلامهم على خلاف ما آمله، ويخرجون عما اتخذنا فيه قرارا باستشارة الجميع واتفاقهم، ويذهبون بغير مشورة.

والواقع، إن هؤلاء [الصغار] أساءوا التصرف، ونهج أحمدي اليروانچي، وولي خازن نهجهم وكانا على شاكلتهم. أما الخوجه كلان فقد أحسن التصرف مُنْذُ غادرنا «كَابُل»، وانتصرنا على ابراهيم إلى أن فتحنا «أَگْرا»، وكانت له كلمات شجاعة، وقدم أفكارا مفيدة. لكن بعد أن أخذنا «أَگْرا» ببضعة أَيَّام تغير كل تفكيره، وأصبح مِن المحرضين على الذهاب.

وعندما شاع أمر ترددهم، استدعينا كل أمراءهم للمشاورة، وقلت:"إن السَّلْطَنَة والفتح لا يكونا بلا أَسْبَاب وآلات، والسلطنة والإمارة لا يمكن أن تكون بلا رِجَال وولايات.كم سعينا لسنوات وسقنا بالجند، وكم كابدنا مِن الصعاب، وقطعنا الأرض بجيوشنا لمسافات بعيدة، وعرضنا أنفسنا ورِجَالنا للحرب ومخاطر القِتَال. (٢٩٥ب) وبعناية الله، انتصرنا على مثل هَذَا الجمع الغفير مِن الأعداء، وأخذنا مثل هَذهِ البلاد الوَاسِعَة. فما السبب أو الضرورة أو الضرر الذي يدفعنا لأن نترك الآن وبغير علة[أو سبب] الولايات التي كابدنا لفتحها. كما أن رجوعنا إلى «كَابُل»، يعنى مُكَابَدَة الضيق مرة أخرى. فمن حَسُنَت نواياه، يكُفُّ عن هَذَا القَوْل بعد الآن. ومن لا طاقة له على الاحتمال، ويرغب فِي الذهاب فليذهب، على ألا يرجع [هنا] مرة أخرى.

وبهذه الكلمات العاقلة المناسبة هدأ الجميع [وأنصاعوا لنا]طَوْعا أو كُرها. ولما كان الخوجه كلان قد عَقَدَ العزْمَ على الرحيل، فقد قرَّرْنا أن يأخذ الخوجه كلان رِجَاله وينقل الهدايا إلى «كَابُل» و «غَزْنَة»، ويتولى أمورَ الضبطِ والربطِ هُنَاكَ فهو كثير الجُنْد، والرِجَال هُنَاكَ قِلة. وأحسنا عَلَيْهِ بغَزْنَة، و «كرديز»، وهزارة السُلْطَان مسعودي. كما أعطيناه مقاطعة كهرام فِي «الهِنْد» وريعها ثلاثمائة أو أربعمائة ألف.

وتقرر ذهاب الخوجه مير ميران إلى «كَابُل». وأودعنا الهدايا فِي عهدته. وعينا المُلّا حَسَن الصراف، وتوكههندو، قابضَيْن. ولأن الخوجه كلان لا يحب «الهِنْد»، فقد كتَبَ عِنْدَ ذهابِه هَذَا البيتُ مِن الشعرِ على جِدَارِ بيته:

إذا غادرتُ السِّنْد بخير وسلامة،

فليسود الله وجهي إن اشتقتُ إلى «الهِنْد» ثانية

وكان مِن غير اللائق أن يَكْتب بيتا ساخرا كهذا، ونحن مازلنا فِي «الهِنْد»، ولو كان فِي ذهابة كدَرٌ، فقوله هَذَا زاد مِن كدَرِنا. فكتبتُ بدورِي هَذهِ الرباعية ارتجالًا وأرسلتُها إليه:

يا بَابُر، أشكر الكريم الغفار

الذي وهبك السِّنْد والهِنْد ومُلكا كبيرا

فإن لم يصمد وجهك لحرارته، وتتوق للبرد،

أمامك غَزْنَة؛ فول وجهك شطرها

وفِي هَذهِ الأثناء، أسندنا إلى المُلّا آپاق إدارة بعض الأَفْغَان. وكان مِن قبل ذا رتبة صغيرة، ومنذ سنتين أو ثلاث جمع إخوته كبارًا وصغارًا وصار ذا رِجَال. ومن ضَفَّة السِّنْد [أرْسَلْناه] إلى « كول» حاملا مراسيم استمالة إلى الفُرْسَان و الرماه فِي تلك النواحي وما حولها.

وجاء الشَّيْخ كُورَن مخلصا ومنيبا، ومعه ألفين أو ثلاثة آلافٍ مِن فرسانِ ميان دوآب ورماتها، والتزموا. وبينما يونس على فِي طريقِهِ مِن «دِهْلي» إلى «أَكْرا»، ضَلَّ الطريق، وافترق عن هُمايون، فقابل مصادفةً أبناءَ عليخان الفَرمُلي وأهلَه. وبعدَ معركةٍ قصيرة، هزمَهُم وأَسَرَ أبناء

عليخان وساقهم إلينا. لذا أرسلتْ مِيرْزا مُغُول ابن دَوْلَتْ قَدَم التركى ومعه أحد أبناء عليخان المأسورين بمراسيم استماله إلى (٢٩٦ب) عليخان، وكان قد توجه إلى «ميوات» وقت هزيمته. وقد جاء عليخان مع مِيرْزا مُغُول، فأَظْهَرْنَا له الاحترام، وأعطيناه مقاطعةً ريعها خمس وعشرين مائة ألف، مِن مقاطعاته.

وأرسل السُلْطَان ابراهيم عددا مِن الأُمَرَاءِ بقيادةِ مصطفي الفَرمُلي، وفيروز خان السارنكخاني لقتالِ الأُمَرَاءِ العصاة البغاة فِي «پُورَب». فأحسن مصطفي مناجزتهم، وهزمهم هزيمة منكرة أكثر مِن مرة. وقد توفي مصطفي قبيل هزيمة [السُلْطَان] ابراهيم. فآلت فِي التوّ الولايات التي كانت تحت سيطرتة ورِجَاله إلى أخية الأَصْغَر الشَّيْخ بايزيد، إذ كان [السُلْطَان] ابراهيم مشغولا بأعمال مهمة. وقد جاء الشَّيْخ بايزيد إلينا الآن ودخل فِي خدمتنا ومعه كل مِن فيروز خان، ومحمود خان النوحاني، والقاضي جيبا، فأَظْهَرْنَا إليهم المزيد مِن العناية والشفقة أكثر مما يأملون، وأحسنا على فيروز خان بمائةٍ وستٍ وأربعين مائةِ ألفٍ وخمسةِ آلاف تنكَه[1] مِن «جونپور»، وعلى الشَّيْخ بايزيد بمائةٍ وثمانٍ وأربعين مائةِ ألف وخمسةِ آلاف تنكَه مِن «أود»، وعلى محمود خان بتسعين مائة ألف وخمس وثلاثين ألف تنكَه مِن «غازيپو»، وعلى القاض جيبا بعشرين مائةِ ألف مِن «جونپور».

وبعد عيدِ الفِطر ببضعةِ أيَّام، أَقَمْنَا مجلسا للصُحبه فِي قبة الإيوان ذى الأَعْمْدَة الحجرية الذي يتوسط حرم عمارة السُلْطَان ابراهيم، وأنعمنا على هُمايون بقميص موشى، وسيف ذى حزام، وفرس ذى سرَّج مذهب، وعلى كل مِن چين تيمور سُلْطَان ، ومهدي خوجه، (٢٩٧أ) وسُلْطَان مِيرْزا، بقميص موشى،وسيف ذى حزام،وخناجر بحزام.وأنعمنا على كل واحد مِن الأُمَرَاء والفتيان كل حسب مكانتهبسيف ذى حزام،وخنجر ذى حزام وخلعنا على كلٍ حسب مكانته.ولاسيما أنتى دونت جملتهم وهي:

اثنان مِن الخيول المسرجة بالذهب، وسيفان مرصعان بحزام، وخمس وعشرون خنجرا

(١) هَذا الرقم يساوى ١.٤٦٥.٠٠٠.

مرصعا، وستة عشر خنجرا مرصعا،وسكين هندي ذو مقبض مِن الذهب، وخنجران مرصعان بحد عريض، وأربعة أثواب ذات أربعةقبب، وثمان وعشرون ثوبا سقرلاط.

وفِي يَومِ الصُّحْبَة، انهمرت أمطارٌ غزيرةٌ عجيبةٌ، فقد أمطرت ثلاث عشرة مرة فأصابت بعض مَن فِي الخارج، حَتَّى على أشرفوا على الغرق.

وأحْسَنا على مُحَمَّدي كُوكَلْداش بولاية «سامانه»، وكلَّفناه بالغارة على «سُنْبُل» . وكافأنا هُمايون بقلعة فيروزه، وزدناه إحسانا بسُنْبُل. وجعلنا هندو بِك مرافقًا له. ولهذا أرْسَلْنا هندوبك، وكَتَه بِك، وملك قاسم بابا قاشقة وإخوته كبارًا وصغارًا، والشَّيْخ كورن ومعه المُلّا آفاق، ورُماة «ميان دوآب»، للغارة على «سُنْبُل» بدلًا مِن مُحَمَّدى[كُوكَلْداش]. وجاء رجل مِن عِنْدَ قاسم السُنْبُلي ثلاث أو أربع مرات ليبلغنا: (٢٩٧ب) إن بِبَن الوضيع حاصر «سُنْبُل» فأعجزها، وينبغى الإسراع بالغارة ذَلِكَ أن بِبَن هَرَبَمِن عندنا بإعدادٍ وتخطيط، ولم يضيّعْ وقتا، فسَلَكَ طريقَ سفحِ الجبل، وجمع الأَفْغَان والهنود الهاربين والمشتتين، وجاء وحاصر سُنْبُل وهي خلوا [مِن الجُنْد].

وصَلَ هندو بِك، وكَتَه بِك وصحبه المتوجهين لشن الغارة، إلى مَخَاضَة اهار، وانشغلوا بتجاوزِ النَّهْر، وأرسلوا ملك قاسم بابا قاشقة وإخوته كبارًا وصغارًا إلى المُقَدِّمَة. وعندما جاوز ملك قاسم النَّهْر، سار ومعه إخوته وزهاء مائه أو مائه وخمسين رجلًا، واسرعوا فِي سيرِهم، فبلغوا «سُنْبُل» وقت صلاةِ الظهر. كما نَظَّمَ بِبَن رِجَاله، وتحرك مِن معَسْكَره. وتَقَدَّمَ ملك قاسم بسرعةٍ جاعلا القَلْعَة وراءه، وهاجم بِبَن الذي عجز عن الصمودِ أمامه فَوَلَّى هاربا. فقطع قاسم ملك رأس عدد مِن رِجَاله، وغنموا بضعة أفيال وبضعة خيول.

وفِي اليومِ التَّالِي، وَصَلَت جماعةٌ أخرى مِن رِجَال الغارة [إلى سُنْبُل]، وجاء قاسم السُنْبُلي ورآهم، وقرر أنه لا يَحْسُن به أن يسلم القَلْعَة لَهُم. وتشاور الشَّيْخ كوران مع هندوبك والآخرين، واستطاعوا بالحيلة استمالة قاسم السُنْبُلي، وإدخال رِجَالنا حصن « سُنْبُل ». وأخرجوا عائلة قاسم السُنْبُلي وأتباعه سالمين آمنين وأرسلوهم [إلينا].

وأرسلوا قلندر پياده بمراسيمِ الوعدِ والوعيدِ إلى نظامِ خان الموجود فِي «بيَانه».

(٢٩٨أ) وكتبوا هَذهِ القطعة بالبديهة:

يا أمير «بيَانه»، لا تدخل فِي نزاع مع الترك،

فبأس الترك وبطولتهم أمر معلوم.

فإن لم تصغ للنصح وتسرع بالإذعان،

فلا ضرورة لبيان ما هو واضح للعيان

وقلعة «بيَانه» مِن قِلاع «الهِنْد» المشهورة، وقد وثق [نظام خان] الأحمق فِي منعتها وتفوقه، فلم يُحسن جواب الرسول.

وانشغلنا بتجهيز أَسْبَاب فتح القَلْعَة، وأرسَلْنا بابا قُلي بك إلى مُحَمَّد زيتون بمراسيمِ الوعدِ والوعيد، فتَعَلَّل بالأعذار، وانتَهَج سبيل الحيلة.

خضوع أمَراءِ «الهِنْد» لبابُر:

وأثناءَ وجودِنا فِي «كَابُل»، أرسلَ راناسَنْكَا رسولَه ليُعْرِبَ لنا عن صداقتِهِ. و[ليبلغنا] قوله الذي عقد عَلَيْهِ العزم وهو إنه؛" إذا جاء السُلْطَان مِن «كَابُل» إلى ظاهر «دِهْلي»، فإنه سيتحرك مِن مكانه إلى «أَكْرا». وها أنا ذا [جئتُ]وهَزَمتُ [السُلْطَان] ابراهيم، وأخذتُ «دِهْلي»، و«أَكْرا». ولم يتحرك هَذَا الكَافِر حَتَّى ذَلِكَ اليوم. وبعد فترة، حاصر «قلعة كندار» التي بها حَسَن بن مكن. وجاء رِجَال مِن عِنْدَ حَسَن بن مكن عدة مرات و لم يأت هو بنفسه. ولم نكن قد رأيناه بعد، ولم يَكُنْ [رِجَالنا] قد استولوا بعد على القِلاع فِي تلك المناطق مثل «أتوا»، و«دُولْپُور»، و«كواليار»، و«بيانه». (٢٩٨ب) وكان الأَفْغَان فِي المَنَاطِق الشرقيةِ على العنادِ والعصيان، وأقاموا جُنُودهم فِي مَوْضِعين أو ثلاثة فِي المسافة مِن «قُنوج» إلى «أَكْرا»، ولأننا لم نطمئن بعد للعصاة فِي تلك المناطق، لهذا كله لم نكلف أحدا بمساعدته. وبعد شهرين أو ثلاثة، وجد حَسَن [بن مكن] نفسه عاجزا عن فعلِ شيء، فَعَقَدَ عهدا [معنا] وسَلَّمَ «قلعة قندار».

توزيع ولايات الهِنْد على رِجَال بَابُر:

كان حُسَيْن خان فِي «رابري»، فتركها وغادرها خوفا، فأعطيناها إلى مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك. وكان قطب خان فِي «اتاوه». وقد أرسلتُ له مراسيم الوعد والوعيد أكثر مِن مرة. فما جاء إلينا، بل ترك«اتاوه»وغادرها، فأنعمنا بها على الخوجه مهدي. ومددناه بعدد مِن رِجَال الأُمَرَاء وخواص مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، والسُلْطَان مُحَمَّد دلداي ومُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك، وعبد العزيز ميرا خوار، لتدعيمه وأرْسَلْناه إلى «اتاوه».

وأعطيتُ قَنوج إلى السُلْطَان مُحَمَّد دُلداي. كما أَظْهَرْنَا مزيدا مِن الرِّعَايَة لِكُلّ مِن فيروز خان، ومُحَمَّد خان، والشَّيْخ بايزيد، والقاضي جيا. وأعطيناهم مُقاطَعات مِن «پُورَب». كما عيناهم على «اتاوه».

وكان مُحَمَّد زيتون (٢٩٩أ) فِي «دُولْپُور»، فأخذ يتحايل ولم يأتِ. فأحسنا على السُلْطَان جُنَيْد برلاس «بدُولْپُور»، وأرْسَلْناه إليها وتحت قيادته عادل سُلْطَان، ومُحَمَّدي كُوكَلْدَاش، وشاه منصور برلاس، و قُتْلُقْقَدَم، وعبد الله، وولي جان بِك، وبيرقُلي، وشاه حَسَن باركي وذَلِكَ لِيَنْتَزِعُوها بالقوة، ويسلِّمُونها إلى سُلْطَان جُنَيْد، ثُمَّ يتوجهوا إلى «بَيَانه».

التحرك ضد نصير خان فِي پُورَب:

وبعد أن عيننا هؤلاء الجُنْد، استدعيتُ أمراء الترك و«الهِنْد» للتشاور، واقترحنا الآتى: إن الأُمَرَاء الباغيين فِي «پُورَب» وعلى رأسِهِم نصير خان النوحاني، ومعروف الفَرمُلي، جاوزوا «كُنَك» مع أربعين أو خمسين ألفا، وبسطوا سيطرتهم على «قَنُوج»، وصاروا على مَسَافَة منزلين أو ثلاثة منا.كما أخَذَ الكَافِر راناسَنْكَا كاندار وهو مشغولٌ بإثارةِ الفتنةِ والفساد. وأوشك فصلُ المطرِ على الانتهاء، وصار مِن اللازم والواجب أن نتحرك إما ضد الباغى[نصير خان]، أو ضد الكَافِر [راناسَنْكَا]. و[والرأي عندي] إن القِلاع التي فِي هَذهِ المناطق وماحولها، أمرها يسير، ويمكن التصدي لهؤلاء [الباغين] بعد دَفْعِ عدونا هَذَا. فلا يمكن أن نساوى بينهم وبين رانا سَنْكَا. فأتفق الجميع على أن راناسَنْكَا مازال بعيدا وغير معروف إن كان سيمكنه

الاقتراب[أم لا]. أما وهؤلاء الأعداء قد صاروا قاب قوسين أو أدنى، فإن دفعهم أهم وأَوْلى. واتفقت كلمتهم على البدءِ بالتحركِ ضد هَذَا الباغى. (٢٩٩ب) فقال هُمايون: لا حاجة لخروجِ السُلْطَان للقتال، أقوم أنا بهذه المهمة. وقد استحسن الجميع هَذَا، وأُعجِبَ أمراءُ الترك و«الهِنْد» بهذه الفكرة. وكلَّفْنَا هُمايون بأمر «پُورَب». وأرْسَلْنا أَحْمَد قاسم الكَابُلي على وجهِ السرعةِ إلى جند «دُولْپُور»، وأمرناهم أن يلتحقوا بهُمايون فِي «چندوار». كما أرْسَلْنا مرسومًا إلى الجُنْد الموجدين تحت إمرة الخوجه مهدي و مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا فِي «اتاوه» ليلتحقوا به.

وفِي يَومِ الخَميسِ الثالث عشر مِن شهر ذي القعدة[1]، خرج هُمايون للغارة. ونزل قرية جَليسِر، وهي قريةٌ صغيرةٌ على مَسَافة ثلاثةِ فَرَاسِخ مِن «أَكْرا». وبعد أن تَوَقَّفَ هُنَاكَ ليومٍ واحد، غادرها وتَقَدَّمَ مِن منزلٍ تلو آخر.

وفِي يَومِ الخَميسِ العشرين مِن الشهر. أَذِنّا لخوجه كلان بالذهابِ إلى «كَابُل».

إنشاء الحدائق فِي الهِنْد:

كان أكثر ما يشغل بالنا دوما هو خلو «الهِنْد» مِن المياه الجارية، وهذا أكبر عيوبها. وكنا أينما نَحِل نُؤَمِّن المياه الجارية عن طريقِ السواقي، ونُفَكِّر كيف يمكننا أن ننشئ فيها أماكن ذات نظامٍ وتخطيط.

وبعد مجيئنا إلى «أَكْرا» ببضعةِ أَيَّام، اجتزنا « نهر جون» للبحثِ عن الأماكنِ التي يمكن اتخاذها حدائق. فالأماكن قفر كريهة لدرجة أننا اجتزناها وشعور الاشمئزاز والنفور يملؤنا. ومن قبح هَذَا المكان وقذارته (٣٠٠أ) تخلينا عن فكرة إنشاء حَدِيقَة به. أما ولا يُوجَد مكان قريب مِن «أَكْرا» سواه، فقد اضطررنا بعد بضعة أَيَّام أن نتخذه [حَدِيقَة] وحفرنا بئرا كبيرا بالقدرِ الذي يؤمن لنا ماءً للاستحمام. وغرسْنا أشجارَ التمر «الهِنْدى» فِي مكانٍ به حوض ثُمانيّ الشكل، ثُمَّ أنشأنا حوضا وصَحْنا أمام المبني الحجري. و نظمنا حَدِيقَة خاصة بمكان إقامتنا الخاصة والبيوت. وبعد ذَلِكَ أنشأنا الحمام. وهكذا [تبدل الحال] فِي «الهِنْد» وهي المكان الذي

---

(١) يقابل ٢١ أغسطس ١٥٢٦.

يخلو مِن الصفاء والتنظيم، فأصبحت عامرة بالحدائق الجميلة المنسقة والمنظمة. وأمرتُ فزُيِّن كل ركنٍ مِنْها بالخمائلِ الجميلة، وكل خميلة مِنْها بالزهورِ والرياحين مناسبة.

وقد تَضَرَّرْنا مِن «الهِنْد» لثلاثةِ أَسْبَاب هي؛ حرارتها، ورياحها، وغبارها. وكان الحَمام دافعا للثلاثة. أما فائدته مع الغبار والرياح ؛ فالاستحمام فِي الهواء الحار يذهب حرارته وينقل الإنسان مِن الإحساس بالحرارة إلى الإحساس بالبرودة. وقد أنشأوا حجرة الحوض الساخن بالحَمَّام كلها مِن الحجر. والجوسق مِن الحجر الأبيض، وحجر التسخين فِي الحَمَّام والسقف كله مِن حجر «بَيَانه» القرمزى، وقد أنشأ كل مِن خليفة، وشيخ زين، ويونس على وكل مَن استقروا على ضَفَّة النَّهْر (٣٠٠ب) حدائق منظمة ومنسقة، وأحواضا للمياه. كما عملوا سواقي على طريق «لاهور» و«ديپالپور». وأجروا المياه. ولأن الهنود لم يروا مِن قبل مثل هَذِهِ الأماكن المنسقة الممهدة والمرتبة. فقد أطلقوا على الأماكن ذات العمائر فِي أنحية «جون» اسم «كَابُل».

وصف البئر الكبير:

أمرتُ بإنشاءِ بئرٍ كبيرٍ داخل حصن [أَكْرا]، فِي البقعة الخالية بين جِدَار الحِصْن وعمارة [السُلْطَان] ابراهيم، ويسمي الهنود البئر الكبير المُزَيَّن واين. وقد أنشأنا هَذَا البئر الكبير قبل إنشاء [حدائق] چارباغ، وانشغلنا بحفرها أثناء فصل المطر. وقد انهارت عدة مرات فوق العمال ودفنوا تحتها. وقد انتهينا مِنْها بعد غزوة راناسَنْكَاوالتاريخ المدون على الحجر، يُنْبِئ أنها تمت بعد الغزوة، وكانت بئرا كبيرا وجميلا. وبداخلها بناء ذو ثلاثة طوابق، يشتمل الطابق السفلي مِنْهُ على ثلاثة إيوانات. والوصول إلى الطريق يكون عبر السلم المؤدي للبئر. ونفس الطريق يؤدي إلى كل واحد مِن الايوانات. كل إيوان مِنْها يرتفع عن الآخر بثلاث درجات سلم. وعندما تُسحَب المياه مِن الإيوان السفلي، تنخفض المياه [فِي الإيوان العلوى] درجة واحدة. وعندما ترتفع المياه فِي فصل المطر يفيض الماء فِي بعض الأحيان مِن الإيوان العلوي. وفِي الطابق الأوسط صهريج مزخرف بجوار القبة التي بها الثور الذي يدير الساقية، (٣٠١أ) والطابق العلوي عبارة عن صهريج. ويحف سفح الصحن الخارجي الذي يعلو البئر، طريق مدَرَّج بخمس

أو ست درجات يفضى إلى هَذَا الصهريج. وفِي مواجهة الطريق المؤدي إلى الجانب الأيمن نُصُب مِن الحجارة. وبجوار هَذَا البئر بئر آخر. يزيد عمقه عن منتصف عمق البئر الأول. وينساب الماء مِن بئر إلى آخر بواسطة الساقية التي يديرها الثور الذي تحت القبة السابق ذكرها. وقد وضعنا عجلة فوق هَذَا البئر أيضًا، فينساب الماء مِنْ فَوْقِ السدة بهذه العجلة، ثُمَّ يجري فِي اتجاه الحَدِيقَة التي فِي مَوْضِعِ أعلى مِن البئر. وأقمنا بناءً مِن الحجر أمام سلم البئر. ويُوجَد خارج الجِدَار المحيط بالبئر مسجدا مِن الحجر لَكِنَّهُ غير جميلا، ومبني على الطراز الهِنْدي.

استيلاء هُمايون على جاجماوو:

عِنْدَمَا خرج هُمايون [للغارة]، كان الأُمَرَاء الباغين مجتمعين فِي «جاجماوو» [1] وعلى رأسهم نصير خان النوحاني، ومعروف القَرمُلي. وعلم هُمايون بتجمعهم هَذَا وهو على مَسَافَة عشرة أو خمسة عشر فَرْسَخا، فأرسل مؤمن اتكه ليتقصى الأمر. وكان بدوره يتطلع إلى الغارة على الغنيمة. فلما علم هؤلاء البغاة بمجيء مؤمن اتكه، ولوا ولم يعقبوا. ولم يتمكن مؤمن اتكه مِن تقصى حقيقة الأمر. وبعد مؤمن اتكه أرسلَ [هُمايون] قسمتاي، وبابا چهرة، وبوجكه لتقصى الأمر، فأخبروه بهزيمة العدو وفراره.وتحرك هُمايون فأخذ جاجماوو ثُمَّ تجاوزها. فلما اقترب مِن أنحية «دلماو» (٣٠١ب) جاء فاتح خان السرواني بنفسه وقابل[هُمايون]، وقد أرسله إلينا مع الخوجه مهدي، ومحمود سُلْطَان مِرْزا.

استيلاء عُبيد خان الأُزبكي على طوس ومَشْهَد:

وفِي هَذهِ السنة، ساق عُبيد خان الجُنْد مِن «بُخَارى» وجاء إلى «مَرْو»، وكان فِي قلعتها عشرة أو خمسة عشر فردا فقتلَهُم، ورَبَط خَراج «مَرْو» فِي أربعين أو خمسين يوما، ثُمَّ سار إلى «سَرَخْس»، وكان فِي قلعتها ثلاثين أو أربعين مِن القِزِلْباش، فأغلقوا بابَ القَلْعَةِ دونه ولم يسلموها. فأعْلَنَ رعاياهم العصيان، وفتحوا باب القَلْعَةِ للأزبك فدخلوها وقطعوا رؤوس

---

(١) اسم مكان فِي دوآب اسفل جونپور.

هؤلاء القِزِلْباش. وبعد أن أخذ «سَرَخْس»، سار إلى «طُوس» و«مَشْهَد». وكان أهل «مَشْهَد» لا حول لَهُم ولا قوة، فسلموا المدينة، كما أخذ « طُوس » صُلْحا بعد حصارٍ لها دامَ ثمانية أشهر.لَكِنَّهُ نَكَثَ بوعدِهِ وقَتل رِجَالها وأَسَرَ نِساءَها.

إعلان بَهادِر خان سُلْطَانا على كُجَرات:

فِي هَذهِ السنة، أصبح بَهادِرخان حاكم « كُجَرات» سُلْطَانا عَلَيْها مكان والده.

وكان قد لجأ إلى [السُلْطَان] ابراهيم [اللودي] بعد نِزاعٍ مع أبيهِ، لَكِنَّهُ لم يلق التقدير الذي كان يطمع فيه، فجاء أثناء وجودنا قريبا مِن «پَانِيپَت» ، وعرض عَلَيْنا حاله. وأرسلتُ بدورى مراسيم العناية والشفقة، ودعوتُه للحضور. وكان ينوي المجيء لَكِنَّهُ غير رأيه فيما بعد، وانفصل عن جند ابراهيم، وتحرك فِي اتجاه كُجَرات. وفِي هَذهِ الأثناء توفي والده السُلْطَان مُظَفَّر فأصبح أخوه الأكبر (١٣٠٢أ) سكندر شاه سُلْطَانا فِي كُجَرات مكانه. وبسبب معاملته السيئة، قام أحد العبيد ويدعى عماد الملك بالاشتراك مع آخرين بخنقه، ودعوا بَهادِر خان الذي كان مازال فِي الطريق [إلى كُجَرات]، وأجلسوه مكان والده، ولقبوه بَهادِر شاه. وقد أحسن فعلا إذ قتل عماد الملك هَذا جزاء نكرانه الجميل، فنال جزاءه. كما قتل بعض أمراء والده. ويقولون إنه كان سُلْطَانا سفاكًا للدماء وجريئًا غير هياب.

****

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة وثلاث وثلاثين(١)

مولد فاروق مِيرْزا :

فِي شهرِ المحرم، جاء بِك وَيْس بخبَرِ مَوْلِد [ابني] فاروق [مِيرْزا]. والحقيقة أن أحدَ المُشاةِ كان قد أتى بالخبرِ قَبْلَه. لكن بِك وَيْس جاء بالبُشرى فِي هَذَا الشَّهْر. وكان مولدُه يومَ السبتِ الثالثِ والعشرين مِن شهرِ شوال. وسميناه فاروق.

صب المدفع لفتح بيَانه:

أَصْدَرْنَا الأوامر إلى الأستاذ عليقُلي بِصَبِّ مدفعٍ كبيرٍ لفتح « بيَانه» وبعض القِلاعِ الأخرى التي لم نفتحها بعد. فجهز الأتون وكل ما يلزم [لصب المدفع]، ثُمَّ أرسلَ رجلًا إلينا.

وفِي يَومِ الاثنينِ الخامسِ عشر مِن شهر المحرم، أقام ثمانية أُتُون حول مَوْضِع صب المدفع. وجهز الآلات. ويخرج مِن داخل كل أُتُون (٣٠٢ب) مِيزابٌ يتجه مُباشرةً إلى قالب المدفع. كل ميزاب يصب [المعدن المنصهر] فِي القالب مثل شريط الماء. وبعد فترة وقبل امتلاء القالب، بدأت المعادن المنصهرة المتدفقة مِن هَذِهِ الأفران تنقطع واحدا تلو الآخر. وكان هُنَاكَ خطأ إمَّا فِي الفرن أو فِي المعادن. فأحسَّ الأستاذ عليقُلي الفَشَل الذَّرِيع، وهَمَّ بإلقاءِ نفسه فِي النحاس المُنْصَهِر داخل القالب. فطيبنا خاطره، وألبسناه خِلْعَةً لنبدد حزنه.

وبَعْدَ يَومٍ أو اثنين، فتحوا القالب بعد أن برد، فوجدوا أن جسم المدفع سليم، فابتهج الأستاذ عليقُلي، وأرسل رجلا ليبلغني بالأمر وأنه مِن السهل صب خَزَّان البارود الخاص به. وأخرج القالب الخارجي للمدفع. وخصص رِجَال لتعميره، وانشغل هو بِصَبِّ خَزَّان البارود.

استقبال فتح خان السرواني:

جاء الخوجه مهدي مِن عِنْدَ هُمايون ومعه فتح خان السرواني وقد افترقوا عنه عِنْدَ دلماو. فأحسنا استقبال فتح خان، وأنعمنا عَلَيْهِ بمقاطعات والده أعظم هُمايون وولايات أخرى إضافية. وأعطيناه مقاطعة قيمتها مائة وستين مائة ألف. وكانوا يُطْلِقُون على الأُمَرَاء ذوي

---

(١) يقابل الفترة من ٨أكتوبر ١٥٢٦- ٢٧سبتمبر ١٥٢٧.

الاعتبار فِي «الهِنْد» ألقابا محددة مثل أعظم هُمايون، وخان جهان (٣٠٣أ) وخان خانان، وكان لقب والد فتح خان هَذَا هو أعظم هُمايون. وبسبب هُمايون [ابنى] كان مِن غير اللائق إطلاق هَذَا اللقب على شخص آخر [سواه]، لهذا ألغيتُ [استخدام] هَذَا اللقب، ومنحتُ فتح خان سرواني لقب خان جهان.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الثامنِ مِن شهرِ صفر، انتهينا مِن ترتيبِ مجلس كبير على حافة الحوض فِي الطرف الشمالي مِن أشجار التمر الهِنْدي. وقد دعوتُ فتح خان السرواني إلى مجلس الشراب، وقدمتُ له الشراب إكْراما له، وخلعتُ عَلَيْهِ عمامتي وملابسي. وسمحنا له بالتوجه بها إلى ولايته. وأن يبقي ابنه مُحَمَّد خان معنا ملازمًا لنا دومًا.

الاستعداد لمواجهة راناسَنْكا:

وفِي يَومِ الأربعاءِ الرابعِ والعشرين مِن شهرِ المحرم، أرْسَلْنا مُحَمَّد علي حيدر الركابدار إلى هُمايون على وجهِ السرعة ليبلغه: إن الحمد لله؛ فقد هَرَبَ عَسْكَر « پُورَب » ، وبمجرد أن يصلك رسولنا هَذَا، أوكل أمر « جونپور » إلى الأُمَرَاء المناسبين، وأدركنا بجندك على وجه السرعة. فقد اقْتَرَبَ الكَافِر راناسَنْكا، وأصبح على الأبواب، وينبغي أن نهتم بأمره.

وبعد أن توجه الجُنْد إلى «پُورَب»، أرْسَلْنا تردي بِك، وقوج بِك وأخيه الأَصْغَر، وشيرا فكن، ومُحَمَّد خليل آخته بِك وإخوته كبارًا وصغارا، ورستم تركمان وإخوته كبارًا وصغارًا، ومن الهنود راودي السرواني، وكلفناهم بالغارة على أنحية «بيَانه»، فإن استطاعوا إخضاع قلاعها (٣٠٣ب) لنا بالحسني فبها ونعمت، وإلاّ فلينهكوها بالغارة والنهب[1].

الاستيلاء على قلعة تهنكر:

كان فِي قلعة تهنكر مِن يدعى عالِم خان، أحد إخوة نظام خان صاحب «بيَانه» الأكبر. وجاء رِجَاله مرارا وعرضوا الخضوع والولاء. وأخذ عالِم خان هَذَا زمام الأمر وقال:لو أن السُلْطَان أمدني بفرقه مِن الجُنْد، فأنا القادر على استمالة كل رُماة «بيَانه»، وفتح قلعتها.

(١) حدث تقديم وتأخير فِي أجزاء هَذهِ الجملة فِي الترجمة التركية، بما يؤثر على المعنى.

فأصدرنا الأوامر إلى الفتية المَوْجُودِينَ تحت قيادة تردي بِك، المُكلَّف بقلعة «بيَانه» بأنه، مادام عالِم خان حليفنا، فليضطلع هو بهذه المهمة. فتحركوا فِي أمر «بيَانه» حسبما يرى فيه الصلاح والصواب.

والواقع أن بعض الهنود يعرفون استخدام السيف، لكن أكثرهم لا يعرف عنه شيئًا، وليس لَهُم مِن الجندية والقيادة نصيب. وعندما اوكلنا أمر الهجوم إلى عالِم خان هَذَا، دفع بالجند قريبا مِن «بيَانه» دون الالتفات إلى أي رأي آخر، أو يفكر فِي عاقبة الأمر خيرا كان أو شرا. وكان بين جُنُودنا الذين ذهبوا إلى هُنَاكَ مائتين أو ثلاثمائة مِن الترك، وما يربو على ألفين مِن الجُنْد الذي جمعناهم مِن «الهِنْد» وما حولها. وكانت قوات الفُرْسَان والأَفْغَان التي مع نظام خان فِي «بيَانه» تتكون مِن أكثر مِن أربعة آلاف فارس وأكثر مِن عشرة آلاف مِن المشاه.

وعندما عَلِمَ نظام خان (٣٠٤أ) بأمرِ هؤلاء الجُنْد، خرج لَهُم على الفورِ بجندهِ الفُرْسَان والمشاة السابق ذكرهم، ولما أسرع بالكرِ عَلَيْهِم بخيلِهُم، فلاذ رِجَال الغارة بالفرار. وقد استولى أخوه الأكبر عالِم خان عَلَى «تهنكري»،كما أخذ خمسة رِجَال أو ستة، وقسما مِن أمتعتهم. ورغم تصرفِ نظام خان هَذَا، تجاوزنا عما تقدم مِن ذنبة، والتزمنا بوعدنا معه، وأرْسَلْنا إليه مراسيم الوعد والاستمالة. وعندما علم باقتراب الكَافِر راناسَنْكَا، أُسقط فِي يده، واستدعي سَيِّد رفيع للوساطةفِي تسليم القَلْعَة لرِجَالنا. ثُمَّ جاء مع سَيِّد رفيع ونال شرف ملازمتنا. وأحسنا عَلَيْهِ بمقاطعة «ميان دوآب» وقيمتها عشرين مائة الف. وأرْسَلْنا دوست ايشيك اغا مؤقتًا إلى «بيَانه». وبعد بضعة أَيَّام، أعطينا «بيَانه» إلى الخوجه مهدي. وأذنا له بالذهاب إليها، ورفعنا مخصصاته إلى عشرين مائة ألف. وجاء رجل مِن عِنْدَ تاتار خان السارنكاني الموجود فِي «كواليار». وعرض الانصياع لنا.

واستولي الكَافِر راناسَنْكَا على كندار، وعندما اقترب مِن «بيَانه»، اقترب الكافران در منكت أحد راجاوات «كواليار»، وخان جهان مِن «كواليار»، وبدءَ فِي إثارة الفتن طمعا فِي القَلْعَة.

الاستيلاء على كواليار ودُولپُور:

وجاء رجل تاتار خان لتسليم «كواليار»[لنا]. وكان قسم كبير مِن الأُمَرَاء والخَوَاص وخيرة الفتيان قد ذهبوا مع الحملة والغارة في كل صوب. فأرْسَلْنا رحيم داد (٣٠٤ب) وأخوته الكبار والصغار مع عدد مِن رِجَال «بهْرَه» و«لاهور»، وهستي جي طونقطار إلى «كواليار» على أن تكون مقاطعة لَهُم. كما أرْسَلْنا المُلّا آپاق، والشَّيْخ كوران، على أن يرجعا بعد أن يستقر رحيم داد في «كواليار».

وعِنْدَمَا صَارُوا على مشارِفِ «كواليار»، عَدَل تاتار خان عن رأيِه، وقَرّرَ ألا يُدخِلَهُم القَلْعَة. وفي تلك الأثناء، أرسلَ الشَّيْخ مُحَمَّد وهو درويشٌ له أتباع ومريدين، رجلا مِنَ القَلْعَة إلى رحيم داد ليبلغه أن ادخلوا القَلْعَة وليكن ما يكون، فهذا الرجل عَدَل عن رأيه. ويُضمر السوء. وعندما علم رحيم داد بهذا الأمر أرسلَ [إلى تاتار خان] قائلًا:

إنَّ بَقَاءنا خَارِجَ القَلْعَة أمرٌ خطر بسبب الكُفَّار. وينبغي أن أدخُلَ القَلْعَة مع بضعِ رِجَال، ويظل الباقون خارجها. وأمام إصراره وافق تاتار خان على هَذَا. فلما دخل القَلْعَة مع عدد قليل مِن الرِجَال قَالَ: ليقف رِجَالنا عِنْدَ باب هاتي پول. وفي تلك الليلة، أدخل كلِ رِجَاله مِن باب هاتي پول هَذَا، وفِي اليوم التَّالِي أُسقط فِي يد تاتار خان وسلم القَلْعَة طوعا أو كُرها. وجاء بنفسه والتزم في «أَكْرا». وخصصنا له عشرين مائة الف مِن مقاطعة بيَاوه.

ولمَّا أَعْجَزَت الحيل محمود زيتون، سلم «دُولپُور» (٣٠٥أ) وجاء إلينا والتزم، فأحسنا عَلَيْهِ بمقاطعة قيمتها عدة مئات مِن الألوف. وجعَلْنَا «دُولپُور» خاصة لنا. وأحسَنَّا على ابو الفتح التُرْكُماني بوظيفة شقدار[1]، وأرْسَلْناه إلى «دُولپُور». وجمع حميد خان السارنكخاني الموجود في نواحي قلعة فيروزة عددا مِن أفغان بني، وثلاثة أو أربعة آلاف مِن أفغان تلك النواحي، وانشغل بإشاعة الفتنة والفساد.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الخامسِ عشر مِن شهرِ صفر، أرْسَلْنا إليه چين تيمور سُلْطَان . ومن

---

(١) بمعنى النائب أو القائم مقام.

القادة أحمدي البروانجي، وأبو الفتح التُرْكُماني، وملك داد الكرَّاني، ومجاهد خان الملتاني. وكلفناهم بالسَّيْر بسرعة إلى هؤلاء الأَفْغَان. فساروا إليهم وباغتوهم، وهزموهم هزيمة مُنْكَرَة. وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة، وقطعوا رؤوس كَثِيرَة ورجعوا بها.

سفير الشاهزادة طهماسب[1]:

وفِي أواخِرِ شهرِ صفر، جاء خوجكي أسد الذي كنا قد أرْسَلْناه سفيرًا إلى الشاهزادة طمهاسب فِي العراق. ومعه تركماني يدعي سُلَيْمان، وأحضر معه الهدايا. ومن بينها فتاتين شركسيتين.

دس السم لبَابُر:

وفِي يَومِ الجمعةِ السادسِ عشر مِن شهرِ ربيع الأول، حَدَثَت واقعةٌ غريبة. لاسيما أنني ذكرتُها بالتفصيل فِي الخطابِ الذي أرسلتُه إلى «كَابُل». وسأذْكُرها هنا بغير زيادة ولا نقصان:

"تفاصِيلُ الواقعةِ العظيمة التي وقَعَت"

"فِي يَومِ الجمعةِ السادسِ عشر مِن شهرِ ربيع الأول مِن عام تسعمائة وثلاث وثلاثين"

عَلِمَت أم ابراهيم [اللودي]، هَذِهِ المرأة المشئومه أنني أتناول الأطعمة الهِنْدية. ذَلِكَ أنني قبل هَذَا التاريخ بثلاثة أو أربعة شهور، طلبتُ أن يأتوا بطهاة ابراهيم، لأنني لم أكن قد خبرتُ الأطعمة الهِنْدية مِن قبل، واستبقيتُ عندي أربعة مِن الطهاة الذين يتراوح عددهم بين خمسين إلى ستين طاهيًا. وعندما سمِعَت [أم ابراهيم اللودي] بهذا الأمر، أرسَلَت رجلًا إلى «اتاوه» ليأتِ بالچاشنكير أَحْمَد، ويسمي الهنود ذائق الطَّعّام چاشنكير، ودَفَعَت لجارية بأوقية مِن السم داخل ورقة مطوية لتعطيها إلى أَحْمَد الجاشنكير المذكور. والأوقية تزيد قليلًا على مثقالين. فدفع أَحْمَد هَذَا بهذا السُم إلى الطاهي الهِنْدي الذي فِي مطبخنا، ليدسه فِي طعامنا بأي صورة مِن الصور، مع وَعْدٍ بأن يعطيه أربع مُقاطَعات [إن نجح فِي هَذَا الأمر]. وأرسَلَت خلف الجارية التي حملت السُم إلى أَحْمَد الجاشنكير جارية أخري، لتراقبها إن كانت ستعطيه السم أم لا. وبفضل

(١) ابن الشاه اسماعيل الصفوي، صار زعيما للقزلباش بعد وفاة الشاه اسماعيل.

الله لم يدس [الطاهي] ذَلِكَ السُّم فِي القدر الكبير بل وضعه فِي الصحن، وسبب عدم وضعه فِي القدر هو أنني سبق وأن أَمَرْتُ بتشديد المراقبة على الهنود أثناء قيامهم بإعداد الطَّعّام، وأن يتذوقوا الطَّعّام الذي يطهونه [قبل تقديمه]. وبينما كانوا يتذوقون الطَّعّام، غفل طهاتنا المشئومين، وبينما يضع الطاهي [الهِنْدى] شريحة الخبز فِي الصحن، نثر فوقها مِن السُّم الذي فِي الورقة مقدارًا أقل قليلًا مِن النصف، ووضع فوقه الزيت (٣٠٦أ) ولو كان قد نثر السُّم فوق الزيت، أو وضعه فِي القدر، لكان الوضع سيئا. لَكِنَّهُ لارتباكه ألقي المتبقي مِن السم فِي الموقد، وهو يزيد عننصف المقدار.

وقُبَيْل مساءِ يَومِ الجمعة، قدموا الطَّعّام وقت العصر. وأَكلتُ قليلًا مِن الأرنب المطهي. كما أَكلتُ أيضًا مِن الجزر المقلي. وتناولتُ لقمة أو اثنتين مِن هَذَا الطَّعّام الهِنْدي المسموم. ولم أتبين شيئا مِن طعمه. وأَكلتُ قطعة أو اثنتين مِن اللحم المقدد. ثُمَّ شعرتُ بالغثيان مِن معدتي. وكان اللحم المُقَدَّد الذي تناولتُه فِي اليوم السابق، سيء الطعم. فظننتُ أن غيثان معدتي بسببه. وغثيت معدتي مرة ثانية. وحدث ذَلِكَ مرة أو اثنتين أثناء تناول الطَّعّام، وسرعان ما تقيأتُ. ثُمَّ بدا لي أن [الغثيان] قد زال. ونهضتُ مِن مكاني، وقبيل الوصول إلى مقر راحَتى، توقفتُ فِي الطريق، ثُمَّ تقيأتُ وواصلتُ السَّيْر، ثُمَّ تقيأتُ كثيرًا عِنْدَمَا وصلتُ إلى مقر راحَتى. ولم أتقيء مطلقًا بعد الأَكل، بل إنني لم أتقيأ عِنْدَمَا شربت.

وداخلتني الريبه، فأمرتُ بالقبض على الطاهي، وتقديم ذَلِكَ القئ إلى كلب ومراقبته. وفِي اليوم التَّالِي قبيل الفترة الأولي، مرض الكلب قليلًا، وأنتفخت بطنه، ولفحته السخونة، ولم يعد قادرًا على تحريك أطرافه حَتَّى عِنْدَ رميه بالحجارة. واستمر على هَذَا الحال حَتَّى وقت الظهر، وبعد ذَلِكَ نهض ولم يمت.

كما أَكل واحد أو اثنان مِن الغلمان مِن هَذَا الطَّعّام، وفِي اليوم التَّالِي تقيئا كثيرا. (٣٠٦ب) غير أن واحدًا منهما، تدهورت حالته.وفِي النهاية شفيا لقد نزل البلاء، لَكِنَّهُ الله لطف وقد وهبني الله تعالى الحياة مِن جديد.

أنا القادم مِن تلك الدنيا. لقد ولدتني أمي الآن.

ومرضتُ ثُمَّ أحييتُ، وأقسم بالله إنني عرفت الآن قيمة الروح.

وأصدرتُ أمرًا إلى السُلْطان مُحَمَّد بخشي بالتحفظ على الطاهي. وتحت وطأة التعذيب أقر الطاهي بالتفاصيل خطوة بخطوة على النحو الذي ذكرته.

وفِي يَومِ الأحد، وهو يومُ [انعقاد] الديوان، وفِي وجود الأكابر والأشراف والأمراء والوزراء، أحضرنا الرجلين والسَيِّدتين وأمرنا باستجوابهم. فأقروا وشرحوا كيف تمت الواقعة بكل تفاصيلها. فأمرتُ بتمزيق هَذَا الچاشنكير إِرَبا، وسلخ جلد الطاهي. وإلقاء إحدي السَيِّدتين تحت أقدام الفيل، وإطلاق الرصاص على الثانية وهي جاثية. أما المرأة العجوز [أم السُلْطان لابراهيم] فقد أمرنا بوضعها تحت المراقبة، وسوف تلقي جزاء ما اقترفته يداها.

وفِي يَومِ السبت، شربتُ كوب حليب وكوبا آخر يوم الأحد. وسحقتُ مختوم الزهور والترياق الفاروقي وشربته. وقد أفرغ الحليب ما بداخلي تمامًا.

وفِي اليوم الأولِ الموافق السبت، تقيأتُ أشياء مثل السوداء. والحمد لله، لقد زالت الآن آثار الخطر، وهُنَاكَ مصراع مِن الشعر يقول:

لا يعرف قيمة الحياة سوى مَن صار على مشارف الموت

وكلما أتذكر هَذهِ الواقعة المخيفة، لا أصدق، ويتغير حالى (٣٠٧أ) لقد وهبني الله العظيم بعنايته الروح مِن جديد. ويعجز اللسان عن الوفاء بالشكر والحمد لله.

ودار بخلدى أن أكتب لكم حَتَّى تطمئنوا ولا ينتابكم القلق،وبغير تردد كتبتُ هَذهِ الرسالة فِي «چارباغ» يوم الثلاثاء العشرين مِن شهر ربيع الأول. وأرسلتهاإلى «كابُل» بعندما نجوت مِن هَذَا [البلاء]».

وقد أرْسَلْنا هَذهِ المرأة التعسة [أم السُلْطان ابراهيم] إلى يونس على خوجكي اسد فجردها مِن أملاكها جزاءً وفاقا لما اقترفته مِن إثمٍ عظيم، وقد سلمها بدوره إلى عبد الرحيم شيغاول ليضعها تحت المراقبة بعدما جردها مما لديها مِن أموالٍ وخيولٍ وعبيدٍ وجواري. وكنا نعامل حفيدها ابن ابراهيم [اللودي] معاملة تتسم بالتعظم الشديد والاحترام. لكن بسبب ما تضمره

لنا هَذهِ الأسرة، رأينا أنه مِن غير المناسب الإبقاء عَلَيْهِ هنا [فِي أَكْرا]، فأرْسَلْناه فِي يَومِ الخميس التاسع والعشرين مِن شهر ربيع الأول إلى كامران [فِي قَنْدَهار] برفقة المُلّا سرسان الذي كان قد جاء مِن عِنْدَ كامران لأداء لبعض الأعمال المهمة.

تحرك هُمايون ضد العصاة الذين فِي «پُورَب»، وفَتَح «جونپور»، (٣٠٧ب) ثُمَّ أسرع بالتحرك ضد نصير خان فِي «غازيپو». وبلغه أن ناصِر خان عبر «نهر كُنَكْ» فور علمه بتحرك هُمايون. ولهذا توجه هُمايون مِن«غازيپور» صوب «خَرِيد». وعلم الأَفْغَان الموجودون هُنَاكَ بالأمر، فعبروا «نهر سَرْو». ورجع الجُنْد مِن هُنَاكَ بعد أن نهبوا «خَرِيد» .

وبموافقتنا، ترك هُمايون كُلًا مِن شاه مير حُسَيْن، وسُلْطَان جُنَيْد وعدد مِن الفتيان المهرة فِي جونپور. وعيَّن معهم القاضي جيبا. وعيَّن الشَّيْخ بايزيد على «أود». وبعد ان فرغ مِن تنظيم هَذهِ الأعمال عبر «نهر كُنَكْ» مِن جوار «كَره مانكپور» سالكا طريق «كَالْپِي».

وكان عالِم خان [ابن] جلال خان جكهت موجودًا فِي «كَالْپِي»، فأرسل عرض حال يسترحم فيه لَكِنَّهُ لم يأت بنفسه. وعندما وصل هُمايون عِنْدَ «كَالْپِي»، أزال مخاوفه وأحضره معه بنفسه.

وفِي يَومِ الأحدِ الثالثِ مِن شهرِ ربيع الآخر، جاء هُمايون إلى «حَدِيقَة هَشْت بِهَشْت» ، والتزم.كما جاء فِي ذَلِكَ اليوم أيضا الخوجه دوست خواند مِن «كَابُل».

التوجه إلى بيَانه:

وفِي هَذهِ الأَيَّام، بدأ رِجَال الخوجه مهدي فِي الحضور تباعًا وقالوا: إن راناسَنْكا سيتحرك، وأن حَسَن خان الميواتي يفكر فِي الانضمام إليه. وكان ينبغى أن يذهب بعض الجُنْد إلى «بيَانه» للمساعدة قبل أن ينفذ [حَسَن خان الميواتي] ما يفكر فيه. (٣٠٨أ)

وقَرَّرْنَا سَوْق الجُنْد. وكنا قد أرْسَلْنا قُبيل ذَلِكَ الجُنْد الذين تحت قيادة مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، ويونس على، وشاه منصور برلاس، وكَتِه بِك، وقسمتاي للهجوم على «بيَانه» أثناء الحرب مع ابراهيم [اللودي]، وأسرنا ابن حَسَن خان الميواتي المدعو ناهر خان. وأخذناه رهينه.

ولهذا ظل أبوه حَسَن خان معنا فِي ذهابنا وإيابنا، وكان دائم السؤال عن ابنه. وقد عرض عينا البعض رأيا له مفاده: إننا إذا رددنا إلى حَسَن خان ابنه لاستملناه و حسنت خدمته لنا ولفعل عندئذ ما نكلفه به على خير وجه. فخلعتُ على ناهر خان بن حَسَن خان، وأذنت له بالذهاب بناء على ما قطعه أبوه مِن وعود. غير أن هَذَا المنافق كان يهادننا حَتَّى يتمكن مِن استعادة ابنه. وبمجرد علمه أننا أذنا لولده بالذهاب، وقبل أن يصل إليه، خرج مِن «الور»، وذهب إلى راناسَنْكَا فِي «توده». وكان الإذن لابنه فِي تلك الأثناء أمرا غير محسوب.

وفِي تلك الأثناء،كان المطر ينهمر غزيرا. وكانت المجالس لا تنقطع ويحضرها هُمايون. والواقع أنه كان يمتنع عن الشراب، لَكِنَّهُ هَذِهِ المرة.شرب ولعدة أَيَّام.

استيلاء الأُزْبَك على بَلْخ وما حولها:

ومن الوقائع الغريبة فِي هَذِهِ الأثناء، [1] إنه بَيْنَما كان هُمايون فِي طريقه مِن «قلعة الظفر» ليلحق بالحملة على «الهِنْد»، (٣٠٨ب) وأثناء الطريق هَرَبَ المُلّا بابا البِشاغري وأخوه الصغير بابا شيخ، وذهبا إلى كيتن قرا سُلْطَان [الأزبكي]. وانتقلت «بَلْخ» إلى السُلْطَان كيتن قرابعد أن عجز مِن فيها عن [الدفاع عنها]. وصار هَذَا الرجل الأجوف هو وإخوانه الصغار على رأس الأمر فِي هَذِهِ المناطق، واقترب مِن نواحي«آيبك» و« خرّم» و«سارباغ». وفزع سكندر شاه مِن استيلاء الأُزْبَك على «بَلْخ»، فسلمهم قلعة الغوري،فجاء المُلَّا بابا مع الشَّيْخ وعدد مِن الأُزْبَك، ودخلوا القَلْعَة. ونظرا لقرب قلعة ميرهمه، لم يجد ميرهمه أمامه سبيلًا سوى الخضوع للأزبك. وبعد بضعة أَيَّام جاء بابا شيخ مع بعض الأُزْبَك إلى «قلعة ميرهمه»، لكى يخرجه ورِجَاله مِنْها، وينقلَهُم إلى «بَلْخ» لإنهاء أمره. فأنزل ميرهمه بابا شيخ بالقَلْعَة، وأعطى كل واحد مِن رِجَاله خيمة فِي مَوْضِع منفصل عن الآخرين. واشتبك مع بابا شيخ. وقبض عَلَيْهِ مع بعض رِجَاله، وأرسل رجلًا إلى تنكري بردي فِي «قُنْدُز». فأرسل له يار على، وعبد اللطيف وعددا مِن الرِجَال الأكفاء. وقبل أن يصلوا، جاء المُلَّا بابا و الأُزْبَك إلى قلعة ميرهمه يطلبون الحرب. فلما عجز

(١) فِي الفترة بين فتح "آكرا" والخروج لحرب رانا سنكا.

[ميرهمه ورِجَاله] عن فعل شيء، لحقوا برِجَال تنكري بردي وجاءوا إلى « قُنْدُز ». وجرح بابا شيخ جرحا قويا، فقطع ميرهمه رأسه وأحضرها [معه إلى أَكْرا] فِي تلك الأَيَّام، (٣٠٩أ) ومن قبيل الإحسان والشفقة رفعتُ مكانته، وجعلتُه مميزا بين أقرانه وأمثاله.

وعندما ذهب إلى باقي شيغاول [إلى بَلْخ].كنتُ قد وعدتُ بطرف مِن الذهب مقابل رأس كل واحد مِن هذين التعيسين. والتزامًا بهذا الوعد، أعطيتُ ميرهمه طرفا مِن الذهب علاوة ما أحسنتُ به عَلَيْهِ. وفِي هَذهِ الأثناء، فإن قسمتي الذي ذهب للغارة على «بيَانه»، رجع ومعه عدة رؤوس قطعها[1]. وعندما ذهب قسمتى مع بوجكه وعدد مِن الفتية المغيرين لتقصى الأخبار، هزم مجموعتين مِن مهاجمى الكُفَّار ذَلِكَ الكَافِر [راناسَنْكا]، وقبض على زهاء ستين أو سبعين منهم. وجاء بخبر مؤكد عن التحاق حَسَن خان الميواتي [براناسَنْكا].

تجربة إطلاق المدفع:

وفِي يَومِ الأحدِ الثامنِ مِن نفسِ الشهر، ذهبتُ لمشاهدةِ إطلاق الحجارة بالمدفعِ الذي صنعه أستاذ عليقُلي. ولم يَكُنْ هُنَاكَ أي قصور فِي ماسورة المدفع الكبير الذي تم صبه مِن قبل، وقد أتمه بعد ذَلِكَ بصب خانة البارود الخاصة به، وأطلق قذيفة الحجارة فِي وقت العصر، فانطلقت لمسافة ألف وستمائة قدم، وأنعمتُ على الأستاذ بخنجر ذى حزام، وخِلعة،وجواد أصيل.

وفِي يَومِ الاثنينِ التاسعِ مِن شهر جمادى الأول. سحبنا [المدفع] إلى الطريق للقتال، ووضعناه فِي سهل خارج [المناطق المأهولة مِن «أَكْرا»]، وتوقفنا هُنَاكَ ثلاثة أَيَّام أو أربعة لجمع العَسْكَر واتمام تجهيزاتهم، ولأننا لم نثق تماما فِي الهنود، فقدكلفنا الأُمَرَاء منهم بالغارة على مكان آخر، وجعلنا عالِم خان (٣٠٩ب) مساعدًا لرحيم داد وأرْسَلْناه للغارة على «كواليار» .وكلفنا مكن، وقاسم بِك، وسُنْبُلي وأخوة حامد الكبار والصغار، ومُحَمَّد زيتون بالغارة على «سُنْبُل» .

(١) جملة رجع ومعه عدة رؤوس قطعها غير موجودة فِي الترجمة التركية.

هجوم راناسَنْكَا على بيَانه:

ونحن فِي مكاننا هَذَا، بلغتنا الأخبار أن راناسَنْكَا اقترب مِن «بيَانه»، وهاجم بكل جُنُوده، ولم يتمكن الذين ذهبوا للاستطلاع أن يدخلوا القَلْعَة أو أن يأتوا إلينا بخبر. أما مِن فِي القَلْعَة فقد ابتعدوا عنها قليلا وتصدوا [لراناسَنْكَا] بغير انتظام. وجاء العدو بالمزيد مِن ألْقُوات تغلبت عَلَيْهِم وأجبرتهم على الفرار. وسقط سنكرخان چنچوهه شهيدًا هُنَاكَ. وعند الالتحام كان كَتَه بِك بدون درعٍ فخرج جاريًا، واسقط أحد الكُفَّار مِنْ فَوْقِ جواده، وبينما يهم بالقبض عَلَيْهِ، استل الكَافِر سيف أحد رِجَال كَتَه بِك، وضرب كَتَه بِك فِي كتفه. وقد عانى كثيرا ولم يتمكن مِن حضور غزوة راناسَنْكَا. وتحسن بعض الشيء، لكن حدثت لديه عاهة بسيطة.

كان قسمتي، وشاه منصور بارلاس وكل مَن جـاء مِن«بيَانه»، يبالغون فِي إطراء جَلَد جُنُود الكُفَّار وجرأتهم. ولا أعرف إن كان هَذَا بسبب خوفهم، أو لرغبتهم فِي بث الخوف بين النَّاس. ومن حيث انطلقنا للحرب،أرْسَلْنا قاسم الميراخور وعددا مِن مُعِدِّي الاستحكامات، لحفر الآبار فِي المكان الذي سينزل فيه الجَيْش فِي «مقاطعة مدهاكور».

وفِي يَومِ السبتِ الرابعِ عشر مِن شهرِ جمادى الأول، تحَرَّكْنَا مِن مكانٍ قُرْبَ «أَكْرا»، وجئنا إلى المكان الذي حفرنا فيه الآبار. (٣١٠أ) وفِي اليوم التَّالِي، تحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وكانت المياه وفيرة فِي تلك الأنحية بما يكفي لحاجة الجُنُود، لكن فكرنا ماذا لو تمكن الكُفَّار مِن السيطرة عَلَيْها!.فتحركنا بعد أن نظمنا أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة وصفوف القلب. ولأن درويش مُحَمَّد ساربان وقسمتي ترددا على «بيَانه»، فقد ألِفا الطريق وخبروه، فأرْسَلْناهما قبلنا لدراسة المكان الذي سنزل به على ضَفَّة بحيرة سِيكْري. وفور وصولنا إلى المكان، أرْسَلْنا رجلًا إلى الخوجه مهدي وأولئك الذين فِي «بيَانه» ليسرعوا بالحضور والانضمام إلينا. كما أرْسَلْنا ميرك مُغُول تابع هُمايون ومعه عدد مِن الفتية لتقصي أخبار الكُفَّار. وجاءوا عِنْدَ دخول المساء بخبر أن العدو ينزل على مَسَافَة فَرْسَخ مِن بسارو. كما جاء فِي ذَلِكَ اليوم الخوجه مهدي، ومُحَمَّد سُلْطَان مِيرزا اللذان ذهبا للغارة على «بيَانه».

وتم تكليف الأُمَرَاء بتولي مُقَدِّمَة الجَيْش بالتناوب. وعندما تولى عبد العزيز مُقَدِّمَة الجَيْش، تقدم بدون أن يعير مَن فِي مُقَدِّمَة الجَيْش أومؤخرته أي انتباه، فوصل إلى كانواهه على مَسَافَة خمسة فَرَاسِخ مِن «سيكري». وكان الكَافِر [راناسَنْكا] يجد صعوبة فِي التقدم، فلما علم بتقدمهم بهذا الشكل غير المنظم، جاء بسرعة وباغتهم بأربعة أو خمسة آلاف رجل.(٣١٠ب) وكان مع عبد العزيز والُملاَّ آپاق حوالي ألف أو ألف وخمسمائة رجل. فتقدموا للالتحام بهم، وبدأوا الهجوم بدون أن يقدروا قوة العدو حق قدرها. فلما بدأ الهجوم لاذَ هَذَا الحشد مِن الجُنُود بالفرار. وعندما علمنا بالخبر، أرْسَلْنا إليهم على الفور محب على خليفة وأتباعه. أتبعناهم بالمُلَّا حُسَيْن وعدد آخر لدعمهم. كما أرْسَلْنا مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك. وقبل أن يصل محب على، كان [العدو] قد دفع عبد العزيز ومن معه إلى الفرار، وأخذ رايتهم وأخذوا المُلَّا نعمت، والمُلَّا داود، والأخ الأَصْغَر للمُلَّا آپاق وعددا مِن الرِجَال. وأذاقوهم الشهادة. وهاجم طاهر تبري خال مُحِب علي، فوقع فِي أيديهم بسبب عدم وصول المدد إليه، كما وقع مُحِب علي [القورچي] فِي أيديهم أثناء المَعْرَكَة، لكن بالتو اخترق صفوفهم وأنقذه منهم. فتعقبهما العدو لمسافة فَرْسَخ، وعندما رأوا غبار جُنُود مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، كَفُّوا [عن ملاحقتهما].

وبَلَغَنا خبر ملاحقةِ العدو لَهُما واقترابِه. فلبسنا الدروع، كما دَرَّعْنا خيولنا، وأخذنا أسلحتنا، وأمرتُ بسحب العَرَبَات وإحضارِها وانطلقنا. وبعد أن تقدمنا مَسَافَة فَرْسَخ، وجدنا العدو وقد انسحب. وكان بالقرب منا بحيرة كبيرة فنزلنا عندها طلبا للماء. ووضعنا العَرَبَات أمامنا بِشَكْلٍ منتظم. وربطناها بالسلاسل، بين كل عربة وأخرى سبعة أذرع أو ثمانية وسحبناها بالسلسلة. وكان مصطفي الرومي قد صنع العَرَبَات على النسق الرومي. (٣١١أ) فكانت خفيفة جدًا وعملية وجميلة. ولأن الأستاذ على قُلي كان يَغَار مِنْهُ، فقد جعلنا مصطفي [الرومى] بجانب هُمايون فِي المَيْمَنَة.[وكلفنا]رِجَال التَحْصِيناتِ مِن الخُرسانيين والهنود بحفرِ الخنادق فِي الأماكن التي لا تصل إليها العَرَبَات. وبسبب مبالغة مَن كانوا فِي«بيَانه» وشاه منصور و"قسمتي" فِي

وصف سُرعة انقضاض هَذَا الكَافِر [راناسَنْكَا] والثناء عَلَيْهِ، فقد فَتَّ هَذَا الكلام فِي عَضُدِ الجُنْد، وزاد هَذَا بعد هزيمة عبد العزيز. ومِن أجْلِ طمأنة خواطر النَّاس، وإظهار متانة استحكامات الجَيْش، عملنا إستعدادات أخرى فِي الأماكن التي لا تصل إليها العَرَبَات عبارة عن ركائز معمولة مِن الأشجار يبلغ طول الواحدة مِنْها سبعة أذرع أو ثماني، وأوثقنا ربطها بأربطة مصنوعة مِن جلدِ الثور. واستغرق الانتهاء مِن هَذهِ الاستعدادات ما يناهز عشرين أو خمسة وعشرين يومًا.

وفِي تلك الأثناء، تجمع فِي «كَابُل»، قاسم حُسَيْن سُلْطَان حفيد ابنة السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا [بَايْقَرا]، وأحمدي يوسف سَيِّد يوسف، وقوام اوردو شاه وآخرين مِن هنا وهُنَاكَ. وبلغ عددهم نحو خمسمائة رجل.كما جاء معهم مُحَمَّد شريف المنجم المشئوم، و بابا دوست سوجي الذي ذهب إلى «كَابُل» لجَلْبِ الشراب، جاء ومعه ثلاثة قُطُر (٣١١ب) مِن الإبل مُحَملة بأطيب شراب «غَزْنَة».

وكما ذكرتُ، إنه فِي هَذهِ الفترة التي زاد فيها تَرَدُّد الجُنْد وخوفهم بسبب ما جرى مِن وقائع وأحوال، وما دار مِن هُرَاءٍ وأقاويل، لم ينطق مُحَمَّد شريف المُنَجِّم التَّعِس بكلمةٍ واحدةٍ مفيدة لنا، لَكِنَّهُ كان يقول لِكُلِّ مَن يلقاه: إن وقوع المرّيخ فِي جهة الغرب هَذهِ الأَيَّام، يعني أن كل مَن يُحارب مِن هَذهِ الجهة سيكون مِن المهزومين. وقال هَذَا الفأل السيِّء لِكُلِّ مَن يسأله.وقد ضَاعَف هَذَا مِن انكسارِ قلوب النَّاس التي خَلَتْ مِن الشجاعة. لكننا اجتهدنا فِي الاستعدادِ للمعركةِ وتنظيمِ الصفوفِ بكلِ همةٍ وجِدٍّ غير مُلقِين السمعَ إلى هَذَا الهُرَاء الذي ينطِق به، أو نُطْلِعه على خُطَطِنا.

وفِي يَومِ الأحدِ الثاني والعشرين مِن الشهر، أرسَلْنا الشَّيْخ جمالي ليبذل ما فِي وسعِهِ لجَمْعِ ما يمكنه مِن رُماة ميان دوآب، و«دِهْلي»، ويرسلَهُم للغارة على قرى «ميوات». وكان المُلَّا ترك علِي قادمًا مِن «كَابُل» فأمرناه أن يلحق بالشَّيْخ جمالي، ويغير على «ميوات»، ولا يتواني فِي إزعاجِ العدو. وأصدرنا ذات الأمر إلى مغفور ديوان. فذهبوا وأغاروا على عددٍ مِن القري

النائية فِي أنحية «ميوات»، ونهبوها وأخذوا الأسري. لكن كل هَذَا لم يزعج العدو.

إقلاع بَابُر عن شرب الخمر:

وفِي يَومِ الاثنينِ الثالثِ والعشرين مِن شهرِ جمادى الأول، (٣١٢أ) خَرَجْتُ فِي جولة، فجال بخاطرى هاتف التوبة. وكنت دائمًا أشعر بوخز الضمير مِن اقتراف هَذهِ المعصية فقلت:

أيتها النفس،

إلى متي تجدين اللذة فِي المعاصى! التوبة أيضا لا تخلو مِن اللذة.

كم اقترفت مِن معاصٍ، وكم عانيت الحرمان مِن راحة البال

فإلى متي تقعين أسيرة هواك ؟ وإلى متي تضيعن العمر هباء ؟

يا نفس وأنت تخرجين للغزو، وترين الموت أمام عينيك.

وتدركين حال مَن وضع المنية نصب عينيه،

ينأي بنفسه بعيدًا عن كل النواهي، ويطهر نفسه مِن كل الذنوب،

فشعرت بالسعادة وتابت النفس عن كل ما مضى،

وجمعتُ كل أواني الذهب والفضة، وجميع ما يلزم مجالس الشراب،

وكسرتُها كلها. واستراح قلبي بالإقلاع عن الشراب.

وَوَزَّعْتُ حُطامَ هَذهِ الأواني وأطقم الذهبِ والفضةِ على المستحقين والدراويش. وكان عسس أول مَن اتبعني فِي هَذهِ التوبة، كما أطلق لحيته. وفِي تلك الليلة وصباحها، أعلن زهاء ثلاثمائة مِن الأُمَرَاءِ والخَوَاص والفُرْسَان وغيرِ الفُرْسَان تَوْبَتَهم. (٣١٢ب) وأهرقتُ ما لدينا مِن الخمر. أما ما أتى به بابا دوست، فقد وضعتُ فيه ملح، وأمرتُ بتحويله إلى خلٍ. وأمرنا بحفر حفرة كبيرة أهرقنا فيها الخمر ثم غطيناها بالحجارة، وقررتُ بِبَناء تكية إلى جوارها. وفِي شهر محرم مِن عام ٩٣٥ هـ، ذهبتُ وتفرجتُ على «كواليار»، وإلى أن جئتُ مِن «دُولْپُور» إلى سيكري كانوا قد انتهوا مِن عمل تلك الحفرة.

وقبل ذَلِكَ، كنتُ قد عقدتُ النية على رفع المكوس عن المسلمين إذا انتصرتُ على

الكَافِر راناسَنْكَا. فلما أعلنتُ هَذهِ التوبة، ذكَّرني درويش مُحَمَّد ساربان، والشَّيْخ زينبمسألة المكوس.

فقلتُ: حَسَن أن ذكرتموني بها وأعفينا المسلمين فِي الولايات التي تحت أيدينا مِن المكوس، وأمرنا بكتابة مراسيم لإعلان هذين الأمرين العظيمين، فكتبها الشَّيْخ زين بإنشائه، وأرسلتُها إلى كافة الأنحاء.

مرسوم ظهير الدين مُحَمَّد بابُر:

نحمد توابًا يُحِب التوابين، ويُحِب المتطهرين. ونشكرُ وهَّابًا يهدِي المذنبين، ويغفرُ للمستغفرين، ونُصلي على خيرِ خلقِهِ مُحَمَّد وآله الطيبين وصَحْبِه الطاهرين. إن مرايا آراء أَرْبَاب الألباب هي صورة أَسْبَاب المحاسن ومخازن لآلئ الصدق والثواب، والرغبة فِي هَذَا المعنى هي زينة الجواهر الزواهر، (٣١٣أ) فالميل إلى اللذات النفسية فطرة إنسانية، وترك الشهوات مرهون بالتوفيقات الربانية، والتأييد الإلهي، فالنفس البشرية غير معصومة مِن الهوى. **﴿وما أبرّئُ نفسي إنَّ النّفْسَ لأمَّارةٌ بالسُّوءِ إلاّ مَن رَحِم ربي، إنَّ رَبِّي غفورٌ رَحِيمٌ﴾** (١)، و**﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾** (٢)

والغرض مِن تدبيج هَذهِ المقالة، وتقرير هَذهِ المقولة، أنه بمقتضي البشرية، وحسب المراسم السُلْطَانية، ولوازم السُلْطَان والعادات، فإن أصحاب الجاه مِن السُلْطَان والفُرْسَان فِي عنفوان أَيَّام الشباب يرتكبون بعض النواهي والمُلهيات، وبعد بضعة أَيَّام، عِنْدَمَا يشعر بالندم والحسرة، ويترك تلك المناهي التي يرتكبها واحدة تلو الأخرى، وبالتوبة النصوح، يجد أن باب الرجوع عنها غير مسدود. أما التوبة عن الشراب التي هي أهم مطالب ذَلِكَ المقصد، وأعظم مآرب ذَلِكَ المقصود، فقد احتجب وجهها خلف حجاب الأمور مرهونة بأوقاتها فلم يظهرحَتَّى هَذهِ الساعات المباركة التي نخوض فيها الحرب ضد الكُفَّار بجهد تمام الإحرام للجهاد، وجند شعارهم

(١) الآية ٥٣ يوسف.
(٢) الآية ٢١ الحديد.

الإسلام، وبالمضمون الميمون مِن ملهَم الغيب والهاتف العارِ مِن الريب، وما تناهي إلى سمعنا بمضمون ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (1) ، فقد قرعنا أبواب التوبة بتمام الجد لاقتلاع أَسْبَاب المعصية مِن جذورها، وحسب مضمون القول الهادِ إلى التوفيق إن مَن قرع بابا ولَجَّ، ولَجْ (٣١٣ب)، انفتح باب الإقبال، وأمرنا ببدء هَذَا الجهاد بالجهاد الأكبر الذي هو مخالفة النفس، ورددنا بلسان الإخلاص ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ (2) ، ونقشنا على لوح القلب، إني ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (3).

وقد أَعْلَنَّا التَّوْبَة عَنِ الشَّرَابِ التي هِي مَكْنُون خَزِينَة الصدر، فَخَرَجَت مِن القَلْبِ إلى الفِعْل، وعملاً بمُقْتَضِي الحُكْم المُبَارك العَاقِبَة، جَمَعَ عَبِيدُنا المُتَوَّجِين بالنصرِ أوانَ الشَّرَابِ وأَقْدَاحِه، وسَائِرِ أدواتِهِ ولوازِمِ مَجْلِسِه المَصْنُوعةِ مِن الذهَبِ والفضَّة، وكأنها مِنْ كَثْرتِها وجَمَالِها كَوَاكِب الفُلْكِ الرَّفِيع التي تُزَيِّنُ المَجْلِس البديع، وأَلْقُوها تَحْتَ الأَقْدَامِ فِي تُرَابِ الذلة مِنْ أَجْلِ عِزَّةِ الشَّرِيعَة، وقد حَطَّمْنَاها قِطَعًا، إنْ شَاءَ الله نُوَفَّقُ عَن قَرِيبٍ فِي تَحْطِيمِ الأصنام كما حَطَّمْنَاها، وأعْطَيْنَا كل قِطْعَة مِنْها إلى أحَدِ الفُقَرَاء والمَسَاكِين.

وبِبَرَكَةِ هَذِهِ التوبة التي نَرْجُو أنْ تَكُون مَقْبُولة، فإنَّ أَكْثَرَ المُقَرَّبِين صَاروا فِي ذَاتِ المَجْلِسِ مَظْهَرًا لِشَرَفِ التَّوْبَة، وأَقْلَعُوا تَمَامًا عَنِ حُبِّ الشَّرَاب عَمَلا بِأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِم. وهكذا، فإن مَنْ امْتَثَلُوا لِلطَّاعَات، وأَعْرَضُوا عَنِ المُنْكَرَات سَاعَةً تِلْوَ أُخْرَى، أَدْرَكُوا هَذِهِ السَّعَادَة فَوْجًا بَعْدَ فَوْج. وبِمُقْتَضَي أَنَّ الدَّالَ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ، فإِنَّ ثَوَابَ هَذِهِ الأَعْمَال يَرْجِعُ إلى زَمَانِ سَلْطَنَتِنَا المُبَارَكَة، ونَرْجُو زِيَادَةِ النَّصْرِ والفَتْح يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ بِبَرَكَةِ هَذِهِ السَّعَادَة.

وبَعْدَ تَمَامِ هَذِهِ النِّيَّة، وكَمَالِ هَذِهِ الأُمْنِيَة، صَدَرَ هَذَا المَرْسُوم الواجِبُ الطَّاعَةِ والنَّفَاذِ فِي مَمَالِكِنا المَحْرُوسَة حَرَسَهَا الله عَنِ الآفَاتِ والمَخَافَات، إِنَّهُ مَحْظُور عَلَى أَيِّ إِنسَانٍ تَنَاوُلِ الخَمْر،

---

(١) الآية ١٦ الحديد.

(٢) الآية ٢٣ الأعراف.

(٣) الآية ١٤٣ الأعراف. جاءت في الأصل الجغتائي أول المسلمين.

أو السَّعْي فِي طَلَبِه، أو صُنْعِه، أو بَيْعِه، أو شِرَاءِه، أو حَمْلِه، أوجَلْبِه، بل ومِنْ وجُودِ الخَمْرِ فِي مَنْزِلِه، وأن يَنْصاعُوا لِمَضْمُون ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١]. وشُكْرًا عَلَى هَذِهِ الفُتُوح وتصدِيقًا لِقَبُولِ تِلْكَ التَّوْبَة النصوح، فَقَد فَاضَ بَحْرُ كَرَمِ السُلْطَان، وكَانَت مَوْجَات كَرَمِهِ سَبَبَ عِمَارَةِ العَالَم وبِه تجلى بَيَاض وَجْهِ بَنِي آدَم.

وامْتِثَالًا لِشَرِيعَةِ سَيِّدنا رَسُولِ الله، فَقَد رَفَعْنَا عَنْ جَمِيع مَمَالِكِ المُسْلِمِين، المكوس الزائِدَةِ عنِ الحدِّ التي لم يَتَوَان السلاطين الأوَائِل عنْ تَحْصِيلِها لَحْظَةً واحِدَة. فلا تحصل المكوس مِن أي مَدِينَةٍ أو بَلْدَة، أو طَرِيق، أو مَخَاضَة، أو دَرْب، أو مَرْفَأ، وصَدَرَ مَرْسُوم فِي هَذَا الأمر بِقواعِدِ هَذَا الحكم بلا تَغْيير أوتَبْدِيل، ﴿ وَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْد مَا سَمِعَه، فَإنَما إثْمَهُ عَلَى الذِين يُبَدلُونَه﴾ [٢].

ومَنْ يَرْغَبُون فِي العَيْشِ آمِنِين فِي ظِل كَرَمِ السُلْطَان، مِن الترك، والتاجيك، والتتار، والعرب، والعجم، والهنود، والفرس، والرعية والفُرْسَان، وكافَّةِ الأُمَمِ وعَامةِ طَوَائِف بَنِي آدَم، الالتزام بهذا الربَاط والتَّقيد بِه، والانْشِغَال دَوْمًا بالدُّعَاءِ لِلدَّوْلَة، والتمسُّكِ بما تَسْتَوْجِبُه هَذِهِ الأَحْكَام، وعَدَمِ الانْحِرَافِ إلى سَبِيلٍ سِوَاه، ولِيَعْمَلوا بِمُوجَبِ هَذا المرسوم، ويَضَعُوا أحْكَامَه فِي مَوْضِعها، ويَتَقَيَّدُوا بما احْتَواه الخَاتم الشَّرِيف.

كتب بالأمرِ العالِ، أعلاه الله المتعال، وخَلَّدَ نَفَاذه فِي الرابعِ والعشرين مِن شهرِ جمادى الأول سنة تسعمائة وثلاث وثلاثين.

وفِي تلك الأَيَّام، وبِسَبَبِ الوقَائِع التي ذكرناها مِن قَبْل، ازداد الخَوْف والتَّردد عِنْدَ الكَبِير والصغِير. ولم أسْمَع مِنْ أحَدٍ قط كَلِمَة شُجَاعة أو رَأْي [يَنُم عن] بِطُولَة.

وكان كَلامُ الوزراءِ المنوطِ بهم المشورة بما يَنْبَغى عمله، الإدارة، كله يَمْشِي بالخوف، وكذا كَلامُ الأُمَرَاءِ المنوطِ بهم ونَقصِ الشجاعَة، سواء فِي أنْفُسِهِم، أو فِي الأعمالِ والمهام المَنُوطَةِ

(١) الآية ٩٠ المائدة.

(٢) الآية ١٨١ البقرة.

بهم. أما خليفة على، فقد أحْسَنَ التحركِ فِي هَذِهِ الحملة، ولم يَأْلُ جهْدا فِي الجِدّ والاهتمام والحماسةِ والقُدْوَةِ فِي الانْضِبَاطِ والاسْتِحْكَامات.

فلما أدركتُ ما يعتري النَّاسَ مِن التَرَدُّدِ والخَوْف، ورَأَيْتُ هَذَا القدر مِنَ التراخي، جَالَ بخاطِرِي تَدْبِير، فاسْتَدْعَيتُ كل الأُمَرَاءِ والفتيةِ وقُلْتُ لَهُم: أيها السادَة والفِتْيَان:

إنَّ كُل مَنْ عَلَيْها فَان،

والباقي هو الله.

وكل مَن بمجلس الحياة،

سيتجرع كأسَ المَنيَّةِ فِي منتهاه،

وكل مَن يَحِل بمنزِلِ الحياة

سيغادر فِي النهاية دار الغم هَذهِ، المسماة الدنيا،

وإن تموت وذكرك طيب، أفْضَل مِن الحياة بسيء الذِكر.

فما أجملَ أن تُفَارِق الدنيا وذكرك طيب،

فطيب الذكر مبتغانا لأنَّ الجسد إلى فناء.

فلْيَجْعَل الله العظيم لنا مِن هَذهِ السعادة نصيب، وليُقَرِّبنا مِن هَذهِ المنزلة الرفيعة، فالغازي شهيد، والعمل بكلامِ الله فرضٌ عَلَيْنَا جميعًا، (٣١٥أ) وألا يفكر أحد قط فِي التولى عن القِتَال، وألا ينفك عنه حَتَّى تفيض روحه.

فَأَقْسَمُوا بِهذا عَلَى [كتاب الله] بِرَغْبَتِهِم؛ السَيِّد منهم والعبد، والكبيرُ والصغير. وكان تَدْبِيرا طَيِّبا اسْتَحْسَنَهُ كل مَنْ شاهدَهُ أو سَمِعَ به مِنَ القريبِ والبعيدِ والعَدُوّ والصَّدِيق.

انتشار الفتنة بين رِجَال بَابُر:

وفِي تلك الأَيَّام، كانت الفتنةُ قائمَة فِي كلِّ مكان. فجاء حُسَيْن خان النوحاني إلى رابري وأخَذَها. كما استولى رجل قطب خان[1] على «چندوار»[2]. وجمع مَن يدعي رستم خان

(١) أحد أمراء الهِنْد، وكان حاكما على اتوا.

(٢) تقع چندوار أسفل "آكرا" بخمس وعشرين ميل،على نهر جون.

بجمع رُماة ميان دوآب، وجاء وأخذ كول[1]، وأسر كچوك على. وخرج زاهد مِن سُنْبُل وقد انخلع قلبُه. وتخلى السُلْطَان مُحَمّد دولدي عن قُنوج وجاء [إلينا]. وحاصر الكُفَّار «كواليار». أما عالِم خان الذي أرْسَلْناه لنجدتها، فلم يذهب إليها، بل ذهب إلى ولايته.

وكانت الأخبارُ السيئة تصلنا كل يوم، ومن كل مكان. وبدأ بعضُ الهنودِ فِي الفرارِ مِن الجَيْش، وهَرَبَ هببت خان كرك انداز وذهب إلى سُنْبُل . وهَرَبَ "حَسَن خان باري وال" وانضم إلى الكُفَّار.

ترتيب الجَيْش لمواجهة راناسَنْكَا:

واصلنا التقدم لأمرنا بدون اكتراث بما جرى، وجهزنا العَرَبَات وأَلْقُوائم الثلاثية ذات العجلات وجميع اللوازم، وتحركنا فِي يَومِ الثلاثاءِ التاسعِ مِن شهر جمادى الآخر، وكان يوم النوروز. (٣١٥ب) ونظمنا جناحى المَيْمَنَة والمَيْسَرَة وصفوف القلب، ووضعنا في المُقَدِّمَة العَرَبَات وأَلْقُوائم الثلاثية ذات العجلات، ومن خلفها الأستاذ على قُلي ورُماة البنادق. وتقدم المشاه صفًا خلف العَرَبَات مباشرة. وبعد أن بلغت الصفوف أماكنها، انطلقتْ بينهم لبث الشجاعة بين أمراء القلب وجناحى المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والفُرْسَان والفتية. وبعد أن حددتُ لِكُلِّ فرقةمنهم مكانها، ومهامها، تحَرَّكْنَا لمسافة فَرْسَخ وفق هَذَا الترتيب والتنسيق ثُمَّ نزلنا. وعلم الكُفَّار بذَلِكَ، فجاءوا فرقة تلو أخرى. ولأننا جعلنا العَرَبَات والخنادق أمام الجَيْش صار معَسْكَرنا مضبوطا ومنيعا.

الحرب مع راناسَنْكَا:

لم يَكُنْ لدينا نية للقتال فِي ذَلِكَ اليوم، لذا تقدمت مجموعة صغيرة مِن الفتية، والتحموا بالعدو على سبيل التجربة، وأجاد ملك قاسم ورجع بعدد مِن رؤوس [قتلى العدو]، وقد قوى هَذَا مِن عزيمة الجُنْد وحماستهم، وثقتهم فِي أنفسهم.

وفِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي، تحَرَّكْنَا ونحن مُسْتَعِدّون للقتال.لكن خليفة وبعض المخلصين،

(١) قرية فِي ناحية عليكره.

رأوا أنه يحسن أن (٣١٦أ) نحكِم المكان الذي سنذهب إليه بالخنادق أولًا قبل الذهاب إليه، خاصة وأنه غير بعيدا.وذهب خليفة إلى هُنَاكَ لمباشرة أمر الخنادق، وحدد أماكنها لمسئولي التحصينات، والجاوشية ثُمَّ رجع.

وفِي يَومِ السبتِ الثالثِ عشر مِن شهرِ جمادى الآخر، وضَعْنَا العَرَبَات أمامنا، واصْطَفّت أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والقلب وتقدمنا حوالي الفَرْسَخ، ونزلنا بالمكان المحدد. وأقمنا بعضالخيام، وأثناء إقامة بعضها الآخر، علمنا أن صفوف العدو تلوح [مِن بعيد]. وعلى الفور، امتطينا الخيول، وأمرتُ أن تتخذ أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة أماكنها، وأمرنا بضبط الصفوف والعَرَبَات وترتيبها.

وهنا أمرنا الشَّيْخ زين أن يكتب رسالة الفتح هَذهِ يصور فيها حرب المسلمين مع الكُفَّار، وحال جُنُود الإسلام، وعدد أسراب الكُفَّار، وأوضاع الصفوف، وهذا هو نص رسالة الفتح التي كتبها بلا زيادة أو نقصان:

رسالة الفتح والنصر على راناسَنْكَا:

مرسوم الغازي ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر:

الحمد لله الذي صَدَق وَعْدَه، ونَصَرَ جُنْدَه، وهَزَمَ الأحْزَابَ وَحْدَه، ولا شيء بَعْدَه، مَن رَفَعَ دَعائِمِ الإسْلام بِنَصْرِ أوليائه الراشِدين، وَوَضَعَ قَوائِمَ الأصْنام بِقَهْرِ أعدائه الماردين، فَقَطَعَ دَابِرَ القَوْمِ الظالمين، والحمد لله رب العالمين، وصلي الله على خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّد سَيِّد الغُزَاة والمُجَاهِدِين، وعَلَى آلِهِ وأصْحَابِهِ الهداة إلى يَوْمِ الدين.

إنَّ تواتُر نِعَمِهِ سُبْحَانَه، هِيَ البَاعثُ عَلَى كَثْرَةِ الشكْرِ والثَّنَاء. وكَثْرَةِ الشكْرِ والثَّناء تورث تَوَاتر النِعَم، فَأَدَاءِ الشكْر عَقِبَ كل نِعْمَةٍ تَأْتِي عَقِبَ كُلِّ شُكْر، أَمْرٌ يَعْجَزُ البَشَرَ عن أنْ يحصوه، ويَعْجَزُ أصحابُ القُدْرَةِ عنْ أنْ يُؤَدُّوه، وهؤلاء دَوْلَتهم فِي الدنْيَا أعْظَم، وسَعَادتهم في العُقْبَى أكْبَر. أما مَن يَتَقَاعسون عَنْ قَهْرِ عُتَاةِ الكُفَّار، وسَلْبِ أَغْنِياءِ الفُجَّارِ﴿أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ

الْفَجَرَةُ﴾ [1]، وما نزلت الآيةُ إلَّا فِي بيانِ أمثالهم، ولا سَعَادَة أحْسَن مِنْها فِي نَظَرِ أَرْبَابِ البَصِيرَة والأَلْبَاب.

والمِنَّة لله الذي جَعَلَ هَذِهِ السعَادَة العُظْمي والمَوْهِبَة الكُبْري مَطْلَبا أصْليا ومَقْصُودا حقيقيا مِن المَهْدِ إلى هَذَا العَهْد لِكُلِّ ذى ضَمِيرٍ خيِّر، ورَأْيٍ نيِّر.

ومن مكمن عواطف حضرة المَلِكِ العَلام، الفَتَّاحُ بِلا منَّة، والفَيَّاضُ بلا عِلَّة، فتحت فِي هَذِهِ الأَيَّام المباركة أبواب الفَيْضِ لآمالِ نُوَّابِنا المَنْصُورين، وسجلت أسماء أفواجنا السامية المبتهجين فِي سِجِل الغُزَاة المكرمين. وبَلَغَ لِوَاء الإسْلام أوج الرِّفْعَة والرُّقي بِجهْدِ (٣١٧أ)، جُنُودنا المُظَفَّرين.

وكما حَرَّرْنا فِي كُتُبِ الفتوحِ السابقة، فإِنَّ هَذَا المجدُ وهَذهِ السعادة، ظَهَرَت مُنْذُ أضَاءت لمعاتُ سيوف فرساننا حماةالإسلام، «الهِنْد» بأنوارِ الفتح والظفر، وارتَفَعَت بأيدى التوفيق رايَتُنا المُظَفَّرة خَفَّاقة فِي مَمَالِكِ «دِهْلي»، و«أَكْرا»، و«جنپور»، و«خَرِيد»، و«بِهَار» وغيرها، فأخضعت لنوابنا الميمونيين أكثر طوائفِ الكُفَّار والمسلمين،. وسَلَكُوا طَرِيق العُبُودِيةِ بِقَدَم الصِّدْق والإخْلاص.

لكنَّ الكَافِر راناسَنْكَا عمل بِمَضْمون. ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [2]، فلم يَنْصاع لنُوَّابِنا أصحاب العاقبة الميمونة، وخَرَجَ وكأنَّهُ الشَّيْطَان قائِدا لِجَيْشٍ جرار، فاجْتَمَعَت حَوْله طَوائِف الفُرْسَان المهجورة، فَمِنْهُم مَنْ وَضَعُوا الزنار فِي رِقَابِهِم وكأنه طوق اللعْنِة، ومِنْهُم مَنْ سَحَبُوا شوك محنة الردة بِذِيُولِهُم، واستولي هَذَا الكَافِر الملعون، خَذَلَه [الله] فِي يَومِ الدِّين، على ولايةِ «الهِنْد»، حَتَّى أَنَّ أمراءَها وحكامَها الكبار الذين خَضَعُوا له قَبْل طلوعِ شمسِ الدولةِ السُلْطانية، وسطوعِ الخلافةِ الشاهنشاهية، فِي هَذهِ المَعْرَكَة لم يُطِيعوه، والحكام والقادة مِن أهل الارتداد (٣١٧ب) الذين صاروا فِي رِكَابِه، لم يُتَابِعُوه فِي قتالٍ ولم يوافقوه، ولم يصحبوه فِي طريقِ سفر أو يُرَافِقوه.

(١) الآية ٤٢ سورة عبس.
(٢) الآية ٣٤ البقرة.

ولأن كل السلاطين ذَوِي المَكَانَـةِ الرفيعَـة فِي هَذهِ الخُطة الوَاسِعَة، سُلْطَان «دِهْلي»، وسُلْطَان «كُجَرات»، وسُلْطَان «ماندو»وغيرهم، وعجزوا عنْ مُقَاوَمَتِه فِي سوء سيره، فاتجهوا بالحيلِ اللطيفة إلى المداراة، واظهروا له المُوَاسَاة.

ولقد خَفَقَت أعْلامُ الكُفْرِ فِي مُدُنِ الإسْلام ما يقرب مِن مائتي عام. وخربت المساجد والمعابد، وصار عِيَال المُؤْمِنين وأطفالَهُم أسْرِي فِي تلك البُلْدان والأمْصار، والقاعدة فِي ولايةِ «الهِنْد»، أنَّ الولايةَ ذات المائة ألف، تكون ذات مائة فارس، والولاية ذات المائة مائة ألف، تُعْتَبَرُ ذات عَشَرَة آلاف فارس، والأمرُ المُدْهِش أنَّ هَذهِ الولاية المُسَخَّرة لهذا الرجلِ الكَافِر، بَلَغَت ألف مائة الف[1] أي تكون ذات مائه ألف فارس.

وفِي هَذهِ الأَيَّام، فإن أكثرَ صَنَاديد الكُفَّار المشهورين الذين لم يُؤَازِروا هَذَا الكَافِر الشَّقِي فِي أي حرب قَطْ، فإنهم انْضَموا إلى جُنُوده هَذهِ المرة بغضا لجُنُود الإسلام، وَوَصَلَ الأمر أن عشرة مِن الحكام المستقلين، رفع كلُّ واحِدٍ منهم رايَةَ العِصْيان كالدخان، وصار كل واحد منهم قائدًا لفرقةٍ مِن فِرَقِ الكَافِر فِي مقاطعتِه، واتصلت أغْلالَهُم وسلاسلَهُم بذَلِكَ الكَافِر الفاجِر. (٣١٨أ) وعَلَى نَقِيض العشرة المُبَشَّرين [بالجنة] ورَفَعَ هؤلاء العَشَرَة الكَفَرَة لِواء الشقاء فبشرهم بِعَذَابٍ أليم. وكانوا أصحاب أتباع وعساكر كَثِيرَة، ومقاطعات وَاسِعَة. فَمِنْهُم صلاح الدين وكان عَلَى رَأْسِ ثلاثين ألفًا مِن الفُرْسَان، وراول الأودي سينك باكري زعيما لاثنى عشر ألفا، وسوار وميدني راو لاثنى عشر ألفا، وحَسَن خان الميواتي لاثنى عشر ألفا، وبارمل ايدري لأربعة آلاف، ونريت هاره لسبعة آلاف، وستروي كيجي لستة آلاف، ودهرم ديو لأربعة آلاف، وبرسنك ديو لأربعة آلاف فارس. كذَلِكَ محمود خان ابن السُلْطَان سكندر رغم أن بلا ولاية أو مقاطعة، فإنَّه جَمَعَ زُهَاء عشرة آلاف فارسٍ أملًا فِي القِيَادَة. وبَلَغَ مجموع هؤلاءِ المهجورين المطرودين مِن وادِي الأمنِ والسلامة، حسب القاعدة المَرْعِيَّة فِي مُقَاطَعاتِ «الهِنْد» وولايتها، مائتي وواحد ألف فارس.

---

(١) أى مائة مليون.

والقصة، أن ذَلِكَ الكَافِر الذي باطِنُهُ الغرور، وظاهِرُه العمى، توافَقَت قُلُوب الكُفَّار القاسِيَة مع رياحِهِم السوداء كَظُلمات بعضها فوق بعض، لمخالفة أهل الإسلام ومحاربتهم، وهدم أساس شريعة سَيِّد الأنام عَلَيْهِ الصلاة والسلام، فَنَزَل مجاهِدو السُلْطَان كقضاءِ الله على رأسِ ذَلِكَ الدَّجَّال الأعْور، وتجلى أَمَام نَظَرِه، بصيرة أصحاب السَّيْرة إذا جاء القضاء عمي البصر، وضعوا نُصْبَ أعينهم آية ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾(١). (٣١٨ب) ونفذوا الحكم الواجب الإذعان أن ﴿جَاهِدِ الكُفَّار وَالْمُنَافِقِينَ﴾(٢).

وفي يَومِ السبتِ الثالثِ عشر مِن شهرِ جمادى الآخر سنة ٩٣٣[هـ]، بارَكَ الله في سَبتِكم إشارة إلى بَرَكَةِ ذَلِكَ اليوم.صارت الأراضي الوَعِرة لأعداءِ الدين المُمْتَدة لمسافَةِ فَرْسَخَيْن في كانوه مِن مضافات «بِيَانه»، مضربا لخيامِ عَسْكَر الإسلام المنصورين. وما أنْ بَلَغَت دبْدَبَة كَوْكَبَة مَوْكِب الإسلام مسامع أعداء الدين، والكُفَّار الملعونين، حَتَّى تَتَرَّسُوا بأفْيَالَهُم التي لها هيئة الجبل، ووجه العفريت،كَأَنَّهُم أصْحَاب الفيلِ المخَالِفِين لأمَّةِ مُحَمَّد، والراغبين فِي هدمِ كعبةِ المسلمين، وأصبحوا على قلبِ [رجل] واحد مجتمعين، وجُنُود الشقاء أفواجا متقدمين:

الهنود الأذلاء كأصحاب الفيل، زادتهم أفيالَهُم غرورا

مشئومين كليل الأجل، وأشد مِن الليل سوادا، وأَكْثر مِن النجوم عددا

إنهم كالنار، لكن رؤوسهم تصاعدت كالدخان إلى قبة السَّمَاء،

جاءوا كالنمل آلافا مؤلفة عن اليمين والشمال مشاة وفرسانا،

وتوجهوا بِعَزْمِ المقاتلةِ والحرب، فأحاطوا بالجَيْشِ المنصور، فاصْطَفّ غُزَاةُ الإسلامِ فِي رياضِ الشجاعة صفوفا لها صفة الصنوبر، (٣١٩أ) ورفعوا مزاريقهم المهيبة [كأشجار]الصنوبر، وبَلَغَت قلوبُ المجاهدين فِي سبيلَ الله أوجها كأشعةِ الشمس. وكانت صفوفهم بلونِ الحديدِ وكأنها سدّ الإسكندر، مَتينَةٌ كطريقِ شَرِيعَةِ الرسول ﷺ فِي الاسْتِقَامَةِ والإحكام﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ

(١) الآية ٦ العنكبوت.
(٢) الآية ٧٣ التوبة

مَرْصُوصٌ﴾(1) ؛ وبمقتضي أولئك عَلَى هُدى مِنْ ربهم وأُولئِكَ هم المُفْلِحُون(2) المختص بها والموصوفين مِن أهلِ الفلاحِ والنصر (قطعة):

ليس فيهم لمثة مِن طباع الجبن،

لأنهم رأوا ملك الملوك والدين القويما

أعلامهم الخفاقة في السَّماء،

كالألِفْ في إنا فتحنا،

فِي النهاية، وضعنا الحزم نُصب أعيننا، ورَتَّبْنَا العَرَبَات صفا، وأوثقناها ببعضها بالسلاسل لحماية رُماة البنادق وقاذفي الرعد الذين يتقدمون الجندكغزاة الروم(3). وكل مَن رأى جند الإسلام بهذا التنظيم والإحكام، أثني على العقل المنير، والفلك الأثير الذي أحسن تدبيرها وترتيبها.

وأما هَذَا الترتيبُ والإحكام، والتشييد والانتظام، فقدجاء ثَمَرَة سَعْي واجْتِهاد مقرب الحضرة السُلْطَانية، واعتماد الدولة الخاقانية نظام الدين على خليفة، وجاء كل تدبيره وفق التقدير، وكل قواده ورؤسائه مثار إعجاب الرأي المنير.

وتَقَرَّرَ أنْ يكون مَقَر السُلْطَان صاحبُ العِزَّة فِي القلبِ [مِن الجَيْش]، (٣١٩ب) وعن يمِينِه الأخ الأعز الأرشد، عين السعادة المختص بعواطفِ الملك المستعان چين تيمور سُلْطَان، والابن الأعز الأرشد سُلَيْمان شاه، حفظه الله سبحانه ورعاه، وجناب صاحب الهداية، ومنتسب الولاية الخوجه كمال الدين دوست خاوند، ومُعْتَمد السَّلْطَنَة العلية مؤتمن العتبة السنية، المقرب الخاص، وزبدة أصحاب الاختصاص، جمال الدين يونس على، وعُمْدَة الخَوَاص كامل الإخلاص جلال الدين شاه منصور برلاس. وعُمْدَة الخَوَاص، وزبدة أصحاب

---

(1) الآية ٤ الصف

(2) الآية ٥ لقمان.

(3) يقصد الأتراك العثمانيين

الاختصاص، نظام الدين درويش مُحَمَّد ساربان، وعُمْدَة الخَوَاص، صادق الإخلاص شهاب الدين عبد الله الكتابدار، ونظام الدين دوست أشيك أغا، وقد أخذوا أماكنهم.

وفي يسارِ القلب، ملجأ السَّلْطَنَة، ومنتسب الخلافة، المختص بعواطف الملك المستعان السُلْطَان علاء الدين عالِم خان بن السُلْطَان بهلول اللودي مقرب للحضرة السُلْطَانية، ودستور أعاظم الصدور بين الأنام، وملاذ الجمهور، ومؤيد الإسلام الشَّيْخ زين خوافي. وعُمْدَة الخَوَاص، كامل الإخلاص كمال الدين محب على، الولد المقرب للحضرة السُلْطَانية، وعُمْدَة الخَوَاص نظام الدين تردي بِك أخو المرحوم قوج أَحْمَد (٣٢٠أ)، وعُمْدَة الأعاظم والأعيان خان أعظم أرايش خان بن المرحوم قوج بِك المذكور، وقبضة الأسد، ودستور أعاظم الوزراء بين الأمم الخوجه كمال الدين حُسَيْن، وجماعة أَرْبَاب الديوان العظام، اتخذ كل منهم مَوْضِعه المقرر.

وفي المَيْمَنَة، تمكن الإبن الأعز الأرشد، قُرَّة عين السعادة، قَرِين السَّعْد، مَنْظُور أنظار عناية حضرة الخالق، نجم بُرْج السَّلْطَنَة، وسعادة شمس سماء الخلافة والحُكم، الممدوح بلسان العبد والحُر، مُعز السَّلْطَنَة والخلافة مُحَمَّد هُمايون بَهادِر. وفِي اليمين المسعود، ذَلِكَ الإبن العزيز لجناب ملاذ السَّلْطَنَة، المختص بعواطف الملك الديان قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وعُمْدَة الخَوَاص نظام الدين أَحْمَد يوسف أوغلا قچي، ومُعْتَمد الملك، صادق الإخلاص جلال الدين خُسْرو كوكلتاش. ومُعْتَمد الملك قوام بِك اوردو شاه، وعُمْدَة الخَوَاص كامل العقيدة والإخلاص ولي خازن قرا قوزي، وعُمْدَة الخَوَاص نظام الدين بيرقلي السيستاني. وعُمْدَة الوزراء بين الأمم الخوجه كمال الدين پهلوان البدخشي، ومُعْتَمد الخَوَاص نظام الدين عبد الشكور، ومُعْتَمد الأعيان سُلَيْمان أقا سفير العراق، (٣٢٠ب) وحسين اقا سفير «سيستان».

وفي اليسار، وضعنا المدثر بالظفر الابن السعيد للمشار إليه عالي الجناب، السَّيِّد المرتضوي الانتساب مير همه، وعُمْدَة الخَوَاص، وكامل الاخلاص شمس الدين مُحَمَّدي كُوكَلْداش ونظام الدين خواجكي أسد الخاندار.

وكان مِن أمراء «الهِنْد» فِي المَيْمَنَة، عُمْدَة المُلك، خان الخانات دلاور خان، وعُمْدَة

الأعيان ملكداد كرراني، وعُمْدَة الأعيان شيخ المشايخ الشَّيْخ كورن، واتخذوا مواقعهم فِي الأماكن التي حددت لَهُم فِي المرسوم.

وفِي مَيْسَرَة عَسَاكِر الإسلام عالي الجَناب، اصْطَفّ نقيبُ الانتساب، حائز رِفْعَة افتخار آل طه وَيْس، قدوة أولاد سَيِّد المُرْسَلِين، السَيِّد مهدي خوجه، والأخ الأعز الأرشد مبتغي منظور أنظار عناية حضرة مولاه مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا؛ وملجأ سلطنة المنتسب للخلافة، والمختص بعواطف الملك المستعان عادل سُلْطَان ابن مهدي سُلْطَان، ومُعْتَمد الملك، كامل الإخلاص مُعِزُّ الدين عبد العزيز ميراخور، ومُعْتَمد الملك شمس الدين مُحَمَّد على چَنْكِچَنْك، وعُمْدَة الخَوَاص، كامل الإخلاص جلال الدين قُتْلُقْقَدَم قراول، وعُمْدَة الخَوَاص، كامل الإخلاص جلال الدين شاه حُسَيْن يار كي مُغُول غانجي، ونظام الدين جان مُحَمَّد بِك أتكه.

وفِي هَذَا الجانب، وضعنا مِن أمراء «الهِنْد»، سلالة السلاطين كمال خان، وجلال خان، (٣٢١أ) إبنَي السُلْطَان علاء الدين المذكور، وعُمْدَة الأعيان على خان شيخزاده الفَرمُلي، وعُمْدَة الأعيان نظام خان [صاحب] «بَيَانه».

واحتياط المَيْمَنَة كل مِن مُعْتَمد الخَوَاص،كامل الإخلاص ترديكه، وملك قاسم أخو بابا قشقه، ومعه عَدَد مِن المُغُول، وفِي المَيْمَنَة مُعْتَمد الخَوَاص، صادِق الإخْلاص مُومِن اتكه، ومُعْتَمد الخَوَاص رستم تركمان على رأس عَدَدٍ مِن خواص عبيدنا.

وتم وضع عُمْدَة الخَوَاص، زُبْدَة أصحاب الاختصاص، كامِل الاختصاص نظامُ الدين سُلْطَان مُحَمَّد بخش، وأعْيَان غُزاة الإسلام وأركانهم فِي أماكِنِهم ومواضِعِهِم المُقَرَّرَة، على أن يكونوا مُسْتَعِدِّين لسماع أوامرنا، وأرْسَلْنا ناقلي الاخبار وأَلْقُواسين إلى الأطراف والأكناف، لتوصيل أحكامنا المطاعة إلى السلاطين العظام،والأمراء الكرام، وسائر الغُزاة ذوي الاحترام، بشأن ضبط الفُرْسَان والمشاة وربطهم.

وثبتنا أركان الجُنْد، وصدر المرسوم واجب الإذعان، لازم الامتثال، بأن يثبت كل واحد منهم فِي مكانه، ولا يبدأ القِتَال قبل الإذن له.وتجنبنا يوم الطعان حَتَّى صار الفريقان متقابلين

متقاربين، وعندئذ بدأوا الحرب والقِتَال، وكانت جُنُود الجانبين (٣٢١ب) متقابلين، تقابل النور والظلام، وبدأ قتال عظيم فِي المَيْمَنَة والمَيْسَرَة، حَتَّى زلزلت الأرض، وبلغت القعقعة عنان السَّمَاء.

وعندما تقدمت مَيْمَنَة الكُفَّار الذين هم مِن آثار الشقاء نحو مَيْمَنَة جُنُود الإسلام الميمونة، حملت عَلَيْهِم جُنُودنا وفِي مقدمتهم خُسْرو كُوكَلْداش، وملك قاسم أخو بابا قاشقة.وحسب الأمر، أسرع الأخ الأعز الأرشد چين تيمور سُلْطَان لنجدتهم، وقاتل بشجاعة.واقتلع الكُفَّارمِن أماكنهم، وتقدم فِي أعقابهم حَتَّى وصل إلى قلبهم. وقد كافأنا هَذَا الأخ العزيز المكافأةالتي يستحقها.

وتقدم نادرة العصر مصطفي الرومي، والإبن الأعز السعيد منظور أنظار عناية حضرة مولاه المختص بعواطف الملك الناهي الآمر مُحَمَّد هُمايون بَهادِر متقدما العَرَبَات، ودَكّ صفوف الكُفَّار بالبنادق والمدافع أثناء المَعْرَكَة فصارت قلوبهم مكسورة، وفِي قلب المَعْرَكَة صدر الأمر إلى الأخ الأعز الأرشد قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وعُمْدَة الخَوَاص نظام الدين أَحْمَد يوسف وقوام بِك فأسرعوا لمعاونتهم.

ولأن المدد يصل إلى فرق الكُفَّار مِن رِجَالَهُم تباعا، فقد أَرْسَلْنا بدورنا مُعْتَمد الملك جلال الدين هندو بِك ومن خلفه دُعامة الخَوَاص مُحَمَّدي كُوكَلْداش وخواجكي أسد جاندار ومن بعدهم أيضًا (٣٢٢أ) مُعْتَمد السُلْطَان العلية، ومؤتمن العتبة السنية، المقرب الخاص جمال الدين يونس على، وعُمْدَة الخَوَاص، تام الإخلاص جلال الدين شاه منصور برلاس، وعُمْدَة الخَوَاص شهاب الدين عبدالله الكتابدار ومن ورائهم أيضًا عُمْدَة الخَوَاص دوست أشيك أقا وشمس الدين مُحَمَّد خليل آخته بِك لتدعيم قواتنا.

وهجمت مَيْمَنَة الكُفَّار كَرَّاتٍ ومرَّات على مَيْسَرَة جند الإسلام. ووصلوا إلى الغُزَاة ذوي النجاة، وفِي كل مرة يهجم عَلَيْهِم الغُزَاة العظام، بزخم السهام المُظَفَّرة، يُشيّعون بعضا منهم إلى دار البوار يصلونها فبئس القرار، ويوَلِّي البعض الآخر الأدبار. بناء على هَذَا، أحاط مُعْتَمد

الخَوَاص مؤمن اتكه ورستم التُرْكُماني، بمؤخرة عَسْكَر الكُفَّار، دُعامة الظلام وملجأ الشقاء. وأرْسَلْنا لمساعدتهم مُعْتَمد الخَوَاص، صادق الإخلاص الخوجه محمود على أتكه، ورأس العبيد المقرب مِن الحضرة السُلْطَانية، اعتماد الدولة الخاقانى نظام الدين خليفة. وبدأ الأخ الأعز الأرشد مُحَمّد سُلْطَان مِيرْزا ، وملجأ السَّلْطَنَة عادل سُلْطَان، ومُعْتَمد الملك معز الدين عبد العزيز الميراخور، وجلال الدين قُتْلُقْقَدَم قراول، وشمس الدين مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك وعُمْدَة الخَوَاص شاه حُسَيْن يارکی، ومغول غانجی، بدأوا الحرب، وهجموا هجمة شديدة. وأرْسَلْنا لمساعدتهم كبير الوزراء بين الأمم كمال الدين حُسَيْن، مع جماعة مِن الديوانين. (٣٢٢ب) وبلغت همّة أهل الجهاد غاية الجد والاجتهاد والرغبة فِي القِتَال ووضعوا نصب أعينهم الآية الكريمة ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾ [(١)] وعزموا على بذل الروح، ورفعوا لواء الفداء.

ولما بَدَأَت المَعْرَكَة، وحَمى الوطيس، صَدَرَ الفرمان واجب الإذعان إلى الفتيةِ المقاتلين مِن الجُنْد السُلْطَانية الرابضين كالأسود خلف العَرَبَات المربوطة بالسلاسل أن ينطلقوا، إلى خارج المركز مِن اليمين والشمال، وأن يتخذ رُماة البنادق مكانهم فِي الوسط. وانطلق الجُنْد مِن خلفِ العَرَبَات مثل طلوع الصبح الصادق فِي الأفق. وانسكبت دماءُ الكُفَّار المنحوسين بلون الشفق فِي ميدان القِتَال الذي يشبه الفلك الدوار. وانفصلت رؤوس عدد مِن العصاة عن فلك وجودهم [وتناثرت] كالنجوم. وكان نادرة العصر الأستاذ عليقُلي، واقفًا برجَاله الشجعان أمام القلب يدكون صفوف الكُفَّار التي تشبه القَلْعَة فوقها الحديد دثار، بالأحجار الثقال التي لو وضعوا واحدًا مِنْها على كفة ميزان الأعمال، لأصبح صاحبها مظهرا لسر الآيـة ﴿فأما مَن ثَقُلَت مَوازِينُه، فهو فِي عِيشَةٍ راضِيَه﴾ [(٢)]. ولو انطلقت واحدة مِنْها على جبلٍ راسخٍ قويٍ لأصبح كالعِهْنِ المنفوش، وكان يقذف الحجارة والمدافع والبنادق، فيدُكُّ بها بناء أجسام الكُفَّار.(٣٢٣أ)

---

(١) الآية ٥٢ التوبة

(٢) الآية ٦ القارعة.

وبموجب الأمر الصادر برز رُماة البنادق الذين فِي مركز القلب، وانطلقوا مِن العَرَبَات إلى ميدان القِتَال، وأذاق كل واحد منهم سم الموت لعدد مِن الكُفَّار. واقتحموا مَوْضِع الخطر، وتألقت أسماؤهم بين أسود غابة البطولة وأبطال معركة الفداء. وفِي هَذهِ الأثناء، صدر مرسوم حضرة الخاقان بدفع العَرَبَات مِن المركز إلى الأمام. وتقدم السُلْطَان بنفسه صوب جُنُود الكُفَّار محفوفا بالفتح والسعاده عن يمينه، والإقبال والنصر عن يساره. فلما رأته الجُنُود المُظَفَّرة، ماج بحرها الزاخر تموجًا عظيمًا، وتجلت شجاعة تماسيح هَذَا البحر مِن القوة إلى الفعل، وارتفع الغبار كالغمام، وغطي ميدان المَعْرَكَة كله كالركام. وانطلق لمعان البرق مِن بريق لمعات أَرْبَاب السيوف البتَّاره. وأصبح وجه الشمس مِن أثر الغبار المتصاعد كاسفا كظهر المرآة. واختلط الضارب بالمضروب، والغالب بالمغلوب، بلا تميز بينهما، وسحر ساحر الزمان أعينهم، فلم يروا مِن [الكواكب] السيارة غير السهام، ولم يظهر لَهُم مِن الكواكب الثوابت غير المواكب ثابتة الأقدام.

فِي يومِ القِتَال بلغت الدماء برج الحوت،

وارتفع الغبار حَتَّى بلغ القمر، (٣٢٣ب)

ومن سنابك الخيل فِي تلك الصحراء المترامية

صارت الأرض ست طبقات والسَّماء ثمان.

وتناهى إلى سمع المجاهدين الغُزَاة فِي حومة القِتَال، هاتف الغيب يبشرهم ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ (١) واستمعوا لبشرى النصر أنه لاريب ﴿نَصْرٌ مِن الله وفَتْحٌ قَرِيب وبَشِّر المؤمنين﴾ (٢) فأقبلوا على القِتَال بشوقٍ كبير.حَتَّى بلغ مسامعهم حبور الأرواح القدسية فِي الملأ الأعلى. والملائكة المقربين تحلق فوق رؤوسهم كالفراشات.

واسْتعَرَتْ نارُ القِتَال بين الصلاتين، فبلغ لهيبها عنانَ السَّمَاء. وانقضت مَيْمَنَة جند الإسلام وميسرتهم على مَيْسَرَة الكُفَّار وميمنتهم، فأتعسوا قلبهم، وبعثروا مؤخرتهم.

(١) الآية ١٣٩ آل عمران.

(٢) الآية ١٣ الصف.

وعندما بَدَأت آثارُ انتصارِ المجاهدين تنجلى، ولواءُ الإسلامِ يرتفع، فإن الكَافِر اللعين وهؤلاء الأشرار عديمى الدين، تحيروا لحالَهُم، وأَلْقُوا بأنفسهم إلى التهلكة، فهجموا على يمين القلب ويساره. وشددوا الهجوم على المَيْسَرَة، واقتربوا منا، لكن الغزاه الشجعان، وضعوا نصب أعينهم ثمرة الثواب، فغرسوا فِي تراب صدر كل واحد منهم براعم السهام، فبددوهم مثل حظهم الأسود. وفِي هَذهِ الأثناء، هبت نسايم النصر والإقبال على خميلة سعادة نوابنا المبارَكة. (٣٢٤أ) وجاءتهم بشرى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [(١)]، وعندما ظهر الفتح المُزين للعالم، وقد ازدان جبينه بطرة ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [(٢)]، وبدأت بشائر السعادة والإقبال تلوح مِن خلف الحجب، أدرك جُنُود الباطل بؤس حالَهُم، وتفرقوا كالعهن المنفوش وتلاشوا كالفراش المبثوث. وقتل أكثرهم فِي ميدان القِتَال. فولى قسم منهم جهة الصحراء شاردين، وصاروا طعمةً للغربان والحداٌه. مِن جثثهم ارتفعت التلال، ومن رؤوسهم أقيمت المنائر.

وانتقل حَسَن خان الميواتي إلى عداد الأموات بطلقة بُنْدُقِيَّة، وهلك أكثر المتمردين مِن زعمائهم المضلين برميات السهام والبنادق.

وبالجملة، فإن "راول اودي سنك باكرى" والى ولاية «اودى پور» صاحب اثني عشر ألف فارس؛ و«چندَرْبان»، وراي چوهان صاحب أربعة آلاف فارس، و بوبت راو بن صلاح الدين المذكور حاكم «چينديري » صاحب ألف فارس، ومانك جند چوهان، ودلبت راو صاحب أربعة آلاف فارس (٣٢٤ب) و«كُنكو»، و«كرم سنك»، ودنكرسى صاحب ثلاثة آلاف فارس، ومجموعة أخرى كل واحد منهم إما زعيم، أو صاحب سلطنة وشوكة وكبير جماعة، فارقوا هَذهِ الدار إلى مأواهم فِي الجحيم، وحلوا بالدرك الأسفل. وأصبح طريق دار الحرب كالجحيم يَغُصُّ بِمن سلكوا طريق المَوْت مِن الجَرْحي، وامتلأ الدَرْك الأَسْفَل بالمنافقين الذين بَذَلوا روحهم لمالك الجحيم. وصار قَتْلَاهم مَنْتَشِرين وحيثما ركض جُنُود المسلمين، وجدوا فِي كل خطوة

(١) الآية ١ الفتح.
(٢) الآية ٣ الفتح.

قتيلا محبا لذاته، وحيثما طاردوا المهزومين، وجدوا الوجوه مِن جرحاهم فوق الثرى مطروحين.

وأصبح الهنود مِن طلقات البنادق

أذلاء كأصحاب الفيل

وتفجرت الدماء مِن أجسادهم

وكأنها عين ماء تتفجر مِن الجِبَال

ومن سهام جندنا الغالبين يفرون

خوفا كالخنازير فِي الصحاري والجِبَال

ولوا على أدبارهم نفورا

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [(١)].

ونحمد الله السميع العليم. فإنما العون مِن الله العزيز الحكيم.

كُتِب فِي الخامس والعشرين مِن شهر جمادى الآخر سنة تسعمائة وثلاث وثلاثين.

وذُيلت رسالة الفتح هَذِهِ بلقب وطغراء الغازي، ثُمَّ كتبتُ بعد [هَذِهِ الرسالة]هَذِهِ الرباعية:

قطعتُ الصحاري لرفعة الإسلام،

وقاتلتُ الكُفَّار والهنود.

أطلب الظفر بالشهادة (٣٢٥أ)

فجعلني الله غازيا، والمنَّة لله.

وقد أرَّخ الشَّيخ زين لهذا الفتح بعبارة فتح پادشاه اسلام [(٢)]، كتب أحد مِن جاءوا مِن «كابُل» ويدعى ميركيسو، رباعية أرَّخ فيها لهذا لفتح بذات العبارة. ومِن باب توارد الأفكار، فقد راقت هَذِهِ الألفاظ للشيخ زين وميركيسو، فاختارها كل منهما فِي رباعياته. كما أرخ الشَّيخ

(١) الآية ٣٨ الأحزاب.

(٢) هَذِهِ العبارة بحساب الجمل تساوي ٩٣٣، وهو تاريخ هَذَا الفتح،

زين لفتح ديپالپور بجملة وسط شهر ربيع الأول. وأرَّخ ميركيسو له بذات العبارة.

وبعد هزيمةِ العدو، تَعَقَّبْناه بالضرب، فأرْسَلْنا مُحَمَّدي، وعبد العزيز، وعلى خان وبعضَ الآخرين فِي أعقابِه إلى معَسْكَره، وكان يفصل بينه وبين معَسْكَرنا فَرْسَخَيْن. لكن ظهرت بادرة إهمال. إذكان يجب أن أذهب بنفسى ولا أترك هَذَا الأمر لآخر. فبعد أن تقدمتُ وأصبحت على مَسَافَة فَرْسَخ مِن موقع الكُفَّار رجعتُ إلى المَعَسْكَر وقت صلاة العشاء بسبب ضيق الوقت أو تأخره. فجاء المُنَجِّم مُحَمَّد شريف الذي لم يَكُنْ متفائلًا إلى حد كبير لتقديم التهنئة على الفور. فقلتُ له كل ما جرى به لساني، وأفرغتُ مكنون صدرى. والواقع، إن هَذَا الكَافِر المنحوس كان كثير التمرد والعجب بنفسه. لكنا حفظنا له خدماته القديمة فأحسنا عَلَيْهِ بمائه ألف، وأمرناه بالرحيل مِن بلادنا وعدم الإقامة بها.(٣٢٥ب)

وفِي اليومِ التَّالِي، توقفنا فِي ذات المكان. وأرْسَلْنا مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك، والشَّيْخ كورن، وعبد الملك القورچي مع قوة كبيرة إلى الياس خان الذي خرج [عَلَيْنَا] فِي ميان دو آب، وأخذ كول، وأسر كيچيك على. فلما وصلوا إلى هُنَاكَ، انهزموا بدون أن يحاربوا العدو، وتفرقوا هنا وهُنَاكَ. وقد أمسكوا به بعد بضعة أَيَّام مِن مجيئي إلى «أَكْرا»، وجاءوا به، فأمرتُ بسلخ جلده. وأمرتُ بعمل منارة مِن رؤوس الكُفَّار فوق ربوة هُنَاكَ قُبَالَة المَعَسْكَر، حيث دارتالمَعْرَكَة عندها.

وَغَادَرْنَا مكاننا هَذَا، فبلغنا «بيَانه» بعد منزلين. وكانت جِيَف أهل الكفر والردة الملقاة على الأرض فِي الطريق إلى «بيَانه»، بل وإلى «الوار»، و«ميوات»، لا تعد ولا تحصى. وتفرجتُ على «بيَانه». وجئتُ إلى المَعَسْكَر. واستدعيتُ أمراء الترك، و«الهِنْد»، واستشرتهم فِي أمر الحملة على ولاية هَذَا الكَافِر. لكن تجاوزنا عن هَذهِ الحملة بسبب ندرة الماء فِي الطريق،وشدة الحر.

وولايةُ «ميوات» قريبةٌ مِن «دِهْلي». ويبلغُ ريعها حوالي ثلاثمائة أو أربعمائة مائة ألف. وكان آباءُ حَسَن خان الميواتي يحكمون فِي «ميوات» مستقلين مُنْذُ مائه أو مائتي عام، مع خضوعهم لسلاطين «دِهْلي» (٣٢٦أ) خضوعا غيركامل. ولعل سلاطين «الهِنْد» لم يحكموا

ولاية [ميوات] هَذِهِ بسبب اتساع ولاياتهم، أو ضيق إمكانياتهم، أو بسبب وعورتها، فاكتفوا منهم بإعلان الطاعة، وتركوا لَهُم حكم الولاية.

وبعد فَتْحِ «الهِنْد»، وعملًا بمنهج السلاطين القدامى، أولَينا حَسَن خان الرِّعَايَة. لكن ذَٰلِكَ الكَافِر الجاحد لم يقدِّر لطفنا وعنايتنا، وبدلًا مِن أن يشكر لنا حَسَن المعاملة والرِّعَايَة، أصبح كما ذكرنا محرك كل الفتن، ورأس كل الفساد.

فتح ميوات:

وبسببِ توقف هَذِهِ الحملة [ضد راناسَنْكَا]، تَحَرَّكْنَا لتسخير «ميوات». وبعد أربعِ مراحل، نزلنا بضِفَّة نهر مانس على مَسَافَة سته فَرَاسِخ مِن «قلعة الور» مقر حاكم «ميوات». ولما كان آباء حَسَن خان يقيمون فِي «تجاره» [1] أبا عن جد، فإنه فِي العام الذي تحركتُ فيه باتجاه «الهِنْد»، وهزمتُ بهار خان، وأخذتُ «لاهور» و«ديپالپور» [2]، ظن [حَسَن خان] أن الدور عَلَيْهِ، وانشغل مِن فرط خوفه بعمارة هَذِهِ القَلْعَة. وكان لدى حَسَن خان رجل معتبر اسمه كرمچند، جاء [عِنْدَمَا كنا] فِي «أَكْرا» ومعنا ابنه [3]، (٣٢٦ب) وقد جاء [هَذِهِ المرة] مِن الور مِن عِنْدَ هَذَا الابن يطلب الأمان. فأرْسَلْنا معه عبد الرحيم شيغاول بمراسيم الوعد [والأمان]، والذي رجع ومعه ناهر خان ابن حَسَن خان، فأَظْهَرْنَا له العناية مرة أخرى، وأحسنا عَلَيْهِ بمقاطعة [ريعها] عدة مئات مِن الألوف.

وكنا نَظُن أن خُسْرو أبلى فِي المَعْرَكَة بلاءٍ حسنًا، فجعلنا له مخصصات مقدراها خمسين مائة ألف، وَعَيَّناه على «الوار». ومن سوءِ حظه تمنع ولم يأخذها. وعرفنا فيما بعد، أن البلاء الحسن كان لچين تيمور سُلْطَان ، فأعطيناة المكافأة، وأنعمنا عَلَيْهِ بمدينة «تجاره» عاصمة «ميوات»، ورفعنا مخصصاته إلى خمسين مائة ألف.

---

(١) منطقة تقع على مَسَافَة ٣٠ ميل شمال شرق الوَر.

(٢) كان هَذَا فِي عام ٩٣٠هـ = ١٥٢٤م.

(٣) يقصد ابن حسن خان الميواتى ويدعى ناهر خان كما سيتضح من النص.

وكان ترديكه مُعد الأكمنة فِي المَيْمَنَة أثناء الحرب مع [رانا] سنكا، هو الأَفْضَل مقارنة بالآخرين، فرفعنا مخصصاته إلى خمس عشرة مائة ألف. وأنعمنا عَلَيْهِ بقلعة الور. وأعطينا هُمايون خزائن «قلعة الور» وما فيها.

وتحركنا مِن هَذَا المكان فِي يَومِ الأربعاءِ غرة رجب[1]، إلى مَسَافَة فَرْسَخَيْن مِن «الور». فذهبتُ إلى قلعة «الوار»، وتفرجتُ عَلَيْها، وأمضيتُ بها تلك الليلة، وفِي اليوم التَّالِي، ذهبتُ إلى مقر الجَيْش.

وكنتُ قبل بضعة أيَّام مِن غزوةِ الكَافِر [راناسَنْكَا] المار ذكرها، قد وعدنا الكبير والصغير، (٣٢٧أ) إنه بعد الفتح سنُرَخص لِكُلِّ مَن يرغب بالذهاب. وكان أكثر اتباع هُمايون يقيمون قرب «بَدَخْشان» أو حولها، وقد استنفدوا طاقتهم فلم يَكُنْ مِن بينهم مَن اشترك فِي حملة استمرت شهر أو شهرين. ولذا سمحنا لهُمايون بالذهاب إلى «كَابُل» حسب وعدنا، وأيضا لأن «كَابُل» كانت خالية [بغير حاكم].

وعلى هَذَا، تحَرَّكْنا مِن «الور» فِي يَومِ الخَميس التاسع مِن شهر رجب. وتقدمنا مَسَافَة أربعة أو خمسة فَرَاسِخ، ونزلنا بضَفّة «نهر مانسني» . وكان مهدي خوجه فِي غاية الاضطراب. فسمحنا له بالذهاب إلى «كَابُل». وأعطينا نيابة[2] «بيَانه» إلى دوست أشيك أغا. وكنا مِن قبل قد أعطينا « أتاوا » إلى مهدي خوجه. وعندما هَرَبَ قطب خان مِن «أتاوا»، أرْسَلْنا إليها جعفر خان بدلا مِن أبيه مهدي خوجه. وبسبب الإذن لهُمايون، فقد توقفنا فِي هَذَا المكان يومين أو ثلاثة. ومِن مكاننا هَذَا، أرْسَلْنا مؤمن على التواچي برسالة الفتح إلى «كَابُل».

وكنتُ قد سمعتُ عن وصفِ العين التي ينبع مِنْها «نهر پيروزپور» ، وعن «بحيرة كوتله »

(١) الموافق ١٣ ابريل ١٥٢٧م.

(٢) جاءت فِي الانجليزية كلمة شقداريليق بمعنى جمع الجُند، وقد أوردتها الترجمة التركية بأنها نعنى، قائمقامية، نيابة أو وكالة أو ولاية، وقد رأينا أنها الأنسب وهو نفس المعنى الذى أورده القاموس الجغتائي لسليمان أفندى البخارى ص ٢٠٢.

الكبيرة. فتركنا الجَيْش فِي هَذَا المكان لنُشَيّع هُمايون، وأيضا للتفرج على هَذَا المكان.

وتحركنا فِي يَومِ الأحد (٣٢٧ب)، وفِي ذَلِكَ اليوم، تفرجنا على «پيروز پور» وعلى منبع مائها، وأكلنا المعجون. وكانت زهور الدَفل[1] في الوادي الذي تجري إليه مياه المنبع قد تفتحت كلها. وهو مكان لا يخلو مِن جمال، لَكِنَّهُ لا يستحق الوصف. وأمرنا بنحت الأحجار، وبناء حوض كبير فِي هَذَا الوادي، فِي المكان الذي يتسع فيه النَّهْر.

وأمضينا الليلة فِي ذَلِكَ الوادي، وفِي اليوم التَّالِي، تفرجتُ على «بحيرة كوتله» وتحوطا سفوح الجِبَال مِن كل جانب، ويصب فيها «نهر مانسنى»، وهي بحيرة كبيرة. ويمكن مِن طرف البحيرة رؤية الطرف الآخر مِنْها، ويتوسطها مَوْضِع مرتفع. وعلى أطراف البحيرة ترسوا الكثير مِن السفن الصغيرة، وهذه يركبها سكان القرى المجاورة للنجاة بأنفسهم عِنْدَ حدوث فوضى أواضطراب. وعند مجيئنا، ركبنا وبعض الرِجَال سفينة خضنا بها داخل البحيرة وتفرجنا عَلَيْها ثُمَّ رجعنا إلى معَسْكَر هُمايون. واسترحنا هُنَاكَ، وبعد الطَّعّام، خلعنا على الميرْزا والأمراء.

وعند صلاة العشاء، ودعنا هُمايون. وتحركنا مِن هُنَاكَ وخلدنا إلى النوم فِي مَوْضِع بالطريق، ثُمَّ تحَرَّكْنَا مع بزوغ الفجر،فاجتزنا مقاطعة «كُهْرِي»، وغفونامرة أخرى،ثُمَّ وصلنا المعَسْكَر فِي توده. وتحركنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا «سونكرا»، وعندها هَرَبَ ناهر خان الميواتي (٣٢٨أ) الذي كان برفقة عبد الرحيم.

تحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وبعد منزل واحد بلغنا نبع الماء عِنْدَ نتوء الجبل الواقع بين «بُساور» وجوسه. فَأَقَمْنَا الخيام، وأكلنا المعجون. وقد وصف تردي بِك خاكسار هَذَا النبع عِنْدَمَا مر الجَيْش مِن هنا [مِن قبل]. لذا جِئْنَا وتفرجنا عَلَيْهِ ونحن على ظهور الخيل، إنه نبع جيد. ولا يُوجَد فِي «الهِنْد» أي مياه جارية. أما الينابيع فنبحث عنها. ونجدها أحيانا يخرج ماؤها رفيعا مثل الخيط، ولا يتدفق مثل ينابيع هَذِهِ النواحي. أما ماء هَذَا النبع، فيكفي [لتشغيل] نصف ساقية

(١) نبت مر زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخروب، ويتخذ للزينة.المعجم الوجيز، ص ٣/٢٣٠.

وينبع ماؤه متدفقا مِن سفح الجبل. وتحيط به المروج فتبدو بديعة. فأمرنا أن ينشئوا فوق النبع حوضا مِن الأحجار المنحوته مُثَمّن الشكل.

وتحت تأثير المعجون الذي تَعَاطَيْنَاه عِنْدَ حافةِ النبع، قائل تردي بِك مزهوا: مادمت أنا مَن دَلَّكم على هَذَا المكان الجميل، فلابد من إطلاق اسمي عَلَيْهِ، وكرر قوله هَذَا. فقال عبد الله: لابد وأن تقول: نبع السُلْطَان الذي دلَّ عَلَيْهِ تردي بِك. وكان قوله هَذَا مثارا للضحك والمداعبة.

ونحن عِنْدَ رأسِ هَذَا النبع، جاء دوست أشيك أغا مِن «بيَانه» والتزم. وتحركنا مِن مكاننا هَذَا (٣٢٨ب) فتفرجتُ على «بيَانه». ثُمَّ توجهتُ إلى «سيكري»، وأقَمْتُ يومين عِنْدَ الحَدِيقَة التي أمرتُ بإنشائها للعناية بها. وفي وقت السحر مِن يومِ الخميسِ الثالثِ والعشرين مِن شهر رجب، جئتُ إلى «أَكْرا».

الاستيلاء على چندوار ورابري واتاوه:

وكما ذكرنا، أثناء هَذهِ الفوضى أصبح المخالفين لنا متصرفين في «چندوار»، و« راپري ». وأرْسَلْنا مُحَمَّد علي جَنْكِچَنْك، وتردي بِك قوج بِك، وعبد الملك كرجي، وحسين خان مع كبار السادة إلى «چندوار»، و« راپري ». فلما صاروا على مقربة مِن «چندوار»، علم أحد رِجَال قطب خان الموجود هُنَاكَ بالأمر فغادرها وهَرَبَ. فاستولوا على «چندوار»، ثُمَّ انتقلوا إلى «راپري». وخرج رِجَال حُسَيْن خان النوحاني لملاقاتهم ومناوشتهم، لكنهم لم يصمدوا، أما رِجَالنا فولوا الأدبار. وركب حُسَيْن خان فيلا، وخاض في الماء مع بضع مِن رِجَاله، فغرقوا في «نهر جون»، وعندما سمع قطب خان بهذا، ترك هو أيضًا «اتاوه»، وهَرَبَ مع عدد مِن رِجَاله. ولأنه سبق وأن وعدنا مهدي خوجه باتاوه، فقد أرْسَلْنا إبنه جعفر خوجه إلى هُنَاكَ.

توزيع بَابُر مُقَاطَعات «الهِنْد» على رِجَاله:

عِنْدَمَا تمرد الكَافِر سَنْكا كما ذكرنا، انقلب عَلَيْنَا أكثر الهنود والأَفْغَان، وأصبحوا متصرفين على كل المقاطعات والولايات. أما السُلْطَان مُحَمَّد دولدي الذي ترك «قَنوج» وجاء، (٣٢٩أ) فقد رفض العودة إليها مرة أخرى إما بسبب خوفه، أو بسبب أنها مسألة تمس شرفه، وعِوضاعن «قَنوج» [التي يبلغ ريعها] ثلاثين مائة ألف أخذ «سرهند» ذات الخمسمائة ألف.

وأنعمنا على مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا بقُنوج ذات الثلاثين مائة ألف. وأعطينا «بدوان» إلى قاسمحُسَيْن سُلْطَان.

التحرك ضد بِبَن:

وأرْسَلْنا مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا ومعه مِن أمراء الترك؛ ملك قاسم بابا قشقة وأخواته الكبار والصغار، والمُغُوْل، وأبو المُحَمَّد نيزه باز، ومؤيد ورِجَال والده، وحسين خان، وكبار السادة، ورِجَال السُلْطَان مُحَمَّد دولدي، ومن أمراء «الهِنْد» على خان الفَرمُلي، وملكْ داد كراني، مُحَمَّد شيخ بكاري، وتاتار خان خان جهان، لينضموا إلى سُلْطَان مِيرْزا، ويتحركوا إلى بِبَن الذي جاء واستولي على «لكنو» أثناء حرب الكَافِر راناسَنْكَا. وأثناء عبور هَذَا الجَيْش «نهر كُنَكْ»، علم بِبَن بالأمر، فترك متاعه وهَرَبَ، فتتبعة جيشنا إلى «خير اباد»، ثُمَّ عاد بعد أن أمضى هُنَاكَ عدة أَيَّام.

وقسمنا الخزينة، وأرجأنا تقسيم الولايات والمقاطعات إلى حين الفراغ مِن غزو هَذَا الكَافِر. وعندما فرغنا مِن أمره، قسمنا الولايات والمقاطعات.(٣٢٩ب) ونظرًا لاقتراب فصل المطر، فقررنا أن يذهب كل واحد إلى مقاطعته، وأن يكونوا على أُهْبَة الاستعداد للتحرك بمجرد انتهاء فصل المطر.

وفِي هَـذِهِ الأثناء، علمنا أن هُمايون ذهب إلى «دِهْلي»، وأخذ عددا مِن خزائنها بغير إذن منا. وكنتُ لا أتوقع مِنْهُ قط مثل هَذَا التصرف، وقد وقع هَذَا الأمر ثقيلًا على نفسي. كتبتُ إليه تنبيهات شديدة اللهجة، وأرسلتها إليه.

إرسال الهدايا إلى الشاهزاده طهماسب:

وفِي يَومِ الخَميسِ الخامسِ عشر مِن شهرِ شعبان، جاء الخوجه كي اسد الذي أرْسَلْناه سفيرا إلى العراق،ومعه سُلَيْمان التُرْكُماني. فأرْسَلْناه معه مرة أخرى بهدايا مناسبة إلى الشاهزاده طهماسب.

كان تردي بِكْ خاكساري قد انصرف عن التصوف وأصبح فارسًا، ولازمنا بضع سنين، ثُمَّ غلب عَلَيْهِ شعور التصوف، وطلب السماح له بذَلِكَ، فإذنا له. وأرْسَلْناه سفيرًا إلى كمران،

وليوصل إليه خزانة مقدارها ثلاثمائة مائة ألف.

وكنتُ قد كتبتُ قطعه عن أولئك الذين ذهبوا في السنة الماضية. وقد أرسلتها مع تردي بك إلى المُلّا علي خان، وهي:

يا مَن عرفتم مِن «الهِنْد» عذابها والألم،(٣٣٠أ)

وعانيتم مِن حرها واشتقتم إلى كابُل وطيب الهواء،

ألم تجدوا فيها سعادة ونعم ومتعة وهناء

فرغم ما عانينا مِن غم وأذي،

وما لقِيَت أنفسنا مِن عناء،

وما أصاب أبداننا مِن بلاء،

فإننا نحمد لله أننا احياء.

الذهاب إلى سِيكْري:

أمضينا شهرَ رمضان هَذَا فِي «حَدِيقَة هَشْت بِهَشْت» .وكنتُ اغتسل لِكُلِّ صلاة تراويح. ومنذ أن كنتُ فِي الواحدة والعشرين، لم أقض عيد الفطر مرتين متعاقبين فِي مكان واحد. وقد تصادف أن قضيتُ عيد الفطر الماضى فِي «أَكْرا»، ولكي لا أخل بهذه القاعدة، ذهبتُ إلى سِيكْري مساء يوم الأحد نهاية الشهر لقضاء العيد بها. وفِي الطرف الشمالي الغربي مِن «حَدِيقَة باغِ فتح» التي أنشأتها فِي «سِيكْري»، أعددنا صُفَّة مِن الحجر وضعنا فوقها خيمة بيضاء. وقضينا العيد هُنَاك، وفِي مساء تَحَرَّكْنا مِن «أَكْرا»، أرْسَلْنا مير على القورجي إلى شاه حَسَن فِي تته. وكان مولعا بلعب الورق، فأرْسَلْناه إليه.

مرض بابُر:

وفِي يَومِ الأحد الخامس مِن شهر ذي القعدة، مرضتُ، واستمر المرض سبعة عشر يومًا. وفِي يَومِ الجمعة الرابع والعشرين مِن نفس الشهر، ذهبنا للتجول فِي «دُولْپُور». وعند المساء، هجعنا فِي منتصف الطريق، (٣٣٠ب) وفِي الصباح، وصلنا إلى سد السُلْطَان سكندر.

وفِي المَوْضِع الذي ينتهي إليه الجبل قريبا مِن جنوب السد، سقطت قطعة مِن الحجارة الحمراء التي تستخدم فِي البناء. فاستدعيتُ الأستاذ شاه مُحَمّد الحجّار، وأمرتُه أن يقيم بناء مِن قطعة واحدة مِن الحجر إن أمكنه هَذَا، وإذا كان ارتفاع الحجر لا يكفي، فليحفروا حوضًا مِن قطعة واحدة مِن الحجر.

وذهبنا مِن إلى «باري» للتفرج عَلَيْهَا. وفِي اليوم التَّالِي، تَحَرَّكْنَا مِن «باري»، واجتزنا الجبل الواقع بين «باري» و«جنبل». ورجعنا بعد أن تفرجنا على نهر جنبل. وفِي هَذِهِ المسافة، رأينا فِي الجبل شجرة أبانوس ويسمون فاكهتها تندو.كان شجر الأبانوس أبيضا، وأكثر الأشجار فِي هَذَا الجبل هي أشجار الأبانوس الأبيض.

وَغَادَرْنَا «باريب»، وبعد أن تجولنا فِي «سِيكري»، جِئْنَا إلى «أَكْرا» فِي يَومِ الأربعاء التاسع والعشرين مِن الشهر.

وفِي تلك الأَيَّام، كانوا يرددون أخبارًا متفرقة عن الشَّيْخ بايزيد، وأرْسَلْنا السُلْطان علي تُرك إلى الشَّيْخ بايزيد وأنظرناه عشرين يومًا.

وفِي يَومِ الجمعة الثاني مِن شهر ذي الحجة، بدأتُ فِي قراءة أحد الأوراد أربعين مرة. وفِي تلك الأَيَّام قلتُ هَذَا البيت:

قل، عينيه، أم حاجبيه، وقوله أم بيَانه،

جسمه أم خديه، وشعره أم خصره.

وقطعته على وزن خمسمائة وأربع. وقد رتبتُ رسالة فيه.

مرض بَابُر للمرة الثانية:

وفِي ذَلِكَ اليوم، مرضتُ (١٣٣١أ) للمرة الثانية. واستمر المرض هَذِهِ المرة تسعة أَيَّام. وفِي يَومِ الأربعاءِ التاسعِ والعشرين مِن شهرِ ذي الحجة، تَحَرَّكْنَا للتفرج على «كول» و«سُنْبُل».

***

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة وأربع وثلاثين[1]

وصلنا «كول» فِي يَومِ الجمعة غُرَّة شهر المُحَرَّم. وكان هُمايون قد ترك درويش على ويوسف فِي سُنْبُل، واجتاز الأنهار، وهزم قطب السَّيْرواني وعددا مِن أتباعه مِن ملوك «الهِنْد» هزيمة منكرة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأرسل عددا مِن رؤوسهم وفيلًا. وقد جاءوا بهم أثناء وجودنا فِي «كول».

وتفرجنا على «كول» مدة يومين، ونزلنا بمنزل الشَّيْخ كورن استجابة لرجائه. وقد أقام المُلَّا مأدبة، وقدم الهدايا. ثُمَّ تحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ فوصلنا «أوترولي».

وفِي يَومِ الأربعاء، عبرنا «نهر كُنَكْ»، وأقمنا فِي قرى «سُنْبُل».ثُمَّ بلغنا «سُنْبُل». يوم الخميس وتفرجنا عَلَيْهَا فِي يَومِيْنِ، ورجعنا فجر يوم السبت.

وفِي يَومِ الأحد، نزلنا بمنزل راوو السَّيْرواني فِي «سكندره». فقدم لنا الطَّعَام وقام بالضيافة. وتحركنا مِن هُنَاكَ قبل الصباح. وفِي الطريق تعللتُ بأمر ما، وانفصلتُ عن الركب وأسرعتُ بمفردي لمسافة فَرْسَخ مِن «أَكْرا». ثُمَّ لحق بي رفاقي فيما بعد. ونزلنا «أَكْرا» وقت الظهر.

مرض بَابُر:

وفِي يَومِ الأحدِ السادسِ عشر مِن شهرِ المحرم، أصابتني سخونة، وبدَأَتْ نوبةُ المرض، واستمرت زهاء خمسة وعشرين أو ستة وعشرين يومًا. وتناولتُ الدواء. وفِي النهاية، تحسنت حالتي. وقد كابدتُ عدم النوم والظمأ. وأثناء مرضي، نظمتُ ثلاث رباعيات أو أربع (٣٣١ب) قلتُ فِي واحدة مِنْها:

تشتد الملاريا فِي جسمي مِن يوم إلى يوم،
فإذا حل المساء، فَرَّ النوم مِن عيني،
وكلاهما مثل ألمي وصبري،

---

(١) يقابل الفترة من ٢٧سبتمبر ١٥٢٧- ١٥سبتمبر ١٥٢٨.

الأول في ازدياد والآخر في نقصان.

وفي يَومِ السبتِ الثامنِ والعشرين مِن شهر صفر، جاءت البيجوم فخرجهان، والبيجوم خديجة سُلْطَان، وتحركت بالسفينة قريبا مِن شمال «سكندراباد» والتزمت هُنَاكَ.

التجربة الأولى لإطلاق المدفع:

وفي يومِ الأحد، أطلق الأستاذ علي قُلي حجرًا بالمدفع الكبير، فانطلق الحجر بعيدًا لكن المدفع صار فتاتا. وسقطت قطعة مِنْهُ على رأس جماعة، فأودت بحياة ثمانية أشخاص.

وفي يَومِ الاثنين السابع مِن شهر ربيع الأول، ذهبتُ إلى « سِيكري» للنزهة. وكانوا قد فرغوا مِن بناء الصُّفَّة ثُمانية الشكل التي ابتنيتها داخل البحيرة. فتوجهتُ إليها بالسفينة، وأقمنا خيمة كبيرة، وأكلنا المعجون.

وبعد نزهة «سيكري»، وفي مساءِ يومِ الأحدِ الرابعِ عشر مِن شهرِ ربيع الأول، تحَرَّكْنَا إلى نواحي «چَنْدِيرِي» عازمين على القِتَال. وتقدمنا مَسَافَة ثلاثة فَرَاسِخ، ثُمَّ نزلنا «جاليسر». وتوقفنا هُنَاكَ مدة يومين لاستكمال استعدادات الجُنْد. ثُمَّ تحَرَّكْنَا يوم الخَمِيس، فوصلنا أنوار. ومن هُنَاكَ، ركبنا السفينة قاصدين «چندوار».

في الطريق إلى چندوار:

طوينا المراحل واحدة تلو الأخرى، فوصلنا مَخَاضَة «كُنار» يوم الاثنين الثامن والعشرين مِن الشهر.

وفي يومِ الخَمِيسِ الثاني والعشرين مِن الشهر، جاوزنا النَّهْر، وتوقفنا هُنَاكَ مدة أربعة أيَّام أو خمسة لحين عبور الجَيْش. (٣٣٢أ) في هَذِهِ الأَيَّام المعدودة، كنا نأكل المعجون في السفينة.

وفي يومِ الجمعة، ركبنا السفينة في «نهر چنْبَل» ، وتجاوزنا مَوْضِع اتصال النَّهْر، وذهبنا إلى المَعَسْكَر.

إرسال الجُنْد ضد الشَّيْخ بايزيد:

والواقع أنه لم يُبد الشَّيْخ بايزيد خروجا صريحا عَلَيْنَا، لكننا تيقنا مِن حركاته وأفعاله أنه

المحرض على العصيان. و[تحسبا] لهذا الأمر، أرْسَلْنا مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك إلى قُنوج ليأتي بمُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا وسلاطين وأمراء تلك النواحي مثل قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وبيخوب سُلْطَان، وملك قاسم، وكوكي، ابو المُحَمَّد نيزه باز، ومَنُوچهر خان وأخواته الكبار والصغار والسادة، وذَلِكَ للتحرك ضد الأَفْغَان المخالفين فِي سروار. وكان هؤلاء سيستدعون بدورهم الشَّيْخ بايزيد. فإذا جاء مخلصا وانضم إليهم، ساروا معًا، وإن أبى فليتصدوا له.

وطلب مُحَمَّد علي عددا مِن الفيلة. فأعطيناه عشرة مِنْها. وبعد الإذن لمُحَمَّد علي [بالذهاب إلى قُنوج]، أمرناه بالذهاب إلى « بابا چهرة » والانضمام إليهم. وجئنا نَحْنُ مِن كُنار بعدد مِن السفن.

وفِي يَومِ الأربعاء الثامن مِن شهر ربيع الأخر، نزلنا على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «كَالْپِي». وهُنَاكَ جاء بابا سُلْطَان بن السُلْطَان خليل الأخ الأَصْغَر الشقيق للسُلْطَان سعيد خان والتزم. وكان قد هَرَبَ فِي العام الماضي مِن إخوته الكبار، (٣٣٢ب) لَكِنَّهُ استشعر الخجل مِن فعلته هَذهِ فرجع مِن عِنْدَ حدَّ «اندرآب»، فلما اقترب مِن «كاشْغَر» وهو فِي طريق العودة، أرسلَ الخان إليه حيدر مِيرْزا لمقابلته والرجوع به مرة أخرى.

وفِي اليَومِ التَّالِي، نزلنا بيت عالِم خان فِي «كَالْپِي». وأعدّ لنا طعامًا على الطريقة الهِنْدية وقدم الهدايا.

وفِي يَومِ الاثنينِ الثالثِ عشر مِن الشهر، تحَرَّكْنا مِن «كَالْپِي» فوصلنا ايرج يوم الجمعة. وفِي يَومِ السبت، وصلنا بايزيد[1].

وفِي يَومِ الأحدِ التاسع عشر مِن الشهر، أرْسَلْنا قبلنا إلى «چَنْدِيرِي» زهاء ستة أو سبعة آلاف رجل بقيادة چين تيمور سُلْطَان. والأمراء الذين ذهبوا للغارة هم باقي مينك بِك، وتردي بِك، وقوچ بِك، وعاشق بكاول، والمُلَّا آپاق ومحسن دولدي، ومن أمراء «الهِنْد» الشَّيْخ كورن.

(١) موضع بين كالبي و چنديري، وقد وردت في الانجليزية باندير.

وفي يَومِ الجمعةِ الرابعِ والعشرين مِن الشهر، نزلنا بالقرب مِن «كَچْوَه». واستملنا أهلها، وأعطيناها إلى ابن بدر الدين[(١)].

وصف كَچْوَه:

«كَچْوَه» مكانٌ مغلق[(٢)]. تحوطها التلال الصغيرة. وهُنَاكَ سد بين الجبلِ فِي جنوبِ شرقِ كَچْوَه. ويحيط بها مِن ثلاثِ جهاتٍ بحيرة كبيرة محيطها حوالي خمسة أو ستة فَرَاسِخ. وهُنَاكَ مرج صغير فِي الشمال الغربي مِنْها. ويقع باب المدينة فِي ذَلِكَ الطرف، وداخل البحيرة قوارب صغيرة يمكن أن يتسع الواحد مِنْها لثلاثة أشخاص أو أربعة. فإذا اضطر النَّاس للفرار، ركبوا هَذهِ ألقُوارب (٣٣٣أ) وانطلقوا بها داخل النَّهْر، وقد أقاموا سدين فِي مَوْضِعين بين الجِبَال حَتَّى «كَچْوَه»، فتكونت بحيرات أصْغَر مِن بحيرة «كَچْوَه».

فِي الطريق إلى چَنْدِيرِي:

لبِثْنا فِي «كَچْوَه» يومًا واحدًا، وكلَّفْنا عددًا مِن الجاوشية ذوِي الجَلَد، والعمال العارفين بتمهيد الأرض، وإزالة الأدغال التي فِي الطريق مِن «كَچْوَه» إلى «چَنْدِيرِي»[(٣)] ليسهل جر العَرَبَات والمدفع بلا مشقة. ثُمَّ تحَرَّكْنا مِن «كَچْوَه»، ونَزَلْنا عِنْدَ نهرِ« بُرهان پور» علَى مَسَافَة ثلاثةِ فَرَاسِخ مِن «چَنْدِيرِي».

ويَقَعُ حصن «چَنْدِيرِي» فوق الجبل بين المدينة والقَلْعَة الخارجية. ويمر الطريق الممهد الذي تقطعه العَرَبَات عِنْدَ سفح القَلْعَة.

وتحَرَّكْنا مِن بُرهان پور، وبسبَبِ العَرَبَات وصلنا إلى مَسَافَة فَرْسَخ أسفل «چَنْدِيرِي». وبعد منزلٍ واحد، نزلنا عِنْدَ رأسِ السد على حافةِ حوض بهجت خان وذَلِكَ فِي يَومِ الثلاثاء

---

(١) أحد أمراء حسين ميرزا.

(٢) جاءت فِي التركية جميل.

(٣) عبارة التي فِي الطريق من كَچْوَه إلى چنديرى غير واردة فِي التركية.

الثامنِ والعشرين مِن الشهر [1]. وتحركنا فِي اليومِ التّالِي، وانتشرنا حول القَلْعَة، ووزعنا [أنفسنا] بين القلب والمَيْمَنَة والمَيْسَرَة.

واختار الأستاذ عليقُلي مكانًا مستويًا فِي إحدي الحدائق لإطلاق الحجارة. وكلفْنا بُناة الاستحكامات والجاوشية بتجهيز المكان لوضع المدفع. وأصدرنا الأوامر لِكُلِّ العَسْكَر بتجهيز الدروع والسلالم اللازمة للاستيلاء على القَلْعَة.

تاريخ چَنْدِيرِي:

كانت «چَنْدِيرِي» مِن قبل (٣٣٣ب) تابعة لسلاطين «منداو». وبعد وفاة السُلْطَان ناصِر الدين أصبح ابنه السُلْطَان محمود والموجود الآن فِي «منداو»، هو المتصرف فِي منداو وتلك النواحي. كما لجأ ابن له يدعي مُحَمَّد شاه إلى السُلْطَان سكندر [اللودي] [2] ليساعده فِي الاستيلاء على «چَنْدِيرِي». فأرسل له السُلْطَان سكندرجندًا كثيرًا، وبسط حمايته عَلَيْهِ.

وبعد السُلْطَان سكندر توفي مُحَمَّد شاه فِي زمن السُلْطَان ابراهيم [اللودي]، وترك ابنًا صغيرًا له يدعي أَحْمَد شاه. فقام السُلْطَان ابراهيم بإبعاد أَحْمَد شاه هَذَا، ووضع مكانه [فِي چَنْدِيرِي] أحد رِجَاله. وعندما جاء راناسَنْكَا إلى «دُولپُور»، وساق الجُنْد ضد [السُلْطَان] ابراهيم [اللودي]، تمرد عَلَيْهِ أمراؤه، فانتقلت «چَنْدِيرِي» إلى يد راناسَنْكَا، وأعطاها بدوره لكافر مِن المعتبرين عنده ويدعي مندني راو.

وكان مندني راو آنذاك فِي قلعة «چَنْدِيرِي» ومعه أربعة أو خمسة آلاف مِن الكُفَّار. وكان تربطه صداقة مع ارايش خان. فأرسَلْنا [إليه] ارايش خان والشَّيْخ كورن بكلمات فيها العناية والشفقة، مع وعد بإعطائه شمس اباد بدلًا مِن «چَنْدِيرِي». وخرج لَهُما واحد أو اثنان من رِجَاله المعتبرين. ولا أعرف هل بسبب عدم الاطمئنان [لوعودنا] أو بسبب ثقتة فِي [متانة] القَلْعَة، لم يأت عرض الصُلْح بنتيجة.

---

(١) الحادى والعشرين من شهر يونيو سنة ١٥٢٨.

(٢) ثانى سلاطين اللوديين بعد بهلول اللودى حكم من ١٤٨٩-١٥١٧م.

فتح قلعه چَنْدِيرِي: في صباح يوم الثلاثاء السادس مِن شهر جمادى الأول، تحَرّكْنا مِن «حوض بهجت خان» بعزم اقتحام قلعة «چَنْدِيرِي». ونزلنا عِنْدَ حافة الحوض الواقع (٣٣٤أ) قريبا مِنَ القَلْعَة. فِي ذَلِكَ الصباح، وأثناء الطريق، جاء خليفة برسالة أو اثنتين، فيها أن الجُنْد المكلفين بپُورَب، تحركوا بلا حساب، وانهزموا، فتركوا «لكنو» ، وجاءوا إلى «قُنوج» . ورأيتُ تردد خليفة وفرط خوفه مِن جراء هَذَا، فقلتُ: لا مجال للتردد والخوف، فلن يكون سوى ما قدره الله. ومادمنا بصدد هَذَا الأمر، فيحسن ألا نفكر فِي أمر آخر سواه. غدا سنهاجم القَلْعَة، ومن بعدها ننظر فيما ينبغي عمله.

كان العدو قد حصَّن القَلْعَة الداخلية، وترك رجلا أو اثنين[1] فِي القَلْعَة الخارجية مِن قبيل الحَيْطَة. فِي ذَلِكَ المساء، دخل جندنا القَلْعَة الخارجية مِن كل طرف، وكان بها عَدَدٌ مَحْدُودٌ مِن رِجَال العدو ولُّوا الأدبار بدون أدنى معركة حقيقة، وانسحبوا على الحِصْن الداخلي.

وفِي صباحِ يومِ الأربعاءِ السابع مِن شهر جمادى الأول، أمرنا الجُنْد ان يتسلحوا، ويلتزموا أماكنهم، ويستعدوا للحرب. وعندما أقرع الطبل وأرفع الراية، يسارعوا بالهجوم مِن مواقعهم. فلما اشتد أوار الحرب، تركتُ الطبل والبيرق، وذهبتُ بنفسي لأري إطلاق الأستاذ عليقُلي [المدفع] الحجارة. وقد أطلق ثلاث أو أربع قذائف لم تؤثر فِي جِدَار القَلْعَة.

ولأن مَوْضِع الإطلاق غير مَكِين، وجِدَار القَلْعَة (٣٣٤ب) منيع، ومبني مِن الحجارة، لذا لم تؤثر فيه [قذائف المدفع]. وكما ذكرنا، فإن مَنَعَه «چَنْدِيرِي» سببها وقوعها فوق الجبل. وقد شقوا فِي أحد جوانبها طريقًا يؤدى إلى النَّهْر يحفه جِدَاران أسفل الجبل. فأصبنا قوات المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والفرق الخاصة هُنَاكَ. وشددّنا الوطأة عَلَيْهِ أكثر دون اكتراث بالحجارة والنيران التي يلقيها الكُفَّار مِن أعلى. وفِي النهاية، تسلق شاهيم يوز بِك، مَوْضِع اتصال جدران الطريق المؤدي إلى النَّهْر بجِدَار شالقَلْعَة الخارجية، كما تنسلق الفتية مِن مَوْضِعين أو

(١) جاءت فِي الانجليزية اثنين أو ثلاثة.

ثلاثة مِن مواضع أخرى. ولاذ الكُفّار الذين فِي طريق النَّهر بالفرار. فاستولينا على المكان. ولم يقاتل مَن فِي القَلْعَة قتالا يُذكر، ولاذوا أيضا بالفرار. وتسلق جمع مِن رجَالنا [الجِدَار] وصعدوا إلى القَلْعَة الخارجية. وما هي إلا فترة وجيزة، إلا وخرج الكُفّار وهم مجردون وبدأوا فِي القِتال، ودفعوا الكثير مِن الجُند إلى الفرار، والقفز مِنْ فَوْقِ الجِدَار. وضربوا الكثير منهم وقتلوهم.

وكان سبب تخليهم بسرعة عن الحائط، أنهم تيقنوا أن المهزومين سيقتلون وتذبح نساءهم فوضعوا الموت نصب أعينهم وبرزوا للقتال وهم مجردون. وفِي النهاية، شدد رِجَالنا الهجوم مِن كل جانب، (٣٣٥أ) ودفعوهم للقفز مِنْ فَوْقِ الجِدَار. ودخل مائتان أو ثلاثة مائه [منهم] إلى مأوى الكَافِر مندني راو. وأجهزوا على بعضهم بعضا؛فيأخذ أحدهم سيفًا، ويمد الآخرون أعناقهم بمحض اختيارهم واحدًا تلو الآخر. وهكذا ذهب أكثرهم إلى الجحيم.

وبعناية الله، فتحنا فِي غارتين أو ثلاث غارات قلعة مشهورة كهذه بدون أنه نستخدم الطبل أو الراية. بل وبدون أن تدور معركة حقيقية.

ومن جماجم الكُفّار أقمْنَا منارة فوق الجبل فِي الشمال الغربي مِن «چَنْدِيرِي»، وقد وضعنا جملة فُتِح دار الحرب لتكون تاريخًا لهذا الفتح، وربطته على هَذَا النحو:

غصّت چَنْدِيرِي بالكُفّار زمانا،

وصارت ميدانًا للحرب والضرب،

وفتحتُ قلعتها قتالا،

وأصبح تاريخها فُتح دار الحرب.

وصف چَنْدِيرِي:

تقع «چَنْدِيرِي» فِي ولايةٍ جميلة. تحُفُّها الكثير مِن المياه الجارية. وقلعتها أعلى الجبل. بداخلها ثلاثة أحواض كبيرة منحوتة مِن الحجارة، مِنْها حوض كبير فِي طريق النَّهر الذي سيطرنا عَلَيْهِ عِنْدَ تشديد الهجوم على القَلْعَة. وكل بيوت الشريف والوضيع مِن [أهلها] كلها مِن الحجارة. غير أن بيوت الكبار [مشيدة] مِن الحجارة المنحوته بإتقان. أما بيوت العامة فمن الحجارة غير

المنحوته. وتكسوها بأحجار مستوية وعريضة بدلا مِن القرميد. (٣٣٥ب) ويُوجَد أمام القَلْعَة ثلاثة أحواض كبيرة، وكان الحكام القدامي يقيمون السدود فِي أطرافِها وجوانبها، وينشئون الأحواض فِي الأماكن المرتفعة.ويجري «نهر بيتوي» على مَسافَة ثلاثة فَرَاسِخ مِن «چَنْدِيرِي»، وهو نهر صغير مشهور ماؤه عذب فرات، فِي وسطه صخور متفرقة تصلح لأعمال البناء. والطريق مِن «أَكْرا» إلى جنوب «چَنْدِيرِي» حوالي تسعين فَرْسَخا. وارتفاع [مدار] الجدي خمس وعشرين درجة.

وفِي اليومِ التَّالِي الخميس، تحَرَّكْنَا مِن عِنْدَ القَلْعَة، ووصلنا إلى حافةِ «حوض ملو خان».

وجئناإلى هنا بعد فتح «چَنْدِيرِي» عازمين على السَّيْر إلى «رايسنك»، و«بهلسان»، و«سارنكپور»، وهي ولايات الكُفَّار، وتتبع الكَافِر صلاح الدين. وبعدها نتوجه إلى «چيتور» لمهاجمة راناسَنْكَا. وعندما تلقينا هَذهِ الأخبار المثيرة للقلق، استدعينا الأُمَرَاء، وبعد المشورة، رأينا أن التحرك لدفع فتنة وفساد المفسدين ومثيري الفتن أنسب وأولى. وكانت «چَنْدِيرِي» فِي يد حفيد السُلْطَان ناصِر الدين، ثُمَّ أعطيت إلى أَحْمَد شاه المار ذكره. فاتخذتها خاصةً [سُلْطَانية] وريعها خمسين مائة الف، وجعلتُ نيابتها فِي عُهدة المُلّا آپاق، وتركنا ثلاثة آلاف مِن الترك والهنود ليكونوا عونا لأحمد شاه.

(٣٣٦أ) وفِي يومِ الأحدِ الحادِي عشر مِن شهر جمادى الأول، قررنا العودة. وتحركنا مِن حوض ملو خان. ونزلنا بضَفَّة «نهر برهانپور». وأرسَلْنا يكه خوجه، وجعفر خوجه مِن «باندير» إلى «يكشنبهي » ليحضرا السفن مِن «كَالْپِي» إلى مَخَاضَة كُنار.

وفِي يومِ السبتِ الرابع والعشرين مِن الشهر، نزلنا مَخَاضَة« كُنار»، وأمرنا الجُنْد بالبدء فِي تجاوز النَّهْر. وفِي هَذهِ الأَيَّام جاءنا خبر أن مَن ذهبوا للغارة تركوا «قُنوج»، وجاءوا إلى «رابري». وأن ابو المُحَمَّد نيزه باز أغلق «قلعة شمس آباد» ، لكن قوات كبيرة [مِن العدو] جاءت واقتحمت القَلْعَة واستولت عَلَيْها.

وتوقفنا ثلاثة أَيَّام أو أربعة على جانبي النَّهْر حَتَّى ينتهي الجُنْد مِن عبوره. ثُمَّ تقدمنا مِن

منزل إلى آخر قاصدين «قُنوج» ، وأرْسَلْنا فتية الغارة أمامنا لتقصي أخبار العدو. وقبل قنوج بمنزل أو أثنين، علموا أن ابن معروف عِنْدَمَا رأي «سواد» المتجهين إليه هَرَبَ مِن «قُنوج» . وعلم بِبَن، وبايزيد، ومعروف بأمرنا، فجاوزوا «كُنَك» ، وأقاموا أمام «قُنوج» فِي الجَانِبِ الشرقي مِن «كُنَك» بهدف السيطرة على مَخَاضَة [النَّهْر].

وفِي يَومِ الأربعاءِ السادسِ مِن شهرِ جمادى الآخر، اجتزنا «قُنوج» ، ونزلنا الضفة الغربية مِن «كُنَك» . وذهب فتياننا (٣٣٦ب) وهاجموا عددا مِن سفن العدو واستولوا عَلَيْهَا.[واتجهوا إلى] أسفل وأعلى [نهر كُنَك]، وأحضروا زهاء ثلاثين أو أربعين سفينة كبيرة وصغيرة.

إقامة جسر على نهر كُنَك:

وأرْسَلْنا مير مُحَمَّد جاله بان لاختيار مَوْضِع مناسب وإعداد ما يلزم لإقامة جسرٍ. فاختار مَوْضِعا على مَسَافَة فَرْسَخ جنوب موقع الجَيْش، وجعلنا جاوشية أكفاء [لمساعدته].

ووضع الأستاذ عليقُلي المدفع قريبا مِن متكأ الجسر، واختار مكانًا لقذف الحجارة وانشغل بإطلاقها. ونقل مصطفي الرومي عربات المدفع إلى إحدي الجزر فِي الجنوب قليلًا مِن المكان الذي سيرتكز عَلَيْهِ الجسر، وبدأ فِي إطلاق المدفع مِن هُنَاكَ. وفِي الطرف العلوي مِن الجسر، أَقَمْنَا ساترا، انجز مِنْ فَوْقِه رُماة البنادق طلقات نارية صائبة.

وجاوز ملك قاسم مُغُول وفتية آخرون النَّهْر بالسفينة مرة أو مرتين، واشتبكوا مع عدد محدود مِن رِجَال [العدو]. وذات ليلة عبر بابا سُلْطَان درويش بالسفينة باندفاع وبغير روية ومعه زهاء عشرة أو خمسة عشر رجلًا، لكنهم رجعوا بدون قتال أو انجاز، فأنحينا عَلَيْهِم باللائمة. وفِي النهاية، تحمس ملك قاسم وهاجم [العدو] بعدد محدود مِن الرِجَال، وأحاط بمَعَسْكَره، لكن انقض عَلَيْهِم عدد كبير مِن رِجَال العدو ومعهم فيلَهُم فولوا هاربين. وركبوا السفينة، وقبل أن تتحرك، (٣٣٧أ) لحق الفيل بالسفينة وأغرقها، وقد توفي ملك قاسم فِي هَذَا القِتَال.

وخلال الأَيَّام التي انتظرنا فيها لحين إقامة الجسر، أطلق الأستاذ عليقُلي عددا كبيرا مِن

القذائف الصائبة، فأطلق فِي اليوم الأول ثمان قذائف، وفِي اليومِ الثاني ست عشرة قذيفة مِن الحجارة واستمر على هَذَا النحو لمدة ثلاثة أو أربعة أيّام. فكان يطلق هَذهِ الحجارة بمدفع اسميناه الغازي لكونه المدفع الذي قذف الحجارة على الكَافِر [رانا] سنكا فِي حربنا معه.كما قام الأستاذ عليقُلي بصب مدفع [آخر] أكبر مِنْهُ بعض الشيء. وكان هَذَا المدفع يقذف الحجارة وقد انكسر فيما بعد. وأطلق رُماة البنادق الرصاص على كثير مِن الرِجَال والخيول. وتناثرت على الأرض أشلاء أغلب الفارين والعمال والخيول أيضا.

وعندما تحَرَّكْنَا يوم الأربعاء التاسع عشر مِن شهر جمادى الآخر، جِئْنَا إلى الجسر، وقد أوشكوا على انتهاء مِن ربطه. وكان الأَفْغَان يسخرون ويستبعدون تمكننا مِن إقامة الجسر.

وفِي يَومِ الخميس، أصبح الجسر جاهزًا، فعبرته مجموعة صغيرة مِن المشاة وأهل «لاهور» إلى الجانب الآخر، وجرت مناوشة محدودة.

وفِي يَومِ الجمعة، عَبَر فوج مِن [جُنُود] القلب الخاصة [الجسر] مشيا على الأقدام وكذا رُماة البنادق فِي المَيْمَنَة والمَيْسَرَة. فجاء الأَفْغَان بأفيالَهُم وقد تسلحوا كلَهُم وهاجمِوهم. فلاذ عدد مِن رِجَال المَيْسَرَة بالفرار، بَيْنَما ثبت رِجَال القلب والمَيْمَنَة فِي أماكنهم، وقاتلوا حَتَّى انسحب الأَفْغَان (٣٣٧ب). وانفصل اثنان مِن رِجَال العدو عنه وأعادا الهجوم. فأصاب [رِجَالنا] أحدهما وأمسكوا به فِي التَوّ، وأصابوا الآخر وجواده فِي أكثر مِن مَوْضِع، فولى هاربا بجواده، ووقع على الأرض بين قومه. وفِي ذَلِكَ اليوم، أتوا بسبعة أو ثمانية مِن رؤوس [قتلي العدو]، وأُصيب كثير مِن رِجَاله بجروح مِن جراء السهام والرصاص. واستمر القِتَال إلى ما بعد العصر.

وفِي المساء، عاد كل مَن عبروا الجسر. ولو أن كل الرجَال عبروه مساء تلك الجمعة لأمكن أسر أغلب رِجَال العدو. لكنا تذكرنا أننا تحَرَّكْنَا مِن سِيكْري لمناجزة [رانا] سنكا فِي يَومِ النيروز العام الماضي وكان يوم الثلاثاء، فظَهَرنا عَلَيْهِ يوم السبت.

ويوم النيروز هَذهِ السنة يوافق يوم الخميس، وها نَحْنُ نتحرك لقتال عدونا هَذَا. فإذا ظهرنا عَلَيْهِ يوم الأحد، فسيكون هَذَا مِن الوقائع الغريبة.

وفِي يَـومِ السبت، جَاوَزَت العَرَبَات [الجسر]. ولم يعبر الرِجَال أو يتقدموا للقتال، بل وقفوا بعيدا على أهبة الاستعداد.

وفِي وقتِ السَّحَر، أصدرتُ الأوامر بعبور الجُنْد. وما أن بدأنا دق الطبول، حَتَّى أبلغنا جند المُقَدِّمَة أن العدو ولَّى هاربا. فأصدرتُ الأوامر إلى چين تيمور سُلْطَان بالخروج بالجند وتعقب العدو. وكلفنا رِجَال مُحَمَّد علي جَنْكِچَنْك. وحسام الدين على خليفة، ومحب على خليفة، وكوكي بابا قشقة (٣٣٨أ) ودوست مُحَمَّد بابا قشقة، وباقي التاشْكَنْدي وولي قيزيل بالخروج معه وإطاعة أوامره.

وفِي وقتِ السُّنه، عبرتُ الجسر، وأصدرتُ الأمر أن تجتاز الإبل المَخَاضَة الواقعة فِي الجنوب قليلا. وفِي ذَلِكَ اليوم وهو يوم الأحد، نزلنا بضَفَّة « قراسو » على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «بنكر ماوو» . ولم يتحرك المكلفون بتعقب [العدو] بالشكل المناسب. ونزلوا فِي «بنكر ماوو».

وتحركنا مِن هُنَاكَ وقت الظهر مِن ذَلِكَ اليوم. وفِي اليوم التَّالِي، نزلنا بشاطئالبحيرة الواقعة أمام «بنكر ماوو». وفِي ذَلِكَ اليوم جاء توختته بوغه سُلْطَان، ابن خالي الخان الصغير [1] والتزم.

وفِي يَومِ السبتِ التاسع والعشرين مِن شهرِ جمادى الآخر، تفرجنا على« لكنو»، واجتزنا «نهر كوي سو» ونزلنا. وفِي ذَلِكَ اليوم، اغتسلتُ فِي «نهر كوي سو». ولا أعرف هل دخل الماء أذني أم أصابتني برودة، فقد أصبحتُ لا أسمع بأذني اليمنى. لكنى برئتُ مما أصابها بعد بضعة أَيَّام. ونحن على مَسَافَة منزلٍ أو اثنين مِن «أود»، جاء رجلٌ مِن عِنْدَ چين تيمور سُلْطَان، وأبلغنا أن العدو يقيم بالجانب الآخر مِن «نهر سَرْو»، وطلب المساعدة. فأرْسَلْنا لنجدته زهاء ألف فتى مِن قوات القلب بقيادة قرا جه.

وفِي يَومِ السبتِ السابع مِن شهر رجب، نزلتُ على مَسَافَة فَرْسَخَيْن أو ثلاثة فَرَاسِخ أعلى «أود». عِنْدَ مَوْضِع اتصال [نهر] «ككَر» و[نهر] «سرو» [2].(٣٣٨ب)

---

(١) أحْمَد خان خال بابر.

(٢) جاءت فِي الانجليزية سرد.

محاربة الشَّيْخ بايزيد عِنْدَ أود:

كان الشَّيْخ بايزيد حَتَّى ذَلِكَ اليوم فِي الطرف الآخر مِن «سرو»[1] قُبَالَة «أود»، فأرسل رسالة إلى [چين تيمور] سُلْطَان للتفاهم معه. وأثناء تدبر الأمر علم السُلْطَان بحيلته، فأرسل رجلا إلى قرا جه وقت الظهر، وقرر عبور النَّهْر. ولحق قرا جه بالسُلْطَان [چين تيمور]، وعبرا النَّهْر مِن فورهما. وكان فرسان العدو البالغ عددهم زهاء خمسين [فارسا] معهم ثلاثة أفيال أو أربعة، يفرون بغير قتال. فقبضا على عدد منهم، وقطعا رؤوسهم وأرسلوها. وكانت محمة بيخوب سُلْطَان وتردي بِك وبابا چهره، وقوج بِك وباقي شيغاول، أن يعبروا بعد السُلْطَان. وظل الذين عبروه أولا يتعقبون الشَّيْخ بايزيد حَتَّى صلاة العشاء.ودخل بايزيد أحد الأدغال، فكُتبت له النجاة.

وفِي المساء، نزل چين تيمور سُلْطَان بضَفَّة «قراسو»، وفِي منتصف الليل واصل التحرك فِي أعقاب العدو، وقطع طريقا بطول أربعين فَرْسَخا، حَتَّى وصل إلى موطن عائله [الشَّيْخ بايزيد] وعشيرته. ومن هُنَاكَ أرسلَ المهاجمين إلى كل صوْبٍ وحَدَبٍ. وذهب باقي شيغاول وعدد مِن المقاتلين فِي أعقاب العدو، ووصل إلى أهلِهِ وعشيرتِهِ وجاء بعدد مِن الأَفْغَان.

وتوقفنا فِي هَذَا المكان بضعة أَيَّام لتحقيق الضبط والربط فِي «أود» وهذه الأنحية. وقالوا: هُنَاكَ مَوْضِع جيد على مَسَافَة ستة أو سبعة فَرَاسِخ شمال «أود» على ساحل بحر سرو، فأرسلتُ مير مُحَمَّد جاله بان إلى هُنَاكَ. ورجع بعد أن رأى مَخَاضَة «نهر سَرْو» و«نهر ككر». (٣٣٩أ)

وفِي يَومِ الخميس الثامن عشر مِن الشهر، خَرَجْتُ للصيد.

***

(١) جاءت فِي الانجليزية سرد.

وقائعُ سنةِ تسعمائة وخمس وثلاثين[1]

فِي يَومِ الجمعةِ الثالثِ مِن شهرِ المحرم، جاء عَسْكَري [مِيرْزا] إلى حيث مكان راحتى الخاص والتزم، وكنتُ قد استدعيته قبيل حملة «چَنْدِيرِي» مِن أَجْلِ أمر «مُلْتان».

وفِي اليومِ التَّالِي، جاء المؤرخ خواندامير، ومولانا شهاب معمائي، ومير ابراهيم قانوني قريب يونس على وكانوا قد غادروا «هَرَاة» مُنْذُ أمدٍ، فجاءوا والتزموا.

وفِي يَومِ الأحدِ الخامسِ مِن الشهر، جاوزتُ «جون» وقتَ صلاةِ العصر أنشد التفرج على «كواليار»، ويكتبونها كاليور، فدخلتُ قلعة «أَكْرا» لوداع البيجوم فخرجهان، والبيجوم خديجة سُلْطَان، وكانتا قد عزمتا على الذهاب إلى «كَابُل» خلال يومين أو ثلاثة، وتمنيتُ لَهُما رحلة طيبة ثُمَّ غادرتُ. والتمس مُحَمَّد زمان مِيرْزا الإذن وبقى فِي «أَكْرا». وفِي تلك الليلة، قطعنا مِن الطريق ثلاثة أو أربعة فَرَاسِخ، ونزلنا بحافة بحيرة، وهجعنا عندها.

تعمير دُولْپُور:

وتحركنا قبيل صلاة [الصبح]. وتناولنا طعامنا على ضَفَّةِ «نهر كمبير»، ثُمَّ غادرنا قبل صلاة الظهر. وأثناء الطريق، خلطنا الدواء الذي أعده المُلَّا رفيع على هيئة سفوف[2] بطحين القمح حَتَّى يتحسين مذاقه، وشربتُه. وكان طعمه كريها جدا وسيئ المذاق. وعقب صلاة العصر، وصلتُ إلى الحَدِيقَة والعمارة (٣٣٩ب) اللتين سبق وأمرتُ بإنشائها على مَسَافَة فَرْسَخ غرب «دُولْپُور».

وتقع هَذهِ الحَدِيقَة والعمارة عِنْدَ مخرج جبل. ولأن هَذَا الطرف عبارة عن قطعة واحدة مِن حجر البناء الأحمر، فقد أمرتُ بالحفر حَتَّى سفح الجبل لاستخراج قطعة حجر كبيرة تكفي لإقامة مبنى مِن قطعة واحدة، وإذا لم يمكن إستخراج قطعة كبيرة تصلح لهذ، فليحفروا فِي الجزء المستوي مِن الحجر حوضًا مِن قطعة واحدة. غير أنه لم يمكن استخراج قطعة حجر كبيرة

(١) تقابل الفترة من ١٥ سبتمبر ١٥٢٨ إلى ٥ سبتمبر ١٥٢٩م.

(٢) السفوف كل دواء يابس غير معجون، المعجم الوجيز ١/٣١٣.

وحسب أمرنا، أعدَّ الأستاذ شاه مُحَمَّد الحجَّار رسما لحوض بالقدر الذي يسمح بعمل مبنى. وأمرنا أن يَعْمَل الحجَّارين بجِدٍ لإنجاز هَذَا ثمانيَّ الشكل على هَذَا الحجر الذي استخرجوه. وأمرنا أن يَعْمَل الحجَّارين بجِدٍ لإنجاز هَذَا العمل على وجه السرعة.

وتنمو أشجارُ الكرزِ الهِنْدي والعنب، وغيرها مِن الأشجارِ مختلفة الأنواع كثيفة فِي الطرف الشمالي مِن مَوْضِع إنشاء الحوض، وأمرنا بعمل بئر ماء بين هَذهِ الأشجار ليذهب ماؤه إلى الحوض. وكادوا أن ينتهوا مِنهُ. وفِي جهة الشمال الغربي مِن الحوض، أقام السُلْطَان سكندر سدًا يعلوه بناء، فيتجمع الماء فِي فصل المطر فِي الطرف العلوي مِن السَّد، فيكوّن بحيرة كبيرة. والأطراف الشرقية لهذه البحيرة ذات حدائق، (١٣٤٠أ) كما أمرتُ بعمل مقاعد مِن قطعة واحدة مِن الحجر فِي هَذَا الجانب مِن البحيرة. وإنشاء مسجد فِي الجانِبِ الغربي.

وأمضينا يومى الثلاثاء والأربعاء فِي «دُولْبُور» لإنجازِ هَذَا العمل.

وتحركنا يوم الخميس، فجاوزنا نهر چَنْبَل، وصلَّينا الظهر على شاطئه، ثُمَّ تحَرَّكْنَا بين الصلاتين. فجاوزنا نهر كواري بين المغرب والعشاء، وأمضينا الليلة. وكانت المياه مرتفعة بسبب الأمطار، فعبرته الخيل طافية، وعبرنا نَحْنُ بالسفينة.

وتحركنا مِن هُنَاكَ فِي اليوم التَّالِي وكان يوم الجمعة الموافق يوم عاشوراء. و تناولنا طعام الغداء فِي قرية على الطريق. وفِي وقت صلاة العشاء، وصلنا حَدِيقَة چارباغ التي أمرتُ بإنشائها فِي السنة الماضية على مَسَافَة فَرْسَخ شمال «كواليار». ونزلتُ مِن هُنَاكَ.

دخول بَابُر كواليار: ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨-١٥٢٩م

وفِي اليوم التَّالِي تحَرَّكْنَا بعد الظهر، وتجولتُ على التلال الواقعة شمال «كواليار»، ثُمَّ دخلتُ مِن بوابتها المسماه هاتي پول الملاصقة لقصر الراجه[1] مان سنك[2]. وعند صلاة العصر، جئتُ إلى قصرِ الراجه بكر ماجيت الذي كان يقيم به رحيم داد.

---

(١) لقب الملوك المحليين فِي الهِنْد ومنها ماهراجا وتعنى الملك الكبير.
(٢) حاكم كواليار.

إصابة بَابُر بألم فِي أذنه:

وفِي تلك الليلة، تناولتُ الأفيون بسبب ضيقٍ أصابني مِن أذنيّ، كما كان ضوء القمر سببا فِي هَذَا الضيق. وفِي اليوم التَّالِي، سبب لي الأفيون اضطرابًا كبيرًا، وقد تقيأتُ كثيرًا

مِن آثار الهِنْد:

ورغم هَذهِ المتاعب، طوَّفتُ بكلعمائر مان سنك وبكر ماجيت. وتفرجتُ عَلَيْها. (٣٤٠ب) وهي عمائر غريبة منفصلة عن بعضها وغير متناسبة، وكل العمائر مقامة مِن الحجر المنحوت. وعمائر مان سنك أجمل وأعلى مِن عمائر كل ملوك «الهِنْد». وقد أظهروا اهتماما كبيرا بالضلع الشرقي لعمارة مان سنك مقارنة ببقية الأضلاع. وارتفاعه يناهز أربعين أو خمسين ذراعا وكله مِن الأحجار المنحوته. وواجهتة مكسوة بالجص. وبعض مواضع العمارة مكون مِن أربعة طوابق. الطابقان السفليان معتمان تماما. وبعد أن توقفنا لفترة تبدد [إحساسنا] بالعتمة قليلا، فتجولنا فيهما على ضوء الشموع. ويعلوكل ضلع مِن أضلاع هَذَا القصر خمس قباب، بينها قباب صغيرة رباعية الحواف على النسق الهِنْدي. هَذهِ القباب الخمسة الكبيرة، مغطاة بطبقات مِن الذهب والنحاس، والجزء الخارجي مِن الجدران مغطي بالخزف الأخضر. وقد رسموا أشجار الموز على كل أطرافه بالصيني الأخضر. وفِي البرج الواقع فِي الضلع الشرقي تقع [بوابة] هاتي پول. فهم يُطْلِقُون على الفيل اسم هاتي، وعلى الباب اسم پُول. وقد وضعوا عِنْدَ مخرج هَذَا الباب مجسم فيل، وعلى ظهره اثنان مِن سائقى الأفيال؛ وهو كالفيل تمامًا، فقد جعلوه يشبهه إلى حد كبير. ولهذا يُطْلِقُون عَلَيْهِ اسم [أي بوابة الفيل]، (٣٤١أ) وفِي الطابق السفلي مِن هَذَا القصر ذي الأربعة طوابق نافذة تطل على الناحية التي بها مجَسَّم الفيل. حيث يرى مِنْها الفيل قريبًا. والطابق العلوي تعلوه القباب السابق ذكرها. أما الطابق الثاني فيضم قاعات الجلوس. وهذه القاعات أيضًا تقع فِي أماكن عميقة. وقد أنشئت على النسق الهِنْدي وهي أماكن قليلة الهواء.

وتقع عمائر بكر ماجيت ابن مان سنك فِي منتصف الجانب الشمالي مِنَ القَلْعَة. وهي لَيْسَت كعمائر والده. والقبة الكبيرة التي أقامها بالغة العتمة، ولكن يتبدد [الإحساس] بالعتمة بعض

الشيء بعد فترة. وتحت هَذهِ القبة الكبيرة يُوجَد مبنى أَصْغَر مِنْها قليلًا. لا يدخله الضوء مطلقًا مِن أي جانب. وفوق هَذهِ القبة الكبيرة، إبتنى رحيم داد جوسقا صغيرا بعض الشئ. وقد أقام رحيم داد فِي عمائر بكر ماجيت. ويخرج مِن عمائر بكر ماجيت هَذهِ طريق يؤدي إلى عمائر والده. وهو طريق جيد لا يظهر مِن الخارج، ولا يطل مِن الداخل على أي مكان، ويتسلل الضوء مِن بعض مواضعه.

تفرجنا على هَذهِ العمائر، ودخلنا المدرسة التي أقامها رحيم داد. وتفرجنا على الحَدِيقَة التي أنشأها رحيم داد على حافة الحوض الكبير فِي الطرف الجَنُوبِيّ مِنَ القَلْعَة. (٣٤١ب) ورجعنا فِي وقت متأخر إلى «چارباغ»حيث المعَسْكَر.

وقد غُرستُ فِي هَذهِ الحَدِيقَة زهورا كَثِيرَة، وتكثر فيها زهور الدفل الحمراء اللامعة، وهي فِي هَذهِ النواحي بلون أزهار الخوخ، أما زهور الدفل فِي «كواليار» فلونها أحمر قانى، وقد أخذتُ مِن «كواليار» بعضا مِن هَذهِ الزهور، وغرستها فِي حدائق «أَكْرا».

وجنوب هَذهِ الحَدِيقَة بحيرة كبيرة. تتجمع فيها المياه فِي فصل المطر، وغرب البحيرة معبد للأصنام. وقد بنى السُلْطَان شمس الدين ايلتمش [1] مسجدا جامعًا كبيرًا بجوار هَذَا المعبد، والمعبد مرتفع جدًا، ولا يعلوه بناء فِي القَلْعَة. ويبدو هَذَا المعبد وقلعة «كواليار» واضحان تمامًا مِن جبل «دُولْپُور» ويقولون: إن أحجار هَذَا المعبد جلبت كلها مِن هَذهِ البحيرة الكبيرة، وقد أقاموا فِي هَذهِ الحَدِيقَة جوسقا مِن الخشب منخفضًا بعض الشيء وغير متناسق الشكل، وعند باب الحَدِيقَة عملوا إيوانات على النسق الهِنْدي تخلو مِن الذوق.

وصف ادوا:

وفي ظُهرِ اليوم التَالِي، خرجنا للتجول فِي الأماكِنِ التي لم نشاهدها مِن «كواليار»، وتفرجنا على عمائر بادل كر خارج قلعة مان سينك. فدخلنا مِن بوابة هاتي پول. وذهبنا إلى المكان المسمي ادوا. وهذا المكان عبارة عن وادٍ فِي الطرف الغربي مِنَ القَلْعَة. ورغم أن موقعه

(١) شمس الدين ايلتمش الغورى المتوفي عام ١٢٠٦م.

خارج الحاجز المقام فوق الجبل، فإنهم شيدوا عِنْدَ مدخله جدرانًا عالية فِي مستويين. ويصل ارتفاع هَذَا الحاجز زهاء ثلاثين أو أربعين ذراعا. والجِدَار الداخلي أطول قليلًا، (٣٤٢أ) ويتصل بجِدَار القَلْعَة الكائنة عِنْدَ طرف الوادي. ويتصل بمنتصف هَذَا الجِدَار جِدَار ثالث منحنٍ قليلا وأقصر مِنْهُ وغير تام، أقاموه لحجز الماء. وفِي هَذَا الجِدَار، خزانا يتصل بالماء بمَدْرَج ذى عشر أو خمسة عشر درجة. وقد حفروا اسم السُلْطَان شمس الدين ايلتمش على حجر فوق الباب المؤدي إلى حائط الخزان. وتاريخه هو [سنة]٦٣٠[هـ] [(١)]. وعند سفح هَذَا الجِدَار الخارجي للقلعة بحيرة كبيرة. وغالبا إنها بحيرة لاينقص ماؤها. فماؤها يتدفق إلى حاجز الماء. وتوجد بحيرتان كبيرتان أخرتان داخل [وادي] ادوا هَذَا. وأهل القَلْعَة يفضلون ماء هَذهِ البحيرة على أي ماء آخر.

قيام بَابُر بتحطيم التماثيل العارية فِي ادوا:

ويحيط ادوا مِن ثلاثِ جهاتٍ جبلٌ واحدٌ أحجارُه لَيْسَت بحُمرة أحجار «بَيَانه»، وتبدو باهتة مقارنة بها. وقد نحتوا الأحجار الضخمة التي فِي أطرافِ ادوا، وصنعوا مِنْها مجسمات كبيرة وصغيرة. وفِي الطرف الجَنُوبِيّ مِنْها مجسم كبير يصل ارتفاعه تقريبًا إلى عشرين ذراع، وكل هَذهِ المجسمات عارية. ومواضع العورة مِنْها مكشوفة. وعلى أطراف هاتين البحيرتين الكَبيرتين فِي ادوا حفرنا عشرين أو خمسة وعشرين بئرًا. ومن مياه هَذهِ الآبار زرعنا الخضروات، وغرسنا الزهور والأشجار. وادوا مكان مقبول، ويعيبه وجود المجسمات حوله. فأمرتُ بهدم هَذهِ المجسمات.

ورجعتُ مِن ادوا إلى القَلْعَة، وتفرجتُ على بوابة سُلْطَان پول، وكانت سغلقة مُنْذُ زمن الكُفَّار. وجئتُ فِي المساء إلى الحَدِيقَة التي أمر رحيم داد بإنشائها، وأمضيتُ ليلتى هُنَاكَ.

وفِي يَومِ الثلاثاءِ الرابعِ عشر مِن الشهر، جاء رِجَال مِن عِنْدَ بكر ماجيت الموجود فِي قلعةِ رنتنپور مع أمه پدماوتي وهو الابن الثاني لراناسَنْگا. وقبل الخروج للتجول فِي «كواليار»، جاء رجل هندوسي معتبر مِن رِجَال بكر ماجيت اسمه اسوك، وأظهر الولاء والطاعة، وأعلن

(١) يقابل عامى ١٢٣٢،١٢٣٣م.

أن [بكر ماجيت] مستعد لتسليم رنتنپور مقابل إعطائه مُقاطَعات بسبعين مائة ألف. فأنعمنا عَلَيْهِ بما طلب مِن مُقاطَعات، وسمحنا لَهُم [بالذهاب] على أن نلتقي فِي «كواليار» عِنْدَمَا أذهب للتفرج عَلَيْها. وقد تأخروا بضعة أيَّام عن الوقت المحدد. وكان أسوك الهِنْدوسى هَذَا مِن الأقارب المقربين لوالدة بكر ماجيت. (٣٤٣أ) وهكذا، قام مع الابن بدور الأم فاتفقا مع اسوك هَذَا ووافقا على [عرض] الصداقة والخدمة [لنا].

وعندما تغلب سنكا على السُلْطَان محمود وأَسَرَه، أخذ قلنسوته التاج، وحزامه الذهب ثُمَّ أطلق سراحه. وكانت تلك القلنسوة التاج، والحزام الذهب لدى بكر ماجيت. وعندما أصبح مكان والده، طلب مِنْهُ أخوه الأكبر الذي يحكم چيتور الآن القلنسوة التاج، والحزام الذهبي، لَكِنَّهُ رفض إعطائها له. وقد وعد عن طريق هؤلاء الرِجَال الذين جاءوا أنه سوف يعطيني التاج، والحزام الذهبي، وطلب بيانه مقابل [تسليمنا] رنتنپور. وقد وعدناه بشمس آباد فِي مقابل «رنتنپور» بدلا عن «بيانه». وفِي نفس اليوم، خلعنا على هؤلاء الرِجَال، وسمحنا لَهُم بالذهاب على وعد المجيء إلى « بيانه » بعد تسعة أيَّام.

وصف معابد كواليار:

وَغَادَرْنَا حَدِيقَة [رحيم داد]، وطوفتُ بمعابد الأصنام فِي «كواليار». وكانت بعض معابدهم مكونه مِن طابقين أو ثلاثة. وهي طوابق منخفضة قليلا وعلى طراز قديم. وقد نحتوا على أطرافها مجسمات مِن الحجر. وفِي بعض المعابد حجرات تشبه حجرات المدرسة، قبابها عالية وكبيرة، وتعلو كل حجرة مِنْها قُبَّة مِن الحجر المنحوت. وفِي الحجرات السفلى مجسمات منحوتة [مِن الحجر]. (٣٤٣ب)

وبعد الفرجةِ على هَذهِ العمائر، برحتُ «كواليار» مِن بوابتها الغربية، ورجعتُ إلى القَلْعَة مِن الطرف الجَنُوبِيّ. وتفرجتُ على المكان، ثُمَّ جئتُ إلى چارباغ رحيم داد أمام [بوابة] هاتي پول. وقد أقام رحيم داد مأدبة فِي الچارباغ. وبعد مظاهر الضيافة والطَّعَام الطيب، قدم هدايا قيمتها أربعمائة ألف مِن النقد والبضائع. وغادرتُ هَذهِ الچارباغ فوصلتُ حديقتي فِي وقت متأخر.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الخامسِ عشر مِن الشهر، ذهبتُ مَسَافَة ستة فَرَاسِخ جنوب شرق «كواليار» للتفرج على الشلال. وكنا قد تَحَرَّكْنا متأخرين قليلا. فوصلنا إلى الشلال عقب صلاة الظهر. وينهمر ماء الشلال مِن نبع على ارتفاع خمسة عشر أو ستة عشر قدمًا، ويكفي لإدارة ساقية. وهذا الماء يخرج مِن منبع واحد،وينهمر عبر صخرة واحدة، ثُمَّ ينسال مِنْها لأماكن متفرقة فيكوّن بحيرة. لكِنَّهُ ماء غير دائم. وعلى حافة هَذَا الماء، صخور متفرقة يمكن الجلوس عَلَيْها. وجلسنا عِنْدَ الشلال، وأكلنا المعجون. ارتقينا إلى النقطة التي يبدأ مِنْها الماء وتفرجنا عَلَيْهِ، ثُمَّ رجعنا وجلسنا لفترة فوق أحدى الربا. وعزف العازفون الطنبور، وردد المغنيون بعض الأغاني. (٣٤٤أ) وعرَّفت شجرة الأبنوس التي يسميها الهنود تندو لمن لم يرونها مِن قبل. ثُمَّ رجعنا مِن هُنَاكَ، فهبطنا الجبل، وتحركنا بين المغرب العشاء. وعند الطرقة الثانية، آوينا إلى مكان هجعنا به. ووصلنا الچارباغ فِي الجزء الأول مِن اليوم.

وفِي يومِ الجمعةِ السابعِ عشر مِن الشهر، تفرجنا على القرية المسماه «سوهجنه» (١) مسقط رأس صلاح الدين (٢)، وعلى حدائق السدافل والليمون فِي الوادي الذي يتخلل الجبل فِي الطرف العلوي مِن القرية، ثُمَّ رجعنا إلى چارباغ فِي الجزء الأول [مِن الليل].

وفِي يَومِ الأحد التاسع عشر مِن الشهر، تَحَرَّكْنا مِن الچارباغ قبيل بزوغ الفجر وجاوزنا «نهر كواري»، ثُمَّ تناولنا الطَّعَام وتحركنا مِن هُنَاكَ بعد صلاة الظهر، فجاوزنا «نهر چَنْبَل» والشمس تميل إلى الغروب، ودخلنا قلعة «دُولْپُور» بين صلاتى المغرب والعشاء. وعلى ضوء المشاعل تفرجنا على الحمام الذي ابتناه ابو الفتح، ثُمَّ تَحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ ونزلنا عِنْدَ رأس السد فِي المكان الذي أنشأت فيه الچارباغ الجديدة.

وفِي اليوم التَّالِي، طوَّفتُ بالأماكن التي أنشأتها، وكانوا لم ينتهوا بعد مِن عمل الحوض المغطي الذي أمرنا بإنشائه مِن قطعة واحدة مِن الحجر. فأستكثرتُ مِن عدد الحجَّارين، وأمرتُ

---

(١) احدى قرى كواليار.

(٢) أحد امراء الهند اشترك مع رانا سنكا فِي حربه ضد بَابُر.

بحفر قلب الحوض كله دفعة واحدة حَتَّى يمكن تعيين مستوى المياة بداخله. وبعد صلاة العصر ،كانوا قد إِنْتَهوا تماما مِن حفرِ الحَوْض، فأمرنا أن يَمْلؤوه بالماء. (٣٤٤ب) وانشغلوا بِقِيَاسِ أَطْرَافه بالماءِ وتسويتها. كما أَمَرْنَا بإنشاءِ مِيضأه تكون أرضيتها والحوض الصغير الذي بداخلها منحوتة مِن قطعةٍ واحدةٍ.

وفِي يَومِ الاثنين عقدنا جلسة [لتناول] المعجون.

وتوقفنا هُنَاكَ يوم الثلاثاء أيضًا.

وفِي ليلةِ[١] الأربعاء، تناولنا فطورنا، ثُمَّ تحَرَّكْنَا قاصدين «سِيكْري» . وفِي الفترة الثانية [مِن الليل] آوينا إلى مكان لنغفوا به. ويبدو أن تأثير البرودة كان قويا على أذني فقد آلمتنى بشدة فِي تلك الليلة. وجفانى النوم.

وتحركنا مِن هُنَاكَ مع بزوغ الفجر، وفِي الفترة الأولى [مِن اليوم] نزلتُ بالحَدِيقَة التي أقمناها فِي «سِيكْري» . وقد زجرتُ مَن يَعْمَلون فِي جِدَار الحَدِيقَة والبئر لأن العمل لم يَكُنْ على النحو المرجو، وأنزلتُ بهم الجزاء. ثُمَّ تحَرَّكْنَا مِن سِيكْري بين العصر والمغرب، ومررنا مِن مدهاكور، وآوينا بمكان ونمنا.

وجئتُ مِن هُنَاكَ إلى «أَكْرا» فِي الجزء الأول. وقمتُ بزيارة البيجوم خديجة سُلْطَان فِي القَلْعَة حيث إنها لم تستطع أن تذهب مع البيجوم فخر جهان بسبب بعض شؤومها. وجاوزتُ «جون»، وذهبتُ إلى «حَدِيقَة هَشْت بَهِشْت».

وفِي يَوم السبتِ الثالثِ مِن شهرِ صفر، ذهبتُ لرؤية ثلاث مِن عماتى الكبار اللواتي مررن مِن توته[٢] ، ونزلن بضَفَّة النَّهْر على حافة الأحياء، وهن البيجوم كُهَر شاد، والبيجوم بديع الجمال، و البيجوم آق ومن السَيِّداتِ الصغار، البيجوم خانزاده حفيدة البيجوم زينب سُلْطَان، وابنه السُلْطَان مسعود مِيرْزا ، والبيجوم سُلْطَان بخت وزوجة أخ چيجام. فقابلتهن بين صلاتى

(١) كلما ليلة غير واردة فِي الترجمة التركية

(٢) اسم مكان على ضَفَّة نهر جون.

العصر والمغرب، ورجعتُ مِن هُنَاكَ بالسفينة. (٣٤٥أ)

وفِي يَومِ الاثنينِ الخامسِ مِن شهرِ صفر، أرْسَلْنا هاموسى بن ديوه وهو مِن الموظفين الهنود القدامي فِي «بهْرَه»، مع سفيرىّ بكر ماجيت، لكى يأخذا عهدًا أو ميثاقًا حسب رسومهم ونظمهم، ويبلغاه بقبول رسالته وتسيلم رنتنپور. وكان رجُلنا الذي أرْسَلْناه هَذَا سينظر فِي هَذهِ الأمور بنفسه، ويدلي برأيه فيها، ثُمَّ يرجع. وقد وعدتُ [بكر ماجيت] أنه فِي حال التزامه بكلمته بما يرضي الله. فإنني سوف أقيمُه حاكما مكان والده، وأجلسُه على عرش چيتور.

وفِي تلك الأَيَّام، نفدت خزائن سكندر وابراهيم [اللودى] فِي «دِهْلي» و«أَكْرا».

وفِي يَومِ الخميسِ الثامنِ مِن شهرِ صفر، أمرنا أن يدفعوا ثلاثين فِي المائة مِن كل ما تم جَمْعه إلى الديوان للإنفاق على تسليح الجُنْد، وتوفير البارود للمدافع، ورواتب رُماة البنادق.

وفِي يَومِ السبتِ العاشرِ مِن الشهر، أرسلتُ إلى «هَرَاة» للمرة الثانية مبعوث السُلْطَان مُحَمَّد بخش والمدعو شاه قاسم الذي حمل ذات مرة مراسيم الاستمالة إلى أهل «خُراسان». وكان مضمون المراسيم التي حملها هو أننا انتهينا بعون الله مِن الأعداء والكُفَّار فِي شرق «الهِنْد» وغربها (٣٤٥ب). وإنني حتما إن شاء الله سأذهب إلى هُنَاكَ هَذَا الصيف[1] أيا ما كان الأمر. كما أرسلتُ مرسوما آخر إلى أَحْمَد أفشار. وقد كتبتُ بخط يدي على هامش المرسوم استدعى فريدون القبوزي.

وفِي ذَلِكَ اليوم، بدأتُ تناول الزئبق.[ماء الفضة]

وفِي يَومِ الأربعاءِ الحادِي والعشرين مِن الشهر، أحضر أحد المشاة الهنود عرائض كمران والخوجه دوست خاوند. فقد وصل الخوجه دوست خاوند إلى «كَابُل» فِي اليوم العاشر مِن ذي الحجة. وبينما كان فِي طريقه إلى هُمايون. جاءه رجل مِن عِنْدَ كامران برسالة فحواها: ليتفضل الخوجه بالحضور للقائنا ومعه ما لديه مِن مراسيم، ثُمَّ يذهب [إلى هُمايون] بعد أن نتناقش فِي الأمر. وجاء كامران إلى «كَابُل» فِي السابع عشر مِن شهر ذي الحجة، وبعد أن تكلم مع

(١) جاءت فِي الانجليزية هَذَا الربيع.

الخوجه، تركه يذهب إلى قلعة الظفر [1] فِي الثامن والعشرين مِن نفس الشهر.

وكانت هَـذهِ العرائض تحوى أخبـارا طيبة، فقد توجه الشاهزادة طهماسب لدفع الأُزْبَك. فهزم رينش الأُزبكي فِي دامغـان، وأعمل السيف فِي رِجَـاله. وعندمـا تحقق عُبيد خان مِن خبر القِزِلْباش، تـحرك مِن ظـاهر «هَرَاة» إلى «مَرْو»، واستـدعي السلاطين مِن «سَمَرْقَنْد» وتلك الأنحية. فذهب كل سلاطين «ما وراء النَّهْر» (٣٤٦أ) لنجدته فِي «مَرْو».

كما أبلغنا ذَٰلِكَ القادم أن هُمايون رُزِق بغلام مِن إبنة يادكار طغائي. وأن كامران أيضا سيتزوج فِي «كَابُل». ويأخذ ابنة عمه السُلْطَان علي مِيرْزا .

وفِي ذَٰلِكَ اليوم، أمرنا بخلعة للسَيِّد الدكني الشيرازى، وأنعمنا عَلَيْهِ، وأمرناه أن ينهي البئر الفوارة [التي أمرنا بها] على خير وجه.

مرض بَابُر:

وفِي يَومِ الجمعةِ الثالثِ والعشرين مِن الشهر، عرض بى عارضٌ مِن الحُمّى حَتَّى أنني صليتُ الجمعةَ فِي المسجدِ بمعاناة. وقد صليتُ الظهرَ بعد وقتِه قضاءً فِي مكتبتي. وذَهَبَت عنى الحُمّى، لكنها عاودَتْني مرة ثانية يوم الأحد مع رعشةٍ بسيطة.

تحويل بَابُر رسالة الوالدية إلى نظم:

وفِي مساءِ يومِ الثلاثاءِ السابع والعشرين مِن شهر صفر، جال بخاطري تحويل رسالة الوالدية لحضرة الخوجه عُبَيْد الله إلى نظم. والتجأتُ إلى روحه، وجال بفؤادى أن يَلقى نظمى هَذَا القبول عنده، ولاسيما أنه قَبِلَ ما نَظَمه صاحب البُرده [2] فبرئَ مِن الفَلَج. ولو برئتُ أنا أيضًا مِن هَذَا المرض، يكون هَذَا دليلا على قبول ما نظمته. وبهذه النية بدأتُ فِي نَظْم الرسالة، على وزن الرمل المسدس والمخبون والمخبون المحذوف الناقص، وهو وزن سِبحة [الأبرار] [3]

(١) تقع على ضَفَّة أحد فروع نهر جيحون بيم كهمرد و حُلم.

(٢) الإمام البوصيرى صاحب قصيدة نهج البردى فِي الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم.

(٣) منظومة فِي التصوف

لمولانا عبد الرحمن الجامى. وفِي تلك الليلة، نظمتُ ثلاثة عشر بيتًا. والتزمتُ بنظم ما لا يقل عن عشرة أبيات فِي اللَيْلِة الواحدة وما تركتُ هَذَا ليوم واحد. وكثيرا ما اعتراني مثل هَذَا المرض فِي العام الماضي، واستمر شهرا على الأقل أو أربعين يوما. وبعناية الله وهِمَّة رسوله، بدأت حالتي فِي التحسن قليلًا.

وفِي يَومِ الخميسِ التاسعِ والعشرين مِن الشهر، بَرِأتُ مِنْهُ تماما.

وفِي يَومِ السبتِ الثامنِ مِن شهرِ ربيع الأول، أكملتُ نظم الرسالة. وقد كتبتُ فِي يَومٍ واحدٍ اثنين وخمسين بيتا.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الثامنِ والعشرين مِن الشهر، أرسلتُ مراسيم إلى الجُنْد الموجدين فِي الأطراف والأكناف فحواها أننا: سنخرج إن شاء الله فِي حملة فِي أقرب فرصة، فلْيَسْتعد الجُنْد، وليأتوا على وجه السرعة.

وفِي يَومِ الأحد التاسع مِن شهر ربيع الأول، جاء السَيّد مُحَمَّد التعليق جى. وكان قد أحضر فِي آخر شهر محرم مِن العام الماضي خلعة وجوادا إلى هُمايون.

مولد ابن هُمايون مِيرْزا :

وفِي يَومِ الاثنين العاشر مِن الشهر، جاء بيككينه وَيْس لاغري، وأيضا الشَّيْخ بيان أحد رِجَال هُمايون، ليبلغنا ببشرى مولد ابنٍ لَهُمايون، وأنهم أطلقوا عَلَيْهِ اسم الأمان. وقد وضع الشَّيْخ ابو الوجد تاريخ (٩٣٤م) مولده [بحساب الجُمَّل] شه سعادت مند. وقد غادرنا الشَّيْخ بيان بعد بيكينكه بفترة طويلة. وكان قد جاء بسرعة إذ انفصل عن هُمايون فِي المكان المسمى دوشنبه يوم الجمعة التاسع مِن شهر صفر عِنْدَ « سفح كشم »، ووصل «أَكْرا» يوم الثلاثاء(١) العاشر مِن شهر ربيع الأول. وذات مرة جاء الشَّيْخ بيان هَذَا مِن قلعة الظفر إلى «قَنْدَهار» فِي أحد عشر يوما.

---

(١) جاءت فِي الانجليزية يوم الإثنين.

انتصار طهماسب على الأُزبَك:

وقد جاء الشَّيْخ بيان بخبر مجيئ الأمير [الشاهزاده طهماسب] وهزيمة الأُزْبَك. وتفصيل ذَلِكَ على النحو التَّالِي:

جاء الشاهزاده طهماسب مِن العراق على وجه السرعة بأربعين ألف رجل وقد نظم البنادق والعَرَبَات وفق الأصول الرومية. وهزم ازبك رينيش [1] فِي «بسطام» و«دامغان» [2]. وذبح رِجَاله وعبر بسرعة. كما انهزم قنبر على ابن كبك بى [3] أمام أحد رِجَال القِزِلْباش، وذهب إلى عُبيد خان بعدد محدود مِن رِجَاله وانضم إليه. واستحال على عبيد خان البقاء بجوار «هَرَاة»، فأرسل على وجه العجلة رجلًا إلى الخانات والسلاطين فِي «بَلْخ» وحِصار و «سَمَرْقَنْد» و«تاشْكَنْد» وجاء بنفسه إلى «مَرْو». فجاءوه على الفور واجتمعوا به. وقد جاء كل السلاطين، إذ جاء مِن «تاشْكَنْد» باراق سُلْطَان الابن الثاني لسيونجك خان، ومن «سَمَرْقَنْد» وميان كال جاء كوچوم خان، وأبو سعيد سُلْطَان، وبولاد سُلْطَان، (٣٤٧ب) وجاني بِك سُلْطَان وأبناؤه، وجاء حمزة سُلْطَان، ومهدي سُلْطَان [4]، مِن «حِصار»، ولحقوا بعبيد خان فِي «مَرْو». فبلغ عددهم مائه وخمسة آلاف رجل. وقد أبلغهم جاسوسهم أن الشاهزادة [طهماسب] [5] جاء على وجه السرعة مع أربعين ألف رجل لظنه أن عُبيد خان يقيم فِي أنحية «هَرَاة» مع عدد محدود مِن الجُنْد، ولكنه عِنْدَمَا علم بأمر هَذَا التجمع [للخانات والسلاطين]، قام مِن فوره بحفر الخنادق بجوار رادكان ورابط هُنَاكَ. ولم يكترث الأُزْبَك بعدوِهم رغم عِلمهم

(١) والى عبيد الله خان على استراباد.

(٢) جاءت فِي الانجليزية:أخذ بسطام وذبح رنيش ازبك ورِجَاله فِي دامغان.

(٣) احد رِجَال شَيْبَاق خان الأُزبكي.

(٤) ورد فِي الانجليزية ونشر ايجى مانوا عبارة وجاءكيتن قرا سلطان من بَلْخ، وجاء فِي الفارسية، وابناه حمزة سلطان ومهدى سلطان من بَلْخ.

(٥) أضافت الترجمة الفارسية كلمة الصفوي.

بهذا، وبعد المشاورة قالوا: إن كل الخانات والسلاطين يقيمون فِي «مَشْهَد». ويتحتم عَلَيْنَا أن نعين عددا مِن السلاطين ومعهم عشرين ألف جندي ليقيموا على مقربة مِن معَسْكَر القِزِلْباش، حَتَّى نضيّق على العدو. وعندما تدخل الشمس برج العقرب، نأمر السَّحَرة بعمل السِّحر فنُعْجِز العدو وننتصر عَلَيْهِ؛ قرروا هَذَا وغادروا «مَرْو». وخرج الشاهزادة [طهماسب] مِن «مَشْهَد» ونازل الأُزْبَك بأنحية جام وخركرد فتغلب عَلَيْهِم. ووقع كثير مِن السلاطين فِي الأسر وقتلوا. وكتبوا أيضًا فِي هَذهِ الرسالة أنه غير مؤكد نجاة أي مِن السلاطين سوي كوجوم خان (٣٤٨أ) فلم يرجع حَتَّى الآن أحد ممن كانوا مع الجُنْد، وأن السلاطين الذين فِي «حِصار» تركوها وخرجوا. وأن چلمه بن ابراهيم خان واسمه الأصلي إسماعيل، فِي قلعة «حِصار».

رسالة بَابُر إلى هُمايون:

ورجع الشَّيْخ بيان هَذَا على وجه السرعة ومعه الرسائل المكتوبة إلى هُمايون وكامران.

وفِي يَومِ الجمعةِ الرابعِ عشر مِن الشهر، جَهَّزْتُ الر سائل والخطابات، وسلمتُها إلى الشَّيْخ بيان، وأذنا له بالذهاب. فغادر «أَكْرا» فِي يَومِ السبت الخامس عشر مِن الشهر.

وهذه هي مسودة الرسالة التي كتبتُها إلى هُمايون:

هُمايون بعد السلام عليك، والشوق الزائد إليك؛ أما بعد، فقد جاء بيككينه، والشَّيْخ بيان يوم الاثنين العاشر مِن شهر ربيع الأول، وقد فهمنا جيدا الوضع هُنَاكَ مِن خلال الرسالة والعرائض:

نحمد الله أن رزقكم غلاما بحق،

ليكون قرة عين لي وإبنًا لك

ونسأل الله أن يديم عليك وعلينا هَذهِ السعادة، آمين يا رب العالمين. أما وقد أطلقتَ عَلَيْهِ اسم الأمان، فإنني أري أن النَّاس مع كثرة ترديد الاسم سينطقونه آلاما أو ايل امان، (٣٤٨ب) فالألف واللام فِي الأسماء غير شائع [بيننا]. ونسال الله أن يجعله مباركا فِي روحه وذاته، ويحفظه لي ولك سنينا مديدة وقرونا عديدة، محفوفا بالدولة والسعادة.

لقد انتظمَت أعمالنا بفضل الله العظيم وكرمه. وبلغَت ما لن تبلغه مِن قبل أبدا.وفِي يَومِ الثلاثاء الحادي عشر مِن الشهر، بلغتنا أراجيف أن أهل «بَلْخ» استدعوا قُربان[1] وأدخلوه [القَلْعَة].

وقد أصدرتُ الأوامر إلى كمران وأمراء «كَابُل» بالانضمام إليك لتخرجوا إلى ««حِصار» أو «سَمَرْقَنْد» أو أي ناحية[2] ترون فيها صلاح الدولة فتقهروا الأعداء بعناية الله، وتحوزوا الولايات، فيسعد بذَلِكَ الأصدقاء، ويلحق العار بالأعداء إن شاء الله تعالى. فقاتل بلا هوادة، ولا تتهاون فِي أمر بلغ بابك. فالتراخي ليس مِن شِيَم السَّلْطَنَة:

اعلم أن الفتح لا يكون بالتوقف.

وأن الدنيا تسرع بالدوران

وأن السكون وإن صلح لِكُلِّ أمر،

فإنه لا يصلح لصاحب السُلْطَان

فإذا مَنَّ الله عليك بولايتي «بَلْخ»، وحِصار وسَخَّرَهُما لك، فاجعل أحد رِجَالك فِي «حِصار»، وأخاك كامران فِي «بَلْخ». وإذا سخر الله لك بعنايتة «سَمَرْقَنْد»، فلتتخذها مستقرا لك ومقاما. وإن شاء الله سوف أجعل ولاية «حِصار» خالصة [للسلطنة]. (٣٤٩أ) وإذا رأى كامران أن «بَلْخ» قليلة عَلَيْهِ، فاعرِض الأمرَ عَلَيْنَا، وإن شاء الله سوف نُكْمِل له هَذَا النقص مِن هَذهِ الولايات. ثُمَّ أعلم أن القاعدة الواجبة الإتباع دوما هي؛ إن أصبت من شيء ستة أسهم، فنصيب كامران خمسة. والزم هَذهِ القاعدة دومًا ولا تتجاوزها. وأحسِن معاملته، واصبِر عَلَيْهِ، فالصبر مِن شِيَمِ الكِبار، وآملُ أن يُبادلك المُعاملة الطيبة بمثلِها. فهو شابٌ طيبٌ يحترِمُ الشريعة. كما إنه لا يُقَصِّر فِي الالتزام بنا ومعنا على هَدَفٍ واحِدٍ.

(١) قربان الجرخى أحد قواد بابُر.

(٢) جاءت فِي الانجليزية حصار و سَمَرْقَنْد وهراة

أما بعد، فِي نفسي عتاب عليك. فمنذ سنتين أو ثلاث، لم يأت إلينا رجل مِن عندك، كما أن رسولنا إليك، رجع إلينا بعد عام كامل. أيصح هَذَا ؟.

وبعد، أراك تَكْتُبَ في رسائلك كلمة أنا بمفردي وتُكررها، وهذا الكلمة عَيْبٌ فِي السَّلْطَنَة. ولاسيما إنهم قالوا:

ارضَ بالقيْدِ إن كان فِي قدمك

وافعل ما شِئْتَ إن كُنْتَ على ظَهْرِ الجَوَاد وحْدَكَ

فليس هُنَاكَ قيد مثل السَّلْطَنَة. ولا تجتمع السَّلْطَنَة والأنانية.

وبعد، فقد ذكرت إنك لا تقرأ رسائلي التي أكتبها. وإن أردت أن تقرأها (٣٤٩ب) لا تستطيع. وكان ينبغي أن تغير مِن حالك، أما رسائلك التي ترسلها إليّ فأقرؤها بِصُعُوبَةٍ، فعباراتها مبهمة. فلم نر مِن قبل الألغاز تكتب نثرًا. فإملاؤك غير صحيح فِي الأغلب، لَكِنَّهُ ليس بسيء، فقد كتبتَ كلمة التفات بالطاء، وكلمة قولنج بالياء. وإن تمكنتُ مِن قراءة رسالتك، لا أفهم تمام المقصود مِنْها بسبب ألفاظك المغلقة. وأغلب الظن أن هَذَا هو سبب تكاسلك فِي الكتابة. فرغبتك فِي التكلف هي السبب فِي غلق المعاني، وينبغى مِن الآن أن تكتب بغير تكلف، وتستخدم كلمات واضحة وبسيطة. وبذَلِكَ يسهل الأمر عليك، وتسهل القراءة.

وبعد، فإنك بصدد أمر عظيم. عليك فيه بمشورة العارفين به، والأمراء أصحاب الرأي والتدبير. والعمل بمشورتهم.

وإذا كنتَ تريد سعادتي، فاترك الخلوة والعزوف عن النَّاس. ولا تغفل عن دعوة أخيك الصغير والأمراء والشيوخ ولقائهم مرتين في اليوم، ومشورة هؤلاء الصادقين المحبين للدولة فِي كل أمر يَعنُّ لك واتخاذ القرار تبعا لاتفاقهم.

وبعد، فلتكن علاقتك مع الخوجه كلان وثيقة مثلما كانت علاقتي به، فقد كانت علاقتنا وطيدة (٣٥٠أ) ولو كانت الأعمال فِي «بَلْخ» مَيْسَرَة بعناية الله، ولم تكن هُنَاكَ حاجة إلى كامران، فليأت إلينا، وليترك فِي «بَلْخ» مَن يراه مِن الرِجَال الأكفاء.

أما بعد، فقد استبشرتُ خيرا بكَابُل، فهذا القدر مِن الفتوح والانتصارات جرت أثناء مقامى فِي «كَابُل»، لذا فقد اتخذتها خاصة لي. فلا تجعلها مطمعا لأحد مِن عندك قط.

وبعد، فلقد أحسنتم التصرف مع سُلْطَان وَيْس، ونجحت فِي الاستئثار بقلبه. فاتخذه عَضُدًا لك، ولتعْمَل بمشورتِهِ. فهو رَجُلٌ مسموع الكَلِمة. وعلَيْكَ بجَمْعِ الجُنْد والسَّيْر بهم حسبما سيبلغك به الشَّيْخ بيان شَفَاهَةً؛ وسلامٌ مُفْعَمٌ بالشَّوْقِ إلَيْكَ.

حُرر فِي يَومِ الخَمِيس الثالث عشر مِن شهر ربيع الأول.

وحررتُ بيدي رسائل بهذا المعني إلى كامران، والخوجه كلان.

وفِي يَومِ الأربعاءِ التاسعِ عشر مِن الشهر. استدعيتُ الأُمَرَاء [التَّيْمُورِيين] والسلاطين وأمراء الترك و«الهِنْد» وتداولنا الأمر، وقررنا ما يلي:

سنخرج هَذِهِ السنه حتما فِي حملة على بعض الأماكن، فليسبقنا عَسْكَرِي [مِيرْزا][1] إلى «پُورَب». وينضم إليه السلاطين والأمراء والجند الذين فِي ذاك الجانب مِن «نهر كُنْك»، ويتوجه إلى حيث يروا أن صلاح الدولة فِي التوجه إليه.

وقد كتبتُ بهذا فِي يَومِ السبت الثاني والعشرين مِن الشهر، (٣٥٠ب) وكلفتُ غياث الدين القورچِي بالإسراع إلى أمراء «پُورَب» وعلى رأسهم السُلْطَان جُنَيْد برلاس، وأمهلناه ستة عشر يومًا. وليبلغه شفاهة، إننا أرسَلْنا عَسْكَرِي [مِيرْزا] قبلنا لتجهيز المدافع والعَرَبَات والبنادق وسائر لوازم الحرب، وإلى أن يتم تجهيزها، يستعد كل السلاطين والأمراء الذين فِي ذاك الجانب مِن «نهر كُنْك» وبنضموا إليه. وإذا ظهر بعد مشاورة المخلصين هُنَاكَ، أن صلاح الدولة فِي السَّيْر إلى جهة ما، فليتحركو إلى تلك الجهة بعناية الله، وإذا كان هُنَاكَ ما يستدعى حضورى، سأتحرك مِن فورى بمجرد عودة رسولنا إن شاء الله تعالى. وإذا أظهر البنكالى[2] أنه معنا، ومخلص لنا، ولم تكن هُنَاكَ حاجة لمجيئي، فأعرضوا عَلَيْنَا الأمر مفصلا. واخرجوا مع عَسْكَرِي

(١) عسكرى ميرزا ابن بَابُر من زوجته كل روح، كان فِي الثانية عشر من عمره عند وفاة بَابُر.

(٢) نصرت شاه.

[مِيرْزا]بمشورة المخلصين إلى مكان آخر، وأبلغونا بنتيجة ما قمتم به فِي تلك الجهات بعناية الله.

وفِي يَومِ السبتِ التاسعِ والعشرين مِن شهرِ ربيع الأول، خلعتُ عَلَى عَسْكَري [مِيرْزا] خلعة سُلْطَانية، وخنجر ذو حزام مرصع، وأنعمنا عَلَيْهِ براية، وطوغ، وطبل، وخيول أصيلة، وعشرة أفيال، وقطيع من الإبل، وآخر من البغال (٣٥١أ) وكل الأَسْبَاب والآلات السُلْطَانية الأخرى. وقررنا أن يأخذ مكانه فِي رئاسة الديوان. وأحسنا على مولاه واثنين مِن مربيه بصدريات ذات أزرار. وعلى سائر رِجَاله بثلاث أطقم ملابس ذات تسعة [أجزاء].

وفِي يَومِ الأحدِ اليوم الأخير مِن الشهر، توجهتُ إلى منزلِ السُلْطَان مُحَمَّد بخشى فمد البساط، وأحضر هداياه. وقدم هدايا مِن المال والمتاع تزيد قيمتها على مائتى ألف. وبعد تقديم الهدايا انتقلنا إلى حجرة أخرى مِن البيت، حيث أكلنا المعجون. وخَرَجْتُ مِن هُنَاكَ فِي الفترة الثالثة، وجاوزتُ النَّهْر، وتوجهتُ إلى بيتي الخاص.

وفي يَومِ الخميسِ الرابعِ مِن شهرِ ربيع الآخر[1]، تقرر ما يلِي:أن يقوم چيقماق بِك، وشاهي التمغاچى الذي سيكون بمثابة كاتبًا له، بقياس المسافة مِن «أَكْرا» إلى «كَابُل»، ويقيما برجا بارتفاع اثنى عشر ذراعًا كل تسعة فَرَاسِخ تعلوه غرفة. ويربطا بين كل ثمانية عشر فَرَسَخا بستة خيول للبريد. ويخصص راتبًا لرجل البريد، والسايس، وعليق الخَيل. وكان الأمر أنه، إذا كانت أماكن عمل خيل البريد قريبة مِن أملاكنا الخاصة، فلتؤمِن هَذهِ الأشياء مِنْها. وإلا فلتؤمنوها مِن أمير المقاطعة القريبة منكم.

مقاييس الهِنْد:

وفِي ذَلِكَ اليوم، غادر چيقماق، وشاهي «أَكْرا»، وقد حسبوا هَذهِ الفَرَاسِخ بالأميال ولاسيما إنه ورد فِي المُبَيّن أن: (٣٥١ب)

- الأربعة آلاف قدم هي ميل.
- وأعلم أن أهل «الهِنْد» يسمونه كروه

(١) جاءت فِي التركية شهر ربيع الأول.

- والذراع ونصف الذراع هي قدم،
- وأعلم أن فِي كل ذراع ستة توتام
- وكل توتام أربعة أصابع
- وأعلم أن كل إصبع ست حبات شعير

كما ورد به أن خيط المقياس طوله أربعين قدما على حساب أن القدم يساوي تسعة توتام، ويساوي ذراعا ونصف. وهكذا فإن المائة مِن هَذَا الخيط تساوي فَرْسَخا.

استقبال سفراء القِزِلْباش والأُزبك والهنود:

وفِي يَومِ السبتِ السادسِ مِن الشهر، أَقَمْنَا وليمة حضرها سفراء القِزِلْباش والأُزبك، والهنود. وقد جلس سفراء القِزِلْباش جهة اليمين فِي خيمة أقيمت لَهُم على مَسَافَة سبعين أو ثمانين ذراعا، وقد أمرتُ أحد الأُمَرَاء وهو يونس على بالجلوس معهم.كما جلس سفراء الأُزبَك جهة اليسار وبذات الطريقة، وأمرتُ أحد الأُمَرَاء ويدعى عبد الله بالجلوس معهم. وجلستُ فِي السرادق الذي أقمته حديثًا فِي الضلع الشمالي، وهو ثُمانِيّ الشكل، ويكسوه نبات. وعلى مَسَافَة خمسة أو ستة أذرع عن يميني، جلس توخته بوغه سُلْطَان،، وعَسْكَري [مِيرْزا]، وأبناء السادة المشايخ وهم الخوجه عبد الشهيد، والخوجه كلان، والخوجه چِشْتى، وخليفة والحُفَّاظ والمدرسين مِن أتباع السادة المشايخ الذين جاءوا مِن «سَمَرْقَنْد». وعلى مَسَافَة خمسة أو ستة (٣٥٢أ) أذرع عن شمالي، جلس مُحَمَّد زمان مِيرْزا، وتانك أتميش سُلْطَان، والسَيِّد رفيع، والسَيِّد الرومي، والشَّيْخ ابو الفتح، والشَّيْخ جمالي، والشَّيْخ شهاب الدين العربى، والسَيِّد الدكني. وقبيل الطَّعَام، قدَّم جميع السلاطين والخانات والأكابر والأمراء هدايا مِن جنس الذهب والفضة والنحاس وأقمشة وأشياء أخري. وأمرتُ بمد بساط أمامي، وضعوا فوقه هَذَا الذهب والفضة. وضعوا بجانبه، القماش الحرير وأكياس النقود. وأثناء تقديم الهدايا قبيل تناول الطَّعَام، بدأت الأفيال والإبل الهائجة فِي الجزيرة المقابلة لنا فِي التضارب. كما جلبوا أيضًا عددًا مِن الكباش للتناطح، ثُمَّ تصارع المصارعون. وبعد مأدبة كبيرة، خلعتُ على كل مِن الخوجه عبد الشهيد،

والخوجه كلان غطاء رأس مِن قماش رقيق وخلع مناسبة.

وكسونا الذين جاءوا تحت رئاسة المُلّا فرخ، وحافظ صدريات، كما أحسنا على سفير كُچوم خان، والأخ الأَصْغَر لحسن چلبي بغطاء رأس مِن القماش، وملابس مِن الفراء ذات أزرار، وخلع تناسب مكانتها.

وأحسنا على ابو سعيد سُلْطَان، ومِهْرَبَان خانم، ورُسُل ابنها بولاد سُلْطَان، ورسول شاه حَسَن، بصدريات ذات أزرار وقماش (٣٥٢ب) وملابس. وأحسنا على الشَّيْخين وعلى الرسولين؛ رجال الخان الصغير وأخو حَسَن چلبى الصغير، بذهب بميزان الفضة وفضة بميزان الذهب. وميزان الذهب يساوي خمسمائة مثقال، ويساوى سِير بميزان «كابُل». وميزان الفضة يساوي مائتان وخمسين مثقالا، وبميزان «كابُل» يكون نصف سِير.

وأحسننا كذَلِكَ على الخوجه مير سُلْطَان وعلى أبنائه[1] وسائر السفراء الآخرين بالذهب والفضة. وأحسنا على ياديكار ناصِر بخنجر ذي حزام، وأعطينا مير مُحَمَّد جاله بان إحسانًا مناسبا لقيامه بِبَناء الجسر عِنْدَ «نهر كُنَك».وأحسنا بخنجر على كل مِن مُحَمَّد هَذَا و پَهْلِوان حاجي مُحَمَّد و پَهْلِوان بهلول، وولي پارسچي وهم مِن رُماة البنادق، كما أحسنا على ابن الأستاذ على قُلي بخنجر. وعلى السَيِّد داود كر مسيري بالذهب والفضة. وعلى رِجَال ابنتي معصومة، وابني هِندال بصدريات ذات أزرار، وخلع مِن القماش. وأحسننا على مَن جاءوا مِن «أَنْدِجان»، ومِن الأماكن التي تجولنا بها عِنْدَمَا كنا بلا وطن وبلا ولاية، والذين جاءوا مِن «سوخ» و«هشيار»، بصدريات وخلع قماش والذهب والفضة، ومن كل الأشياء. كما أحسنا على رِجَال قُربان ورجَال شيخي وعلى رِجَال «كاهْمَرد » (٣٥٣أ) بما يشبه ذَلِكَ.

ألعاب الهِنْد:

وبعد الوليمة، أمرتُ بمشاهدة الألعاب التي أتى بها لاعبو «الهِنْد»، فلعبوا وأظهروا مِن مهاراتهم ما لم نره عِنْدَ لاعبينا. ومنها؛ أن يأت أحدهم بسبع حلقات، فيضع جبهته على واحدة

(١) أضاف إيجى مانو (وعلى ملازمى الخوجه وعلى رأسهم حافظ تاشكندى، والمُلا فرخ)

مِنْها، وركبتيه على اثنين، وأصابع يديه على اثنين، وكذا أصابع قدميه على اثنين، ويدور بها بسرعة وبغير توقف. ولعبة أخري؛ مثل سير الطاووس، فيضع يدا على الأرض؛ ويده الأخرى والقدمين معلقة فِي ثلاث حلقات، ويدور بسرعة وبغير توقف. ولعبة أخري قام أحد لاعبينا بربط قطعتين مِن الخشب فِي قدميه، ومشى بهما. أما [لاعبو الهِنْد] فقد قاموا بعمل مسند للقدم فِي هَذهِ الساق الخشبية، ويمشون بهذا المسند بدون أن يربطوه. [بقدمهم] ولعبة أخري، أن يمسك اثنان مِن لاعبينا ببعضها البعض. ويدخلون ويمرون مِن حلقتين معلقتين، أما لاعبو «الهِنْد» فيربط أحدهما وسطه بطرف صارى طوله ستة أو سبعة أذرع، ويتسلق الآخر الصارى، ويؤدى ألعابه فوقه. ولعبة أخرى، أن يصعد لاعب صغير فوق رأس لاعب آخر كبير، ويقف بدون أدنى حركة، بَيْنَمَا يسير اللاعب الآخر بسرعة يمينا وشمالا، وبينما يستعرضون مهارتهم، نجد أن ذَلِكَ اللاعب الصغير يظهر أيضا مهارته بأن يقف ثابتا تماما فوق رأس اللاعب الآخر بدون حركة. وقد جاء راقصون كثر ورقصوا. وقبيل المساء، نثرنا نقودا كَثِيرَة مِن الذهب والفضة والنحاس، فحدث زحام وجلبة كبيرة. وبين المساء والعشاء، قربتُ خمس أو ست مِن الأصدقاء المقربين، وأجلستهم بجوارى. فجلسوا لمدة تزيد عن فترة [مِن الليل]. وفِي اليوم التَّالِي، فِي الفترة الثانية ركبنا السفينة، وجئنا إلى هَشْت بِهَشْت.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء عَسْكَري [مِيرْزا] المتجه[بجنده إلى أَكْرا] إلى الحمام للاستئذان، وتحرك صوب الشرق.

وفِي يَومِ الثلاثاء، ذهبتُ لرؤية الحوض والبئر اللذين أمرتُ بِبَنائِهما فِي «دُولْپُور». وتحركتُ مِن الحَدِيقَة فِي الجزء الأول مِن الفترة الأولي [مِن اليوم]. ووصلتُ إلى «حَدِيقَة دُولْپُور» فِي وقت متأخر فِي الجزء الخامس مِن الفترة الأولي مِن الليل.

وفِي يومِ الخميس الحادي عشر مِن الشهر، تمت البئر، وستة وعشرين صنبورا، وعمودا مِن الحجر، وميزابات الماء وكلها نُحتت مِن قطعة واحدة مِن الحَجَر.

وبدأ سحب الماء مِن البئر مِن الفترة الثالثة مِن ذَلِكَ اليوم. وقد أحسننا على العمال

والنجارين والحجارين الذين عملوا فِي «دُولْپُور»، (٣٥٤أ) وكذا على العمال والمشرفين الذين فِي «أَكْرا»، وأمرنا بسحب المياه، وتشغيل الساقية ليل ونهار دون توقف لمدة خمسة عشر يوما مِن قبيل الاحتياط، حَتَّى تذهب الرائحة مِن ماء البئر.

تحركتُ مِن «دُولْپُور» وقد بقي جزء واحد مِن الفترة الأولي مِن يوم الجمعة، وجاوزنا النَّهْر قبل غروب الشمس.

الحرب بين التُرْكُمان والأُزبك:

وفِي يَومِ الثلاثاءِ السادسِ عشر مِن الشهر، جاء رجلٌ مِن عِنْدَ ديو سُلْطَان الذي يتحارب مع القِزِلْباش والأُزبك وقرر الآتي:

فِي يَومِ عاشوراء، دارت الحربُ بالمعني الكامل بين التُرْكُمان والأُزبك فِي نواحي جام وخركرد، واستمرت مُنْذُ الصباح وحَتَّى وقت الظهر، وقال: إن الأُزْبَك كانوا ثلاثمائة ألف رجل، والتُرْكُمان أربعين أو خمسين ألفا فِي حين أن سوادهم هيأ [لمن يراه]أنهم مائه ألف. لكن الأُزْبَك كانوا يبدون وكأنهم مائه وخمسة آلاف. وقد رتب القِزِلْباش العَرَبَات والمناجيق والبنادق على النسق الرومى [1]. ونظموا أنفسهم وتحاربوا. وكان معهم ألفي عربه وستة آلاف بُنْدُقِيَّة، وكان الشاهزاده [طهماسب]، وجوحه سُلْطَان ومعهم عشرين ألف مِن الفتيان يقفون متحصنين وسط العَرَبَات. وأمراؤه يقفون خارج العَرَبَات ينظمون جناحي المَيْمَنَة والمَيْسَرَة. (٣٥٤ب)

وجاء الأُزْبَك، وهاجموا الرجَال الذين خارج [العَرَبَات] وأوسعوهم ضربا، وأحاطوا بهم مِن الخلف، واستولوا على كثير مِن الإبل والمتاع. وفِي النهاية، فتح مِن بداخل العَرَبَات السلسلة التي تربط العَرَبَات وخرجوا لَهُم. ودارت حرب ضروس. وحملوا على الأُزْبَك ثلاث مرات، فهزموهم بفضل الله تعالى وأسروا تسعة سلاطين وعلى رأسهم كوچوم خان، و عُبيد خان، وأبو سعيد سُلْطَان. وبقي ابو سعيد سُلْطَان على قيد الحياة. بَيْنَمَا قُتل السلاطين الثمانية

---

(١) تعنى النسق العثمانى.

الآخرين. وقد عثروا على جثمان عُبيد خان سُلْطان دون الرأس. وقد قتل مِن الأُزْبَك خمسين ألفا، ومن التُرْكُمان عشرين ألف.

وفي نفسِ اليوم، جاء غياث الدين القورچي الذي انظرناه ستة عشر يوما للذهاب إلى جونپور. وكان السُلْطان جُنَيْد ورِجَاله قد أرسلوا الجُنْد إلى خَرِيد. ولهذا لم يستطع أن يصل فِي المُهلة المحددة له. جاء رد السُلْطان جُنَيْد يقول: الحمدالله؛ لم يحدث فِي هَذهِ النواحي ما يستدعي تحرك السُلْطَان. ولو جاء المِيرْزا وأمر السلاطين والخانات والأمراء فِي هَذهِ النواحي بالتحرك معه، فإننا نأمل أن تجرى الأمور يسيرة. (٣٥٥أ)

وكنا قد أرسَلْنا المُلّا مُحَمَّد مذهب بسفارة إلى البنكاله بعد معركة الكَافِر [رانا] سنكا. وكنتُ فِي انتظار خبر عنه فكانوا يقولون إنه سيرجع اليوم أو غدًا.

وفِي يَومِ الجمعةِ التاسعِ عشر مِن الشهر، جلستُ فِي بيتي الخاص مع عددٍ مِن أصدقائي المقربين نأكل المعجون، وقد جاء مُحَمَّد مذهب فِي المساءِ والتزم. فسألناه واحدًا تلو الآخر عن أحوال تلك المناطق، وعلمنا مِنْهُ أن البنكاله مطيعون لنا ومنحازون إلينا.

وفِي يَومِ الأحد، استدعيتُ أمراءَ الترك، و«الهِنْد» إلى مقر راحتي الخاص. وطرحتُ عَلَيْهِم هَذَا الرأي: لقد أرسَلْنا سفيرا إلى البنكاله، وعرفنا أنهم مطيعون لنا ومنحازون إلينا. لذا فلا جدوى أو فائدة مِن الذهاب إلى البنكاله. كما أنه ليس فِي تلك الناحية الخزينة المُجدية لأمر الجُنْد. أما ناحية الغرب فبها بعض الأماكن القريبة وأيضا ذات الخزائن:

إقليم ماله وفير، وأهله كفار، وطريقه قريب،

فإذا كان الشرق بعيدا، فهذا الإقليم قريب

وفِي النهاية تقرر الآتي: أما وطريقنا صوب الغرب قريبٌ، فلنتوقف هنا بضعة أَيَّام، ونفرغ أولا مِن ناحية الشرق (٣٥٥ب) فإذا بدا لنا بعد ذَلِكَ أن نذهب إلى هُنَاكَ فالأمر كذَلِكَ.

وأرْسَلْنا غياث الدين القورچي إلى أمراء «پُورَب» مرة أخرى بالمراسيم، ليبلغهم أن يجمع كل السلاطين والخانات والأمراء المَوْجُودِينَ فِي الجانِبِ الآخر مِن «نهر كُنك» جُنُودهم،

ويتوجهوا إلى هؤلاء المتمردين. ثُمَّ يأتي منهم بالجواب، ويرجع فِي الوقت المحدد. وأنظرناه عشرين يومًا.

وفِي تلك الأَيَّام، جاء عرض حال مِن مُحَمَّدي كُوكَلْداش أن البلوج جاءوا و نهبوا بعض الأماكن. وكلفنا چين تيمور سُلْطَان بالسَّيْر إلى البلوج، وينضم إليه الأُمَرَاء مِن «سِهْرِنْد» سامانه مثل، عادل سُلْطَان وسُلْطَان مُحَمَّد دولداي، و خُسْرو كُوكَلْداش ومُحَمَّد چَنْكِچَنْك، وعبد العزيز الميراخور وسَيِّد على، وولي قيزل، وقرا جه، وهلاهل، وعاشق بكاول، والشَّيْخ على، وكته، وكجور خان، وحسن على السوادي، ويأخذوا معهم لوازم ستة أشهر. وأرْسَلْنا إليهم عبد الغفار التواچي بالمراسيم المكتوبة، بأن يمتثلوا لِكُلِّ ما يأمر به چين تيمور سُلْطَان ويلتزموا بما يقول. وقررنا أن يُسَلم هَذهِ المراسيم أولا إلى چين تيمور سُلْطَان ، ثُمَّ يُطلِع عَلَيْها بقية الأُمَرَاء المذكورين، (٣٥٦أ) فإذا حدد چين تيمور سُلْطَان مَوْضِع تلاقيهم، فعَلَيْهم جميعًا أن يتواجدوا هُنَاكَ بجُنُودهم بكامل الاستعداد. وإذا رأي عبد الغفار أن أيٍ مِن المشاركين فِي هَذهِ الحملة، يثير شغبا أو يبدي عدم الاهتمام، فليرفع أمره إلينا. وسيُقصى المقصرين عن الجَيْش، ويجردوا مِن ولاياتهم ومقاطعاتهم، وأعطيت هَذهِ المراسيم إلى عبد الغفار، وأبلغناه بما سيقوله شفاهة،ثُمَّ أذنا له.

وفِي الجزءِ السادسِ مِن الفترةِ الثالثة مِن ليلةِ يومِ الأحدِ الثامنِ والعشرين مِن الشهر، عبرنا مِن جون، وتحركنا إلى حديقه نيلُفَر فِي «دُولْپُور»، فبلغناها فِي الفترة الثالثة مِن يوم الأحد، وحددنا أماكن الأُمَرَاء والخَوَاص ومستقرهم بأطراف الحَدِيقَة وجنباتها ليقيموا فيها عمائرهم وحدائقهم.

وفِي يَومِ الخَمِيسِ الثالثِ مِن شهرِ جمادى الأول، اخترنا مَوْضِع الحمام فِي طرفِ الجنوبِ الشرقي مِن الحَدِيقَة، فمَهَّدُوه وبعد وضعِ أساس الحمام فِي هَذَا المكان المنبسط، كلفتهم بإنشائه، وعمل حوض كبير فِي أحد حجراته قياسه عشرة فِي عشرة[1] .

(١) عبارة قياسه عشرة فِي عشرة غير واردة فِي التركية.

تحرك بَابُر إلى أَكْرا:

وفِي ذات اليوم، جاء خليفة بعرائض مِن القاض جبا، ونرسنك دو مِن «أَكْرا» (٣٥٦ب) قالا فيها إنهما سمعا أن محمود ابن سكندر أخذ «بِهَار». فلما بلغنا هَذَا الخَبَر، قررنا إرسال الجَيْش، وانطلقنا مِن «حديقه نيلَفَر» فِي الجزء السادس مِن يوم الجمعة التَّالِي، فوصلنا «أَكْرا» وقت صلاة العشاء، وقابلنا فِي الطريق مُحَمَّد زمان مِيرْزا وهو فِي طريقه إلى «دُولْپُور». وفِي ذات اليوم، وصل چين تيمور سُلْطَان إلى «أَكْرا».

وفي يَومِ السبت التَّالِي، دعوتُ الأُمَرَاء لتداول الأمر، وقررنا الذهاب إلى «پُورَب» يوم الخميس العاشر مِن الشهر.

وفِي يَومِ السبت نفسه، جاءت رسالة مِن «كَابُل» وخبر أن هُمايون جمع جند تلك الناحية، وضم إليه سُلْطَان وَيْسوتحرك فِي اتجاه «سَمَرْقَنْد» ومعه أربعين أو خمسين ألف رجل. ومشى قُلي الأخ الأَصْغَر لسُلْطَان وَيْس إلى «حِصار» ودخلها[1]. ومشى ترسون مُحَمَّد سُلْطَان مِن « تِرْمِذ » وأخذ قباديان وطلب المساعدة. فأرسل هُمايون، تولك كُوكَلْداش ومير خرد وقوة كبيرة مِن الرِجَال، والموجود مِن المُغُول لمساعدة ترسون سُلْطَان، ثُمَّ تبعهم بنفسه.

وفِي يَومِ الخميسِ العاشرِ مِن شهرِ جمادى الأول، وبعد الجزء الثالث، خَرَجْتُ[2] قاصدا «پُورَب»، فجاوزتُ «جون» بالسفينة أعلى قليلا مِن «قرية جَليسِر»، (٣٥٧أ) وجئتُ إلى «حَدِيقَة زرافشان». وهُنَاكَ أصدرتُ مرسوما بأن يحضروا الطوغ والطبل والإصطبل وكل جماعات الجُنْد أمام الحَدِيقَة، ويذهبوا إلى ذاك طرف مِن النَّهْر الذي سيبدو لَهُم، أما مَن سيأتون للمثول أمامنا فيجاوزوا النَّهْر بالسفن.

وفِي يَومِ السبت، أحضر إسماعيل متا سفير البنكاله، هدايا البنكالي [نصرت شاه]، والتزم على الطريقة الهِنْدية. فجاء إلى ساحة رماية السهام وانصرف بعد التعظيم. وقد أمرنا بإلباسه خلعة معتادة مِن النوع الذي يسمونه سيرموينه، وجاء وانحنى ثلاث مرات حسب

(١) عبارة ومشى شاه قُلي الأخ الأصغر لسلطان وَيْس إلى حصار ودخلها غير واردة فِي الترجمة التركية.
(٢) أضافت الانجليزية فِي اتجاه الشرق.

دستورنا، وقدم عريضة نصرت شاه. والهدايا التي أحضرها، ثُمَّ انسحب.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء الخوجه عبد الحق، فجاوزتُ النَّهر بالسفينة، وذهبتُ إلى خيمته والتزمت.

وفِي يَومِ الثلاثاء، جاء حَسَن چلبى والتزم. وتوقفنا بضعة أيَّام فِي «چارباغ» لاستكمال استعدادات الجُنْد.

وفِي يَومِ الخميس السابع مِن عشر مِن الشهر، تحركتُ مِن هُنَاكَ بالسفينة بعد الجزء الثالث [مِن اليوم]، ونزلتُ «قرية انوار» على مَسَافَة سبعة فَرَاسِخ مِن «أَكْرا».

وفِي يَومِ الأحد، أعطينا الإذن لسفراء الأُزْبَك. وقد أنعمنا على أمين مِيرْزا رسول كوچوم خان (٣٥٧ب) بخنجر، وصديري مكفت بالذهب، وسبعين ألف تنكَه.كما أنعمنا على المُلَّا طغائي رجُل ابو سعيد سُلْطَان وعلى رِجَال مِهَرْبَاني خانيم[1] وأبنها بولاد سُلْطَان بصدريات ذات أزرار، وخِلع مِن القماش، كما أحسنا عَلَيْهِم أيضًا بأموال تتناسب مع مكانة [كل واحد منهم].

هدايا بَابُر لأبنائه:

وفِي اليومِ التَّالِي، سمحنا للخوجه عبد الحق بالبقاء فِي «أَكْرا». وسمحنا للخوجه كلان حفيد الخوجه يحي الذي جاء فِي مهمة مِن عِنْدَ خان الأُزْبَك وسلاطينهم،بالذهاب إلى «سَمَرْقَنْد». وأرسلتُ مِيرْزا[2] التبريزى ومِيرْزا بِك طغائي بعشرة آلاف شاهرُخي تهنئة بزواج كامران ومثلها لمولد ابن هُمايون. ولكل واحد منهما لباس مما ألبسه وحزام مما أربطه. وأرسلتُ إلى هِندال بواسطة المُلَّا بهشتي خنجرا ذا حزام مرصع ودواة مرصعة وكرسي مطعم بالصدف ولباس قصير مِن الذي ألبسه، وحزام ومفردات الخط البَابُري[3] والقطع المكتوبة به. كما أرسلتُ

---

(١) أخت بَابُر الكبرى.

(٢) جاءت فِي الانجليزية ملا.

(٣) هو الخط الذى ابتكرة بابر.

إلى هُمايون وهِندال والخوجه كلان التراجم والأشعار التي نظمتها مُنْذُ المجيئ إلى «الهِنْد»، كما أرسلتُ أيضًا إلى كامران بواسطة مِيرْزا بك طغائي، الأشعار التي قلتها مُنْذُ المجيء إلى «الهِنْد» ونماذج مكتوبةبالخط البَابُري.

وفي يَومِ الثلاثاء، كتبتُ رسائل إلى الرجَال المتوجهين إلى «كَابُل»، وأذنتُ لَهُم. وأعطيتُ لِكُلٍّ مِن المُلّا قاسم والأستاذ شاه مُحَمَّد سنكتراش وميرك مير غياث، (٣٥٨أ) ومير سنكتراش، وشاه بابا بيلدار تعليمات عن العمائر التي ستقام في «أَكْرا» و«دُولْپُور». وأسندتُ إليهم مسئولية هَذَا العمل، ثُمَّ أذِنتُ لَهُم. وكانت الفترة الأولى [مِن اليوم] قد أوشكت، فتحركتُ مِن انوار. وقبيل صلاة العصر، بلغنا قرية اباپور على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «چندوار».

وفي مساءِ الأربعاء، أرسَلْنا عبد الملوك القورچي مع حَسَن چلبي إلى الشاه [طهماسب]، كما أرْسَلْنا چابق مع سفراء الأُزْبَك إلى الخانات والسلاطين.

وقبل انقضاء الليل بأربعةِ أجزاء، جاوزتُ «اباپور»، وبلغتُ قُبَالَة «چندوار» مع بزوغ الفجر، فركبتُ السفينة. وعند المساء، غادرتها قُبَالَة «رابري» ، وجئتُ إلى معَسْكَر الجَيْش في فتحپور وتوقفنا هُنَاكَ ليوم واحد.

وقبيل فجر يوم السبت، توضأتُ ثُمَّ انطلقنا، وصلينا الصبح مع الجماعة بالقرب مِن رابري. وقد أمَّنا فيها مولانا محمود الفارابي. ومع طلوع الشمس، ركبنا السفينة مِن أسفل مرفأ «رابري» الكبير.

سطرتُ فِي هَذَا اليوم أحد عشر سطرًا مما أريد كتابته بخط التركيب.فِي ذَلِكَ اليوم استشعر قلبي تنبيه مما نطق به أهل الله. وآوينا بالسفن إلى مرفأ قُبَالَة جاكين إحدى مُقاطَعات رابري، وقد أمضينا هَذِهِ الليلة فِي السفينة.

وقبيل الصباح، (٣٥٨ب) انطلقنا بالسفن، وصلينا الصبح على ظهرها. وجاء سُلْطَان مُحَمَّد بخشي، بشمس الدين مُحَمَّد خادم الخوجه كلان ونحن على ظهر السفينة، وصار الوضع والأحوال فِي «كَابُل» واضحة ومعلومة لنا مِن رسائله وتقريره. كما جاء أيضًا الخوجه مهدي.

نزلنا بالحَدِيقَة الواقعةِ بالطرفِ الآخر مِن النَّهْر[١] قُبَالَة «اتاوا» قبيل صلاة الظهر، فاغتسلتُ فِي [نهر] «جون» وصليتُ الظهر. ومِن مكاننا هَذَا انطلقنا صوب «اتاوا». وارتقينا ربوة مشرفة على النَّهْر وجلسنا تحت ظلال أشجار الحَدِيقَة نفسها ودعونا المصارعين للترويح عنا. وأقام لنا الخوجه مهدي سُفرة فِي هَذَا المكان تحية لنا. وعند المساء، جاوزنا النَّهْر، فبلغنا معَسْكَر الجَيْش وقت صلاة العشاء. وقد توقفنا فِي هَذَا المكان يومين أو ثلاثة أَيَّام لجمع الجَيْش وكتابة الرسائل إلى الذين فِي «كَابُل» وإرسالها بواسطة شمس الدين مُحَمَّد.

وفِي يَومِ الأربعاء آخر شهر جمادى الأول، تَحَرَّكْنَا مِن «اتاوا» ، فبلغنا موري و ادوسه وبعد ثمانية فَرَاسِخ. وهنا كتبتُ بقية الرسائل التي سنرسلها إلى «كَابُل». وفحوى الرسالة التي كتبتها إلى هُمايون يقول:

إذا لم يَكُنْ هُنَاكَ ما يحزنك، فوجه همتك لمنع الغارات ولا تسمح لأحد قط بإفساد الأمن بين النَّاس.(٣٥٩أ) وقد جعلتُ مِن ولاية «كَابُل» خاصةً لنا، فلا يمدن أحد مِن الأبناء بصره إليهاكما استدعيتُ[٢] هِندال. كما [كتبت] لكامران أن يهتم بالاحتفاء بالشاهزادة [طهماسب] فِي المجئ والذهاب. وأحسنا عَلَيْهِ بولاية «مُلْتَان». وأن ولاية «كَابُل» خاصةٌ لنا، فلينقل إليها العائلة ونفائس القصر.

فكر الإدارة عِنْدَ بَابُر:

ولكى تصير الأوضاع التي كتبتها إلى الخوجه كلان معلومة، فقد دَوَّنْتُ مسودة تلك الرسالة [التي كتبتها إليه] كما هي:

بعد السلام على الخوجه كلان، فقد جاء شمس الدين مُحَمَّد إلى «اتاوه»، وصارت الأوضاع [فِي «كَابُل»] معلومة لنا تماما. أن رغبتنا فِي الذهاب[إليها] لاحدود لها، ولا تنتهي. ولما كانت شئون «الهِنْد» على وشك الانتظام، فإن كل ما أتمناه مِن الله سبحانه هو أن ننتهي

---

(١) عبارة بالطرف الآخر مِن النَّهْرغير واردة فِي الترجمة الانجليزية.
(٢) جاءت فِي التركية لم استدع هِندال

بعونه من إنجاز شئون هَذهِ البلاد فِي القريبِ العاجل. وسوف نتحرك فور الفراغ مِنْها بإذن الله تعالى. فكيف للمرء أن ينسي جمال تلك الولايات. وكيف ينسى لذة الحلال مِن الرزق مِن بطيخ وأعناب، بعد أن تاب الله عَلَيّ توبة نصوح. وقد جاءوا لى بِواحِدةٍ مِن البطيخ، وما أن قطعتُها وتذوقتُها حَتَّى اعترانى انفعالٌ كبيرٌ وبكيت.

لقد كتبتَ لنا عن عدم ضبط الأمور وربطها فِي «كَابُل». (٣٥٩ب) وقد استراح قلبى إلى استدعاء شقيقتنا الكبرى والحريم إلى «الهِنْد». فكيف للأمور أن تستقر وتنتظم فِي ولاية بها سبعة أو ثمانية حكام! وجعلنا «كَابُل» وكل أعمالها وقراها خالصة لنا، وقد شرحنا هَذَا فِي رسائل إلى هُمايون وكامران، فلينقلها إليهما أحد الأخيار. وسبق لى أن كتبت بهذا إلى الأُمَرَاء [التَّيْمُورِيين]. على كل حال فقد صار الأمر معلوما لَهُم.

والآن، لم يعد هُنَاكَ ما يحول دون إدارة تلك الولاية وتعميرها. وبعد ذَلِكَ، إذا كانت القَلْعَة غير حصينة، أوالرعية غير مرفهين، وإذا لم تكن هُنَاكَ ذخيرة، أو الخزائن غير ممتلئة، فإن هَذَا سيُحمل على عجز عُمْدَة الملك عن تحصيل الأموال.

وأكتبُ لك عن بعض الضروريات، وقد أرسلتُ بشأن بعضها مرسومًا وما يفيض مِنْها يودع الخزينة. والضروريات هي؛ ترميم القَلْعَة، وجلب الذخيرة، ونفقات السفراء فِي رواحهم وغدوهم، وبناء مسجد جامع [لصلاة] الجمعة، ولتأخذ الأموال اللازمة للبناء مِن الإيراد، ولتقيم الشرع، ولتنفقوا. وبشأن ترميم خانات ألْقَوافل والحمامات؛ فيمكن أن يبدأ الأستاذ حَسَن على فِي ترميمها بقرميد محروق كالذي استخدمه فِي الحِصْن، ويجري إتمام العمائر التي لم تتم وفق خطة مناسبة بمشورة الأستاذ سُلْطَان مُحَمَّد. (٣٦٠أ) وإذا كانت الخطة القديمة التي وضعها الأستاذ حَسَن على مناسبة، فليتمها على ذَلِكَ الشكل، وإلا فلينشئها وفق خطة مناسبة وجميلة على أن يكون صحنها موازٍ لصحن الديوان.

وينبغى أن يتصل سد خُرد «كَابُل» بنهر بتخاك عِنْدَ مضيق بوغاز خرد «كَابُل». وترميم سد «غَزْنَة»؛ وفيما يخص خيابان فإن مياه حَدِيقَة خيابان نَدِرة، لذا فمن الضرورى توفير الماء بما يسمح بتشغيل ساقية. كما يجب توصيل مياه وادي توتم فِي الطرف الجَنُوبِيّ الغربي لخوجه

بست، إلى فوق الربوة، وإنشاء حوض هُنَاكَ، وغرس الشجيرات. ونظرًا لوجودها قُبالة مسار رئيس و[المنظر مِن هُنَاكَ] واسع وجميل على امتداد البصر، فليطلق عَلَيْهَا اسم [حديقة] نظر كاه. ومن الضروري أن تغرس هُنَاكَ أيضًا الشجيرات الجميلة، وتقام الخمائل بشكلٍ منسق، وأن تغرس فِي الأطراف الزهور ذات الألوان الجميل والروائح الزكية والنباتات العطرة. وقد عينا سَيِّد قاسم معاونًا. وعليك ألا تغفل عن أحوال رُماة البنادق والأستاذ مُحَمَّد أمين الجيه جي.

وعندما تصِلُكَ رسالتنا هَذِهِ، تتحرك أختي الكبرى والحريم على الفورِ ولتَكُن مُرشدهم فِي الطريقِ حَتَّى «نيلآب»، و يخرجن بعد أسبوعٍ مِن وصولِ هَذِهِ الرسالة على الأكثر وبدون تأخير وإلا فإن الجُنْد القادمين مِن «الهِنْد» سيعانون مِن هَذَا المكان الضيق وتصبح الولاية خرابًا. ثُمَّ، لقد بالغت كثيرًا فِي الرسالة التي كتبت إلى عبد الله بشأن التوفيق فِي التوبة [عن الشراب]. وهذا الرباعي حائلًا بعض الشيء دون [عودتي للشراب]:

حالي شتات لترك الشراب

لا أعرف ماذا أفعل. إنني حيران

لقد ندم الآخرون ثُمَّ تابوا،

أما أنا فقد تبت أولا،وأنا الآن ندمان.

وقد تذكرتُ إحدى دعابات بنَّائي. فذات يوم قام بنَّائي بمداعبة فِي حضور على شيربك. وكان على شيربك يرتدي صديريا ذا أزرار. فقال: دعابتك لطيفة لذا أعطيك صدريتي.لكن أزرارها لم تنفك فقال بنَّائي: لَيْسَت الأزرار مانعتك، أمّا المانع فتحتها. والعهدة على الراوي، واستميحكم عذرا لمثل هَذِهِ الدعابة. واستحلفكم أن تغضوا الطرف عنها.

معاناة بابُر بسبب الإقلاع عن الشراب:

وقلتُ هَذَا الرباعي أيضا فِي السنةِ الماضية. والحقيقة أن ميلي واشتياقي لمجلس الشراب خلال العامين الماضين كان جامحا حَتَّى أنني كنتُ أبكي أحيانا مِن فرطِ الاشتياقِ للشراب. أما هَذِهِ السنة، فقد زال مِن قلبي تمامًا ذَلِكَ الضِّيق والحمد لله.

وغالبا أنها بركة ويمن تحويل [رسالة الوالدية] إلى نظم. (٣٦١أ) وأنت أيضًا عليك بالتوبة. فالصُحْبَة والشراب يطيبان مع أصدقاء الصُحْبَة والكأس:

الصُحْبَة والشراب تطيب مع الأصدقاء

أما إذا كان أصدقاءُ الصُحْبَةِ والكأس هما شير أَحْمَد وحيدر قُلي، فالتوبة هنا يسيرة.

[أطيب] تمنياتي والسلام.

كتبتُ هَذهِ الكلمات الناصحة فِي يَومِ الخميس غرة جمادى الآخر. وكان لها عليّ عظيم الأثر، وسلمتُ هَذهِ الرسائل إلى شمس الدين مُحَمَّد، وأبلغته ما سيقوله شفاهة، ثُمَّ أذنتُ له فِي ليلةِ الجمعة.

وفِي يَومِ الجمعة، قطعنا ثمانية فَرَاسِخ، ونزلنا جُوَمُنْدنا، وجاء رجل مِن طرف كيتن قرا سُلْطَان يدعي كمال الدين قناق فِي سفارة ومعه شكوى مِن تصرفات أمراء الحدود واختلاطهم [بالأهالي]، ومن اللصوص والغارات. وقد أعطينا الإذن إلى قناق بالذهاب، وكتبنا مرسومًا إلى أمراء الحدود لمنع أعمال السرقة والغارات وأن يحسنوا التصرف والخُلطة. وسلمنا هَذهِ المراسيم إلى مرسال كيتن قرا سُلْطَان ثُمَّ أذِنَّا له [بالمغادرة] ونحن فِي مكاننا هَذَا. وجاء مَن يدعي شاه قُلي مِن عِنْدَ حَسَن چلبي[1] وعرض [عَلَيْنا] كيف دار القِتَال. (٣٦١ب) فكتبتُ رسالة إلى الشاه [طهماسب] بواسطة شاه قُلي، للاعتذار عن تأخر حَسَن چلبي، ثُمَّ أذِنَّا له يوم الجمعة الموافق الثاني مِن الشهر.

وفِي يَومِ السبت، قطعنا ثمانية فَرَاسِخ ونزلنا ككورا وچچاولي مِن مُقاطَعات «كالْپي».

وفِي يَومِ الأحدِ الرابعِ مِن الشهر، قطعنا تسعة فَرَاسِخ. وقمتُ بقص شعري ونحن فِي مقاطعةِ ديده پور مِن مُقاطَعات «كالْپي»، وكنتُ لم أقصه مُنْذُ شهرين ثُمَّ اغتسلتُ فِي نهر سينكر.

(١) سفير الشاه طهماسب

وفي يَومِ الاثنينِ الخامِس مِن الشهر، قطعنا أربعة عشر فَرسَخا، ونزلنا چيركده إحدى مُقاطَعات «كالْپي».

وفي يَومِ الثلاثاءِ التّالي السادس مِن الشهر، وصل تابع هندى[1] لقراچه، و معه المرسوم الذي كتبته [زوجى السَيِّدة] ماهيم إلى قراچه. وكَتَبْتُه بنفس الطريقة التي أُكتبُ بها وفهمنا مِنْهُ أن [السَيِّدة] ماهيم قادمة فِي الطريق. وطلبتُ أن يكون دليلها مِن أهل «لاهور» وبهرة وماحولها، وقد حررتُ هَذا المرسوم فِي «كَابُل» في السابع مِن شهرِ جُمادى الأول.

وفِي يَومِ الأربعاء، قطعنا سبعةَ فَرَاسِخ، ونزلنا مقاطعة آدمپور، وفِي ظهر ذَلِكَ اليوم خَرَجْتُ بمفردي فوصلتُ إلى «نهر جون»، مع بزوغ الفجر. ومن ضَفَّة «نهر جون» اتجهنا إلى أسفل فلما بلغنا قابلة «آدمپور»، خيمنا فِي جزيرة بالقرب مِن مَعَسْكَرِ الجَيْش، وأكلنا المعجون.

وفِي ذَلِكَ اليوم، (٣٦٢أ) جعلنا [المصارع] صادق يصارع كلال الذي جاء متحديًا له. وكان قد طلب أن نُنظِره عشرين يوما حَتَّى يصارعه فِي «آگْرا»، متعللًا بالإرهاق بسبب الطريق وقد مضي على هَذهِ المُهلة أربعين أو خمسين يوما. لذَلِكَ أصبح مضطرا [على المصارعة اليوم] وقد تصارع صادق جيدًا، وطرح كلال أرضًا بمنتهي السهولة. وقد أحسننا على صادق بعشرة آلاف تنكَه، وجواد مسرج، وطقم ملابس، وصديري ذو أزرار. وعلى الرغم مِن هزيمة كلال، فلم نشأ أن نحبطه، وأحسنتُ عَلَيْهِ أيضا بطقم ملابس وثلاثة آلاف تنكَه.

وأمرنا بإنزال العَرَبَات والمدافع مِن السفنِ، وتمهيد المكان، وتعبيد الطريق، وقد توقفنا فِي هَذا المكان ثلاثة أو أربعة أيَّام لحين أنزال العَرَبَات والمدافع.

وفِي يَومِ الاثنين الثاني عشر مِن الشهر، قطعنا اثنى عشر فَرسَخا، ونزلنا «كورره».وفي ذَلِكَ اليوم جئتُ بالهودج. وذهبنا مِن «كورره» اثنى عشر فَرسَخا، فوصلنا «كُرْيَه » إحدى مُقاطَعات «كورره » .

ومن «كُرْيَه» قطعنا ثمانية فَرَاسِخ، ونزلنا «سراي مندا». ولدي وصولنا هُنَاكَ فِي وقتِ العشاء، جاء السُلْطَان جلال الدين والتزم. وقد أحضر معه اثنين مِن أبنائه الصغار.

---

(١) نتبين فيما بعد أن اسمه شهرك بك.

وفِي يَومِ السبتِ التّالِي، السابع عشر[١] مِن الشهر، قطعنا ثمانية فَرَاسِخ، ونزلنا «دكدكي» مِن مُقاطَعات «كره» على ضَفَّة «كُنكَ».

وفِي يَومِ الأحد[٢]، وأثناء مقامنا فِي هَذَا المكان، جاء مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، (٣٦٢ب) وقاسم حُسَيْن سُلْطَان، وبي خوب سُلْطَان وترديكه.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء عَسْكَرِي [مِيرْزا] أيضا إلى ذات المكان والتزم. وكل هؤلاء جاءوا مِن شرق «كُنكَ». وقد أمرنا أن يتقدم عَسْكَري [مِيرْزا] ورِجَاله ويعبروا ذَلِكَ الجانب مِن كُنكَ ويقيموا هُنَاكَ [على الجانب الآخر مِنْهُ] قُبالَة الجَيْش.

وأثناء مقامنا فِي هَذَا المكان، كانت الأخبار تصلنا تباعا مِن المتقدمين بأن مائه ألف[٣] أفغاني انضموا إلى السُلْطَان محمود [اللودي]، وأنه أرسلَ الشَّيْخ بايزيد وبَبن مع عَسْكَر كثير إلى سروار، وتقدم بنفسه مع فتح خان السرواني بمحاذاة ضَفَّة «كُنكَ» إلى «چِنَار». وأن شير خان سور الذي أنعمتُ عَلَيْهِ فِي السنة الماضية، وأعطيتُه مُقاطَعات كَثِيرَة وأقام فِي هَذِهِ الأنحية، قد تخلى عن هَذِهِ المناطق وانضم إلى الأَفْغَان. فجاوز شيرخان وعدد مِن الأُمَرَاء النَّهر إلى الجانب الآخر، وعجز رجل السُلْطَان جلال الدين عن الدفاع عن «بنارس»، فخرج مِنْهَا وهَرَبَ تاركا قوة فِي «حصن بنارس»، وجاء إلى ضَفَّة «كُنكَ» بدعوى أنه سيقاتل [السُلْطَان محمود اللودي].

وتحرك [الجَيْش] مِن «دكدكي»، فقطع ستة فَرَاسِخ، ونزل «كسار» على مَسَافَة ثلاثة أو أربعة فَرَاسِخ مِن «كره». أما أنا فقد جئتُ بالسفينة.وتوقفنا ليومين أو ثلاثة فِي هَذَا المكان بسبب وليمة السُلْطَان جلال الدين. (٣٦٣أ)

وفِي يَومِ الجمعة، نزلنا منازل السُلْطَان جلال الدين[٤] داخل «قلعة كره». فقام

(١) جاءت فِي التركية الثاني عشر.
(٢) هَذِهِ العبارة أغفلتها الترجمة التركية.
(٣) جاءت فيالانجليزية عشرة آلاف.
(٤) ابن حسين شاه من الأفغان

بالضيافة وقدم بعض الطَّعَام. وبعد الطَّعَام خلعتُ عَلَيْهِ هو وأبنائه ملابس قصيرة غير مخيطة. ونزولا على رغبته، خاطبنا ابنه الأكبر بالسُلْطَان محمود.

وتحركنا مِن «أَكْرا» وبعد مسيرة فَرْسَخ نزلنا بضَفَّة «كُنك». وأثناء مقامنا هُنَاكَ، كتبتُ فِي ذَلِكَ اليوم رسالة إلى شهرك بِك الذي جاء مِن طرف [السَيِّدة] ماهيم عِنْدَ مقامنا على ضَفَّة كُنك، ثُمَّ أذنا له. وطلب منى الخوجه كلان حفيد الخوجه يحي الوقائع التي انتهيتُ مِن كتابتها، فأمرتُ بنسخها، وأرسلتها إليه مع شهرك.

تَحَرَّكْنا يوم السبت التَّالِي، وذهبنا مَسَافَة أربعة فَرَاسِخ. [أما أنا فقد] جئتُ بالسفينة، لذا وصلتُ مبكرا إذ كان مَوْضِع نزولنا قريبًا. وبعد مدة، تَعَاطَيْنَا المعجون على ظهر السفينة ودعونا الخوجه عبد الشهيد مِن خيمة نور بِك والمُلَّا محمود مِن خيمة المُلَّا على خان. وبعد أن لبثنا فترة، جاوزنا النَّهْر إلى الطرف الآخر، ودعونا المصارعين ليتصارعوا. وأمرنا دوست يسين خير ألاّ يتصارع (٣٦٣ب) مع المصارع صادق بل مع سواه، ممن هم أقوى مِنْهُ على خلاف المعهود. فأحسن المصارعة مع ثمانية رِجَال.

وعند صلاةِ العصر، جاء السُلْطَان مُحَمَّد بخش بالسفينة، وأبلغنا بهزيمة محمود خان بن السُلْطَان سكندر الذي يسميه المتمردين السُلْطَان محمود. وكان أحد عيوننا قد جاء عند الظهرين هُنَاكَ بنبأ عن هزيمة هؤلاء المتمردين. وقد اتفق فحوى عريضة تاج خان السارنك خاني التي بلغتنا بين الظهر والعصر مع ما أنبأنا به الرجل. وعرض السُلْطَان مُحَمَّد [بخش] ماجرى. فقد جاء [جند] العدو وحاصروا «چنَار»، ودارت مناوشة، وما أن علموا بنبأ مجيئنا يقينا، حَتَّى انقضواعلى أدبارهم خائبين.كذَلِكَ الأَفْغَان الذين عبروا [النَّهْر] إلى «بنارس»، فقد انسحبوا مكرهين، وغرقت سفينتان وعدد مِن رِجَالَهُم عِنْدَ عبور النَّهْر.

وفِي اليوم التَّالِي، قطعنا ستة فَرَاسِخ فوصلنا «سيراولى» مِن أعمال «بياك». أما أنا فقد ذهبتُ بالسفينة.

وكان ايسن تيمور سُلْطَان[1] وتوخته بوغه سُلْطَان، يترقبان لملاقاتي فِي منتصف الطريق، وقد دعوتهما إلى السفينة، وكتب توخته بوغه سُلْطَان، تعويذة، هبَّت [على أثرها] ريح شديدة وبدأ المطر ينهمر. وصار الهواء عليلًا. وكان هَذَا الهواء مدعاة لتناول المعجون. وبالرغم مِن تناولنا المعجون فِي اليوم السابق، فإننا تناولناه اليوم أيضًا. وجئنا إلى المعَسْكَر، وتوقفنا فِي هَذَا المكان لليوم التَّالِي.

وفِي يَومِ الثلاثاء، تحَرَّكْنَا مرة أخري، وتوجهتُ بالسفنة إلى جزيرة خضراء كبيرة قُبَالَة معَسْكَر الجَيْش، وتفرجتُ على المكان، ثُمَّ رجعتُ إلى السفينة فِي الجزء الأول. وأثناء تجولي بالجواد على حافة النَّهْر بغير انتباه، ارتقى الجواد صخرة، وما أن ارتقاها إلا وطارت الصخرة. فقفزتُ مِنْ فَوْقِه فِي الحال، وألقيتُ بنفسي على الشاطيء. لكن الجواد هوى ولوكنتُ على ظهره،لهوينا معا.

وفِي ذَلِكَ اليوم، عبرتُ «نهر كُنكْ» سباحة. وقد عبرتُ كل الأنهار سابحًاولم يتبق سوى«نهر كُنكْ». فقطعته ثلاث وثلاثين مرة. ذهابا وإيابا بدون أن أستريح،وأنا أعد ضربات ذراعي.

وعند المساء، وصلنا إلى مَوْضِع اتصال «نهر كُنكْ» بنهر «جون». وسحبنا السفينة إلى ناحية «بياك»، وجئتُ إلى المعَسْكَر فِي الجزء الرابع مِن الفترة الأولى [مِن الليل].

وفِي يَومِ الأربعـاء، واعتبارًا مِن الجزء الثاني، بدأ الجُنْد فِي تجاوز «نهر جون» وكان [معنا] أربعمائة وعشرين سفينة.

وفِي يَومِ الجمعة غُرة شهر رجب، جاوزتُ النَّهْر.

وفِي يَومِ الإثنينِ الرابع مِن الشهر، تحَرَّكْنَا على عزم التوجه مِن ضَفَّة «جون» إلى «بهار». فقطعنا خمسة فَرَاسِخ، ثُمَّ نزلنا «لواين». وقد جئت أنا بالسفينة. وكان الجُنْد مازالوا يجتازون

(١) جاءت فِي التركية چين تيمور سلطان.

النَّهْر حَتَّى ذَلِكَ اليوم[1]. وأمرتُ بإعادة عربات المدافع [الضربزن] التي أنزلناها فِي «آدمپور» إلى السفن مرة أخرى فِي «بياك»، ودعونا المصارعين للمصارعة، فتصارع كشتي بان اللاهوري مع دوست يسين خير. وبعد مجاهدة كبيرة انتصر دوست بِصُعُوبَةٍ وقد أحسنا على كليهما بكسوة كاملة.

وقالوا إنه هُنَاكَ نهر اسمه «نهر توس» ، وهو نهر آسن مليء بالوحل والمستنقعات. وقد لبثنا هُنَاكَ يومين للبحث عن [المَخَاضَة] وتمهيد طريق. فعثرنا فِي الشمال قليلًا على دَرْب للخيل والإبل. وأمرنا أن تجتازه العَرَبَات المحملة أيضًا،فقالوا أن العَرَبَات المحملة لن تتمكن مِن اجتيازه بسبب عوائق الصخور. (٣٦٤أ)

وتحركنا يوم الخميس، فوصلتُ بالسفينة إلى مَوْضِع اتصال «نهر توس» . وهُنَاكَ غادرتُ السفينة، وتقدمتُ فِي اتجاه أعلى «نهر توس» . وعند صلاة العشاء، وصلتُ إلى مَعْسْكَر الجَيْش وكانوا قد جاوزوا النَّهْر واستقروا. وفِي ذَلِكَ اليوم، قطعتُ ستة فَرَاسِخ. وتوقفنا فِي هَذَا المكان لليوم التَّالِي، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا يوم السبت، فقطعنا اثنى عشر فَرْسَخا، ونزلنا بالطرف الشمالي مِن البلدة. ثُمَّ تقدمنا مِن هُنَاكَ سبعة فَرَاسِخ ونزلنا «نانو پور» .

وأثناء مقامنا فِي هَذَا المكان، جاء تاج خان وأبناؤه مِن «چِنَار»، والتزموا.

وفي تلك الأَيَّام، وصلت عريضة مُحَمَّد بخشي؛ وكانت العائلة وأثقال القصر فِي الطريق مِن «كَابُل» بِشَكْلٍ نهائي.

وَغَادَرْنَا المكان يوم الأربعاء بعد التفرج على قلعة «چِنَار»، وتقدمنا ثُمَّ نزلنا على مَسَافَة فَرْسَخ مِنْهَا.

مرض بَابُر:

أثناء تَحَرَّكْنَا مِن پياك، ظَهَرَ خراج دموي فِي بدني. وكان هُنَاكَ سياح قادم مِن بلادِ الروم ومعه علاج اكتشفه حديثًا. فقام بِغَلْي مطحون الفلفل الأسود فِي إناء، وعرَّضتُ الجرح

(١) أى أن تجاوز الجُند النَّهْر استغرق من يوم الأربعاء إلى يوم الاثنين.

للبخار الساخن المتصاعد مِنْهُ، ثُمَّ غسلتُ الجرح بالماء الساخن. واستمر هَذَا العلاج مدة ساعتين.

وأثناء مقامنا فِي هَذَا المكان، قالَ أحدهم إنه رأي كَرْكَدَنْ وأسدًا فِي الجزيرة القريبة مِن المَعَسْكَر. وفِي الصباح ضربنا دائرة حول الجزيرة، (٣٦٤ب) وأحضرنا الأفيال، ولم يخرج الأسد والكَرْكَدَنْ. وخرج مِن طرف الدائرة حيوان ماندا بَرّي. وفِي ذَلِكَ اليوم هبّت رِيحٌ عاتِيَة، وسبب الغُبار اضطرابا كبيرا. فركبتُ السفينة، ورجعتُ إلى معَسْكَر الجَيْش. وكان الجَيْش قد نزل على بعد فَرْسَخَيْن شمال «بنارس». وتكثر الأفيال فِي الأدغال الواقعة فِي نواحي «چِنَار»، فذهبتُ إلى هُنَاكَ لصيد إحداها.

وجاء تاج خان بخبر عن وجود محمود خان بجوار «نهر سون» . فاستدعيتُ الأُمَرَاء للتداول فِي أمر الإسراع بالسَّيْر إلى العدو. وفِي النهاية، تقرر السَّيْر مرحلة طويلة بدون توقف.فتحركنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا «دَرْب بلوه» بعد مسيرة ثمانية فَرَاسِخ.

وفِي مساءِ يومِ السبتِ الثامنِ عشر مِن الشهر، أرسلتُ طاهر مِن «دَرْب بلوه » إلى «أَكْرا»، ومعه براءة بالنقودِ التي أحسننا به على أولئك الذين جاءوا مِن «كَابُل» باعتبارها نفقة للطريق. وفِي ذَلِكَ اليوم جئتُ بالسفينة، وكنتُ قد ركبتُ السفينة قبيل الصباح، وذهبتُ إلى مَوْضِع اتصال نهرى«كُوي»، و«جونپور»، ثُمَّ اتجهتُ إلى أعلى «نهر كُوي» قليلًا ورجعتُ ثانية. ورغم ضيق النَّهْر (٣٦٥أ) لم تكن به مَخَاضَة. وكان الجُنْد الذين فِي تلك الناحية يعبرون على ظهر السفينة والطَّوْف والخيل الطافية.

وذهبتُ مَسَافَة فَرْسَخ أسفل مَوْضِع اتصال «نهر جونپور». وشاهدتُ المكان الذي تحركتُ مِنْهُ إلى جونپور فِي العام الماضي، وبدا أن ريحا مواتية تأتى مِن أعلى النَّهْر. ففتحوا شراع سفينة البنكالي، وربطوه بسفينة كبيرةً، فأبحرنا ووصلنا بسرعة. وقد استغرق قدوم الجَيْش مِن مدن «بنارس» إلى هَذَا المكان الواقع أعلاها على مَسَافَة فَرْسَخ مِنْها جزئين مِن اليوم. و جاءت أسرع السفن التي لحقت بنا بدون توقف عِنْدَ صلاة العشاء. وكنتُ قد أصدرتُ أمرا إلى مُغُول

بِك بقياس الطريق بخيط قياس فِي كل سير لنا ابتداءً مِن «چِنار»، وكذَلِكَ أصدرتُ أمرا إلى لطفي بِك عِنْدَمَا ركبتُ السفينة بقياس [نفس المسافة مِن] ضّفَّة النّهْر، وكانت المسافة المستقيمة للطريق أحد عشر فَرْسَخا وضّفَّة النّهْر ثمانية عشر فَرْسَخا.

وفِي اليومِ التَّالِي توقفنا فِي هَذَا المكان.

وفِي يَومِ الأربعاء، اتجهنا بالسفينة مِن « غازيپور» إلى أسفل مَسَافَة فَرْسَخ.

وفِي يَومِ الخميس، جاء مُحَمَّد خان النوحاني ونحن فِي ذَلِكَ المكان والتزم. وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء جلال خان ومعه عرائض بَهَار خان البهاري، وفريد خان، وناصر خان، وشير خان سور، وعلاول خان سور، وعدد آخر مِن الأُمَرَاء الأَفْغَان. (٣٦٥ب) وفِي اليوم نفسه، وصلت عريضة عبد العزيز ميراخور وقد حررها مِن «لاهور» فِي العشرين مِن شهر جمادى الأول.

وفِي اليَومِ الذي كتبتُ فيه العريضة، وصل الخادم الهِنْدي الذي أرسله قراچه مِن نواحي «كالْپي»

وقد ذَكَر عبد العزيز فِي عريضتِه أنه ومن [أُلحقوا به] ذاهبون فِي التاسعِ مِن شهر جمادى الآخر لمقابلة العائلة لدى وصولها إلى «نيلاب» وقد رافقهم عبد العزيز إلى «چاناب»، ثُمَّ تركهم هُنَاكَ، وسارع بالذهاب إلى «لاهور» وأرسل هَذهِ العريضة.

وفِي يَومِ الجمعة، تحركتُ بالسفينة، وتفرجتُ على المكان الذي كسفت فيه الشمس السنة الماضية قُبَالَة چوسه، ثُمَّ رجعتُ إلى السفينة. وجاء مُحَمَّد خان مِيرْزا أيضًا بالسفينة مِن كيين، وأكلنا المعجون بتشجيع مِنْهُ.

مِن عقائد الهِنْد:

ونزل الجَيْش بضّفَّة نهر كَرْمناس. وكان الهنود يجتنبون هَذَا النّهْر تماما فلم يجاوزوه، وركبوا السفينة، وجاوزوا «نهر كُنَكْ» المقابل لهذا النّهْر، فهم يعتقدون أنه [ماء] هَذَا النّهْر إذا أصاب الإنسان، فسدت عبادته. وهذا سبب تسميته بهذا الاسم الذي يناسب هَذَا [الاعتقاد].

وذهبنا أعلى نهر كَرْمناس قليلا ثُمَّ رجعنا، ثُمَّ ذهبنا إلى الطرف الشمالي لنهر كُنْكْ، (٣٦٦أ) وأرسينا السفن. ومرح الشباب لفترة وأخذوا يتصارعون. وجاء المتصارعون وتصارعوا. وادعي ساقي محسن أن بمقدوره مصارعة أربعة أو خمسة رِجَال دفعة واحدة. فطلبتُ مِنْهُ أن يتصارع مع رجل واحد، فصمد أمامه قليلًا ثُمَّ انهار. وكان الثاني شاديان. وقد هزم محسن. فخجل وغشيه الانفعال.

وفِي يَومِ السبت التَّالِي، تحركتُ مع الفترة الأولى[1] [مِن اليوم] بسبب الرجل الذي أرْسَلْناه للبحث مِن مَخَاضَة نهر كَرْمناس. فركبْتُ الجواد، وذهبتُ مَسَافَة فَرْسَخ فِي اتجاه المَخَاضَة، ووصلتُ إلى طرف أعلى النَّهْر. ثُمَّ رجعتُ مرة ثانية بسبب بُعد المَخَاضَة، وجئتُ بالسفينة إلى المكان الذي نزلنا فيه. وقد بات الجَيْش على مَسَافَة فَرْسَخ مِن « جُوسَه ».

وفِي ذَلِكَ اليوم، استخدمتُ علاج الفلفل الأسود مرة ثانية وكان ساخنًا بعض الشيء، فتورم جسمي وعانيتُ كثيرًا.

وكان يُوجَد أمامنا مستنقع صغير. فبقيتُ فِي هَذَا المكان إلى اليوم التَّالِي حَتَّى يتم تمهيد طريق.

وفِي مساءِ يومِ الاثنين، كتبتُ الرد على الرسالة التي أحضرها السائر الهِنْدي الذي جاء مِن عِنْدَ عبد العزيز، وأرْسَلْناه.

وفِي صباحِ يومِ الاثنين[2]، تحركتُ بالسفينةُ وقد سحبوها بسببِ [ضعف] الرياح. وجئنا قُبَالَة بكسره التي أَقَمْنَا فيها لفترةٍ طويلة فِي السنةِ الماضية، (٣٦٦ب) وجاوزنا النَّهْر، وتفرجنا على المكان. وقد أَقَمْنَا دَرَجًا حَتَّى يمكن النزول إلى حافة الماء. وغالبا تجاوز عددها الأربعين درجة ودون الخمسين. وقد حمل الماء الدَّرَج كله ولم يبق مِنْهُ سوى الدرجتين العلويتين

(١) ذكرت الانجليزية أنها السادسة صباحا.
(٢) ٢٥ جمادى الأول ٩٣٥هـ=٤ إبريل ١٥٢٨م.

وذهبنا أعلى نهر كَرْمناس قليلا ثُمَّ رجعنا، ثُمَّ ذهبنا إلى الطرف الشمالي لنهر كُنَك، (٣٦٦أ) وأرسينا السفن. ومرح الشباب لفترة وأخذوا يتصارعون. وجاء المتصارعون وتصارعوا. وادعي ساقي محسن أن بمقدوره مصارعة أربعة أو خمسة رِجَال دفعة واحدة. فطلبتُ مِنْهُ أن يتصارع مع رجل واحد، فصمد أمامه قليلًا ثُمَّ انهار. وكان الثاني شاديان. وقد هزم محسن. فخجل وغشيه الانفعال.

وفِي يَومِ السبت التَّالِي، تحركتُ مع الفترة الأولى[1] [مِن اليوم] بسبب الرجل الذي أرْسَلْناه للبحث مِن مَخَاضَة نهر كَرْمناس. فركِبْتُ الجواد، وذهبتُ مَسَافَة فَرْسَخ فِي اتجاه المَخَاضَة، ووصلتُ إلى طرف أعلى النَّهْر. ثُمَّ رجعتُ مرة ثانية بسبب بُعد المَخَاضَة، وجِئتُ بالسفينة إلى المكان الذي نزلنا فيه. وقد بات الجَيْش على مَسَافَة فَرْسَخ مِن « جُوسَه ».

وفِي ذَلِكَ اليوم، استخدمتُ علاج الفلفل الأسود مرة ثانية وكان ساخنًا بعض الشيء، فتورم جسمي وعانيتُ كثيرًا.

وكان يُوجَد أمامنا مستنقع صغير. فبقيتُ فِي هَذَا المكان إلى اليوم التَّالِي حَتَّى يتم تمهيد طريق.

وفِي مساءِ يومِ الاثنين، كتبتُ الرد على الرسالة التي أحضرها السائر الهِنْدي الذي جاء مِن عِنْدَ عبد العزيز، وأرْسَلْناه.

وفِي صباحِ يومِ الاثنين[2]، تحركتُ بالسفينةُ وقد سحبوها بسببِ [ضعف] الرياح. وجئنا قُبَالَة بكسره التي أَقَمْنَا فيها لفترةٍ طويلة فِي السنةِ الماضية، (٣٦٦ب) وجاوزنا النَّهْر، وتفرجنا على المكان. وقد أَقَمْنَا دَرَجًا حَتَّى يمكن النزول إلى حافة الماء. وغالبا تجاوز عددها الأربعين درجة ودون الخمسين. وقد حمل الماء الدَّرَج كله ولم يبق مِنْهُ سوى الدرجتين العلويتين

(١) ذكرت الانجليزية أنها السادسة صباحا.
(٢) ٢٥ جمادى الأول ٩٣٥هـ=٤ إبريل ١٥٢٨م.

فقط. وركبنا السفينة، وأكلنا المعجون، ثُمَّ أرسينا السفينة أعلى قليلًا مِن الجَيْش، وتصارع المتصارعون. ثُمَّ وصلنا مقر الجَيْش وقت صلاة العشاء.

وفِي هَذَا المكان الذي نزل فيه الجَيْش فِي السنة الماضية، عبرتُ « نهر كُنك » سباحةً، قد جاء البعض على ظهور الخيل، وبعضهم على الإبل، وتفرجنا على المكان، وقد أكلتُ الأفيون فِي ذَلِكَ اليوم.

وفِي اليومِ التَّالِي يوم الثلاثاء، أرْسَلْنا كريم بردي، ومُحَمَّد علي حيدر الركابدار، وبابا شيخ ومعهم مائتين مِن الفتية الأكفاء لتقصي أخبار هؤلاء المخالفين. وفِي هَذَا المكان أصْدَرْنَا مرسوما إلى سفير البنكاله بغرض ما جاء فِي المواد الثلاث [المذكورة].

وفِي يَومِ الأربعاء، أرْسَلْنا يونس على إلى مُحَمّد زمان لتقصى الأخبار مِن «بهَار». وقد رجع بجواب غير شافٍ.

وجاء رسولُ أبناء شيوخ «بهَار»، ومعه عريضة وخبر عن [أن العدو] تخلى عن «بهَار» وخرج مِنْها.

وفِي يَومِ الخميس، أعطينا تردي مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك ما يقرب مِن ألفين مِن أمراء الترك و«الهِنْد» ورُماة السهام، وكتبنا مراسيم استمالة إلى أهل «بهَار» (٣٦٧أ) وأذنا له. وعينا الخوجه مرشد العراقي ديوانًا على رأس أمور «بهَار». وأرْسَلْناه مع تردي مُحَمَّد.

وفِي اليَومِ التَّالِي، وافق مُحَمَّد زمان مِيرْزا على الذهاب إلى «بهَار»، وقد التمس عن طريق الشَّيْخ زين، ويونس على، عددًا مِن الرِجَال مساعدين له، فكلفنا بعض الفتية بالعمل مساعدين لمُحَمَّد زمان مِيرْزا، وأعطيناه بعضًا منهم لخدمته.

وفِي يَومِ الجمعةِ غُرة شعبان، تحَرَّكْنا مِن هَذَا المنزل الذي توقفنا فيه هَذهِ الأيَّام الثلاثة أوالأربعة. وفِي ذَلِكَ اليوم ركبتُ الجواد، وتفرجتُ على «بوجپور وبهية»، ثُمَّ رجعتُ إلى الجَيْش.

مقتل السُلْطَان محمود اللودى:

وجاءنا خبر عن من أرسلتهم بقيادة مُحَمَّد علي [لتقصي الأخبار]، فقد هاجموا أثناء

الطريق عددا مِن الكُفَّار، ووصلوا مَوْضِع السُلْطَان محمود، وكان معه ما يناهز ألفي رجل. وعندما علم بأمرهم، اضطرب وقتل فيليه ومضى. وكان قد وضع أحد أفياله في المُقَدِّمَة، فأدركه زهاء عشرين مِن هؤلاء الفتية، فهَرَبَ دون أن يواجههم. فقتلوا عددا مِن رِجَاله، ثُمَّ قطع أحدهم رأس [السُلْطَان محمود] وجاءوا بها، كما جاءوا أيضًا باثنين مِن رِجَاله أحياء.

وتحركتُ بالسفينة فِي اليوم التَّالِي وقد توقفنا هُنَاكَ يومين أو ثلاثة حَتَّى يتجاوز مُحَمَّد زمان مِيرْزا النَّهْر ونشيّعه. (٣٦٧ب).

وفِي يَومِ الثلاثاءِ الرابعِ مِن الشهر، أحسنا على مُحَمَّد زمان مِيرْزا بكسوة خاصة كاملة، وسيف ذى حزام، وفرس أصيل، ومظلة كما أحسنا عَلَيْهِ بولاية «بهَار». وجعلنا مِن «بهَار» خاصةً ريعها مائة وخمس وعشرين مائة ألف، وأسندنا ديوانها إلى مرشد العراقي.

وفِي يَومِ الخميس، تحَرَّكْنَا بالسفينة مِن مقامنا هَذَا. وقد توقفت كل السفن لحين حضوري. وبعد ذَلِكَ أمرتُ بإبحارها، وربطها ببعضها صفا واحدا. ولما كانت كل السفن لم تصل بعد، لذا لم نسد عرض النَّهْر. ولم يمكننا الإبحار بالسفن طويلًا إذ كانت بعض مواضع النَّهْر ضحلة، وبعضها الآخر عميقا، والبعض متدفقا، والبعض الآخر ساكنا. وقد ظهر تمساح فِي صف السفن، ففزعت مِنْهُ سمكة وقفزت عاليًا وسقطت داخل إحدي السفن، فأمسكوا بها وأحضروها.

وعندما وصلنا إلى مستقرنا، أطلقنا أسماءً على السفن، فأطلقنا على السفينة الكبيرة التي بنيت فِي «أَكْرا» قبيل حرب سنكا اسم أسايش. وكان أرايش خان قد أمر قبيل الخروج للحملة هَذَا العام (٣٦٨أ) بِبَنَاء سفينة وقدمها هدية. ولدى مجيئنا هَذِهِ المرة، أمرتُ بعمل مرساة لها، وقد أطلقنا على هَذَا السفينة اسم أرايش. وأمرتُ بعمل مرساة أخرى كبيرة للسفينة الكبيرة التي أهداها السُلْطَان جلال الدين. وأطلقتُ عَلَيْهَا اسم كنجه يش. وقد عملوا [فِي هَذِهِ المرساة] مرفأ به زورق صغير كانوا يرسلونه فِي المهام المختلفة، وقد أطلقنا على هَذَا الزورق اسم فرمايش.

وفِي يَومِ الجمعةِ التَّالِي، لم نتحرك. وكان مُحَمَّد زمان مِيرْزا قد ابتعد عن الجَيْش لمسافة

فَرْسَخ أو اثنين لينتهي مِن استعداداته للذهاب إلى «بَهَار». وقد جاء فِي ذَلِكَ اليوم لطلب الإذن بالذهاب.

وجاء جاسوسان مِن جندِ البنكاله وقالا: إن البنكاله بقيادة مخدوم عالم، قسَّموا ضَفَّة نهر كندك[1] إلى أربع وعشرين قسما، ووضعوا المتاريس، وأنهم لم يسمحوا الأَفْغَان الذين تحت قيادة السُلْطَان محمود الراغبين فِي نقل عائلاتهم ومتاعهم بالمرور مِن هُنَاكَ، وأنهم انضموا إليهم. وعندما علمنا بهذا الأمر، منعنا مُحَمَّد زمان مِيرْزا مِن الذهاب لاحتمال أن تنشب الحرب، وأرْسَلْنا شاه سكندر إلى «بَهَار» ومعه ثلاثمائة أو أربعمائة رجل.

وفِي يَومِ السبت، جاء رجل مِن عِنْدَ [السَيِّدة] دودو[2] وابنها جلال خان ابن حاكم «بَهَار» (٣٦٨ب). وكان البنكالى يحافظ عَلَيْها كبُؤبُؤ العين.[ليعلمنا] إنهم حاربوا البنكاله وتخلصوا منهم بِصُعُوبَةٍ، ثُمَّ عبروا النَّهْر وجاءوا إلى أنحية «بَهَار»، وإنهم فِي الطريق ليلحقوا بنا.

وفِي ذاتِ اليَومِ، أرسلتُ مرسوما إلى إسماعيل متا سفير البنكاله، بخصوص تأخر الرد على النقاط الثلاث التي سبق أن أرْسَلْناها، وأنهم إن كانوا مخلصين ومتفقين معنا حقا، فليسرعوا فِي إرسال الرد.

وفِي مساءِ يَومِ الأحد، جاء رسول تردي مُحَمَّد و چَنْكِچَنْك [لِيُنهي إلينا أنه] عِنْدَمَا صارت مُقَدِّمَة [جيشها] على مَقْرُبَةٍ مِن «بَهَار» فِي صباح يوم الأربعاء الخامس مِن شهر شعبان، خرج عامل «بَهَار»مِن البابِ الآخر وهَرَبَ.

وفِي يَومِ الأحد[3]، تَحَرَّكْنَا مِن مكاننا هَذَا، ووصلنا مقاطعة «آري». وهُنَاكَ بلغنا خبر استقرار جُنُود «خَرِيد»[4] على الضفة المقابلة مِن «نهر سَرْو» فِي مَوْضِع اتصال [نهرى] «سَرْو» و«كُنْك» ومعهم مائه أو مائه وخمسين سفينة. ولأن لنا مع البنكالى ما يشبه الصُّلح،

---

(١) جاءت فِي التركية نهر كنك = الجانج.
(٢) زوجة بهار خان.
(٣) فِي الانجليزية [وفي صباح يوم الأحد].
(٤) فِي الفارسية فريد.

فقد جنحتُ إلى الصُّلح مِن باب التَيَمُّنِ بمثْلِ هَذهِ الأعمال. ورغم أنهم أتوا بتصرفات تخلو مِن الأدب وحادوا عن سبيلنا، فقد قررنا مراعاة القاعدة القديمة والسماح بذهاب إسماعيل متا سفير البنكالى مع المُلَّا مُحَمَّد مذهب (٣٦٩أ) ليبلغهم ثلاثة وعود.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء سفير البنكالى للملازمة فأذنا له، وأبلغناه: إننا متوجهون إلى هنا وهُنَاكَ لدفع العدو. ولن يصيب الأماكن أو المياه التي تخصكم ضرر أو خسارة. ولاسيما أن هَذَا كان أحد الوعود الثلاثة. وليبلغ عَسْكَر «خَرِيد» أن يخلو الطريق، ويذهبوا إلى «خَرِيد» لاستمالة أهلها وليعيدوهم إلى أماكنهم، وليذهب معهم عدد مِن الترك. وليعلموا أنهم إن لم يبتعدوا عن الطريق، ويتخلوا عن هَذَا الادعاء الغريب، فعَلَيْهِم سوء العاقبة، وأن كل ما سيحل بهم أنما هو مِن أنفسهم ومن أعمالَهُم.

وفِي يَومِ الأربعاء، خلعنا على إسماعيل متا مبعوث البنكالى خلعة معتادة، وأذنا له.

وفِي يَومِ الخميس، أرسلتُ الشَّيْخ جمال إلى دودو وأبنها جلال خان بمراسيم الاستمالة وكلمات العناية. وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء خادم [السَّيِّدة] ماهيم وأحضر معه رسائل. وكان قد انفصل عنهم أثناء مرورهم مِن خلف «باغ صفا» [(١)].

وفِي يَومِ السبت، استقبلتُ مراد القورچى قجر سفير العراق.

ويَومُ الأحدِ، سلمتُ المُلَّا مُحَمَّد مذهب الهدايا المعتادة وأذنا له.

ويومُ الاثنينِ، أرْسَلْنا خليفة وبعض الأُمَرَاء للبحث عن المكان الذي يمكن عبور النَّهر مِنْهُ. (٣٦٩ب)

وفِي يَوم الأربعاء، أرْسَلْنا خليفة مرة أخري لرؤية ما بين النَّهْرين. وذهبتُ للفرجة على زهور النيلوفر [(٢)] قريبا مِن الطرف الجَنُوبِيّ لمقاطعة آري. وأثناء مشاهدتى لها، أحضر الشَّيْخ كوران بعض مِن بذور لنيلوفر الطازجة، وهي طيبة المذاق وتشبه الفستق، ويطلق الهنود على

(١) جاءت فيالانجليزية الذى انفصل عنهم عند والعلى الجانب الآخر من باغ صفا.

(٢) هى زهور اللوتس.

زهور النيلوفر اسم كول ككرى، وعلى بذورها اسم دوده.

وقالوا إن «سون» قريبة مِن هَذَا المكان. فذهبنا وتفرجنا عَلَيْهَا. وشاهدنا أشجارا كثيفة على نهر «سون». وقالوا إن هَذَا المكان يسمى «منير»، و بِهِ مزار الشَّيْخ يحي ابو الشَّيْخ شرف الدين المنيري. ولأننا كنا على مقربة مِنْهُ، فقد عبرنا [نهر] «سون»، واتجهنا لأسفل مَسَافَة فَرْسَخَيْن أو ثلاثة فَرَاسِخ، وتفرجنا على منيرثم جاوزنا حدائقها وطوفنا بالمزار، ثُمَّ رجعنا إلى ضّفَّة «نهر سون» ، واغتسلنا فيه، وصلينا الظهر قبيل وقته، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا فِي اتجاه مَعَسْكَر الجَيْش مباشرة.

ونظرًا لأن الخيول أصابها المرض، فقد تخلف بعضها، وأصاب التعب البعض الآخر، وأمرتُ بأن يتخلف عنا البعض ليجمعوا الخيول المريضة، ويقدموا لها الماء والعلف، ويأتون بها على مهل. ولولا هَذَا، لنفق الكثير مِن الخيل.

وأثناء العودة مِن منير، طلبتُ أن يحصي كل رجل عدد خطوات جواده مِن ضّفَّة «سون» إلى المَعَسْكَر. وقد أحصيناها مِن « منير » إلى «سون» فوجدناها ثلاثة وعشرين ألف (٣٧٠أ) ومائه خطوة، وهي تعادل ست وأربعين ألف ومائتي قدم، أو أحد عشر فَرْسَخا ونصف. [فضلا عن] نصف فَرْسَخ آخر. وهكذا نكون قد قطعنا فِي العودة اثني عشر فَرْسَخا. وفِي الذهاب كانت المسافة خمسة عشر أو ستة عشر فَرْسَخا لأننا توجهنا للتفرج على كل مكان [فِي طريقنا].

وبهذا نكون قد قطعنا ثلاثين فَرْسَخا فِي المشاهدة والتفرج فِي يَومٍ واحدٍ. ورجعنا إلى المَعَسْكَر بعد الجزء السادس مِن الفترة الأولى مِن الليل[(١)].

وفِي يَومِ الخَمِيسِ التَّالِي، جاء مِن «جونپور» السُلْطَان جُنَيْد برلاس والفتيان الذين فِي جونپور. ولم أستقبلَهُم عتابًا لَهُم بسبب تأخرهم. واستدعيتُ القاض جيا، وقابلته.

---

(١) جاءت فِي الانجليزية أنها تساوي الساعة الثامنة والربع مساءً.

التخطيط للحرب مع [نصرت شاه] البنكالي:

وفِي ذَلِكَ اليوم، دعوتُ أمراء الترك، و«الهِنْد» للمشاورة، وتكلمنا بشأن عبور النَّهر، وقررنا الآتي: أن يضع الأستاذ عليقُلي [مدافع] القازان، والفرنكى، والضربزن [1] فِي مَوْضِع مرتفع بين «نهرى كُنكْ»، و«سرو»، ويبدأ القِتَال مِن مكانه هَذَا مع بعض مِن رُماة البنادق. وفِي الجزيرة الواقعة فِي الجنوب قليلا مِن مَوْضِع اتصال النَّهْرين، نزل البنكالى ومعه فيل وعدد كبير مِن السفن. وفي الجهة المقابلة ناحية «بهَار» مِن «نهر كُنكْ»، يقوم مصطفي باستكمال الآلات والأدوات[اللازمة للقتال] ويقاتل مِن هُنَاكَ. ويتواجد معه عدد كبير مِن رُماة البنادق. ويعاونه مُحَمَّد زمان مِيرْزا والعساكر التي مع مصطفي. (٣٧٠ب) كما يعين مع الأستاذ عليقُلي ومصطفي عدد كبير مِن المختصين بالاستحكامات والعمال وجاوشيه، لاختيار المكان وتهيئته لإطلاق [مدفع] الضربزن ووضع [مدفع] القازان.

فجمعوا الأدوات واللوازم، وانشغلوا بالاستعداد [للقتال]. وانطلق السلاطين والأمراء والخانات [2] بسرعة، فاجتازوا «سَرْو» مِن مَخَاضَة «هَلْدي»، ومِن مكانهم هَذَا أصبحوا مُسْتَعِدِّين للسير إلى العدو فِي الوقت المحدد. وفي هَذهِ الأثناء، عرض [عَلَيْنَا] السُلْطَان جُنَيْد والقاض جيا أن هُنَاكَ مَخَاضَة على مَسَافَة ثمانية فَرَاسِخ جهة الشمال. أمرتُ واحدا أو اثنين مِن البحارة بالذهاب مع رِجَال السُلْطَان جُنَيْد، ومحمود خان، والقاض جيا للبحث عن هَذهِ المَخَاضَة، واجتيازها فِي حال الوصول إليها. فقد كان يتردد بين النَّاس أن البنكالي يفكر فِي تعيين رجل عِنْدَ مَخَاضَة «دِهْلي».

وجاءت عريضة محمود خان عاملنا على «سكندرپور»، يعلمنا أن هُنَاكَ زهاء خمسين مركبا متجمعة عِنْدَ مَخَاضَة «هَلْدي» فِي حوزة القباطنة، لكنهم وَجِلون مِن خبر مجيئ البنكاله.

(١) أنواع من المدافع.
(٢) جاءت فِي الانجليزية سار عسكرى [ميرزا] والسلاطين، وجاءت فِي الفارسية عسكرى وهؤلاء الخانات والسلاطين.

تخطيط بابُر للقتال مع البنكاله:

ونظرًا لضيق الوقت للبحث عن مَخَاضَة «نهر سَرْو»، فقد دعوتُ الأُمَرَاء فِي يَومِ السبت لتداول الأمر دون انتظار مِن ذهبوا للبحث عن مَخَاضَة، وقلتُ لَهُم:

هناك مخاوض لنهر سَرْو فِي كل مَوْضِع فِي «سكندر پور» مِن «چترموك» حَتَّى «أود» وبهرايج. وإذا كان لابد لنا مِن الانتظار، فلنعين فوجا كثيفا [بقيادة عَسْكَري [مِيرْزا] يجاوز مَخَاضَة «هَلْدي» (٣٧١أ) بالسفن ويهاجم العدو. وإلى أن يصلوا هؤلاء، ينشغل الأستاذ عليقُلي، ومصطفي بإطلاق المدفع والبنادق والضربزن، والأفرنجي للتمويه على العدو. بَيْنَمَا نعبر نَحْنُ «نهر كُنَك». ويجب أن يتم تيعين مساعدين للمُعَلِّم عليقُلي، ونكون نَحْنُ على أُهْبَة الاستعداد. وعندما يقترب ذَلِكَ الفوج بقيادة عَسْكَري [مِيرْزا]، نعبر بدورنا للقتال فِي المنطقة التي سيفضى إليها الدَرْب ونهاجم. وينشغل مُحَمَّد زمان مِيرْزا والذين معه بالقِتَال بجانب مصطفي فِي ناحية «بهَار» مِن «نهر كُنَك». وهذا ما قررناه. وقسمنا الجُنْد الموجدين فِي شمال كُنَك إلى أربعة أفواج، وأرسَلْناهم تحت قيادة عَسْكَري [مِيرْزا] صوب مَخَاضَة «هَلْدي» فوج مِن رِجَال عَسْكَري [مِيرْزا] وتحت قيادته، وفوج مع السُلْطَان جلال الدين شرقي، وفوج مِن سلاطين الأُزْبَك؛ قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وبيخوب سُلْطَان، وتانكاتمش سُلْطَان، ومحمود خان نوحاني، وغازي يوري، كوكي بابا قاشقة، تولميش أوزبك، وقربان جرخي، وأمراء الإقطاعات بقيادة حُسَيْن خان. وفوج مكون مِن موسي سُلْطَان، وسُلْطَان جُنَيْد، وجند جونپور وعددهم تخمينا يناهز العشرين ألفا. وفِي مساء ذات اليوم الأحد (٣٧١ب) عينا الجاوشية لسوق الجَيْش.

وفِي صباح الأحد، بدأ الجَيْش فِي اجتياز «نهر كُنَك» إلى الطرف الآخر. ومع الطرقة الأولي[1] ركبتُ السفينة. ومع الفترةِ الثالثة، رجع مَن ذهبوا للبحث عن مَخَاضَة [النَّهْر]. ولم يكونوا قد اهتدوا إليها بعد. وقالوا إنهم صادفوا فِي الطريق السفن والأفواج التي تم تعيينها.

---

(1) جاءت فِي الانجليزية أنها تقابل الساعة السادسة صباحا.

تجربة إطلاق المدافع:

وفِي يَومِ الثلاثاء، نهضنا مِن المكان الذين عبرنا مِنهُ النَّهْر، وتوقفنا على مَسَافَة فَرْسَخ تقريبا مِن مَوْضِع اتصال الأنهار ببعضها، حيث ميدان المَعْرَكَة. وذهبتُ بنفسي، وتفرجتُ على إطلاق الأستاذ عليقُلي للإفرنجي، والضربزن، وفِي ذَلِكَ اليوم، رمى الأستاذ على قُلي السفن بحجارة الإفرنجي فكسرها وأغرقها. ومن الجهة الأخرى رمى مصطفي [الرومى] سفينتين بحجارة [الإفرنجي] فأغرقهما. وأحضرنا المدفع الكبير إلى ميدان القِتال، وكلفنا مجموعة مِن الفتية المختارين والْقُواسين[1] والجاوشية مع المُلّا غلام ليكونوا مساعدين له. ثُمَّ رجعنا إلى جزيرةٍ قُبالَة الجَيْش وأكلنا المعجون. وبعد أن أكلتُ المعجون، أمرتُ أن يسحبوا السفينة قريبا مِن الخيمة، وغفوتُ بها.

وفِي ذَلِكَ المساء، وقع حادث غريب، فعند الطرقة الثالثة مِن الليلة، تعالت فِي السفينة زيطة وجلبة، وأخذ كل واحد مِن الأُمَرَاء وغيرهم قطعة مِن خشب، وأخذوا يتصايحون "إنها الحرب، الحرب، الحرب!". وكان سبب هَذهِ الزَّيْطَة أن السفينة فرمايش كانت بجوار السفينة «آسايش» التي أنام بها (٣٧٢أ) وعَلَيْها أحد الحراس، وعندما استيقظ مِن نومه ونظر، رأى رجلا يتسلق السفينة «أسايش» فألقى بنفسه عَلَيْهِ، وأسقطه فِي النَّهْر، وعندما خرج مرة ثانية، ضرب رأس الحارس بالسيف فأصابه ببعض الجروح، ثُمَّ ألقى بنفسه إلى النَّهْر ليهرَب.

كذَلِكَ فِي اللَّيْلَة التي أتينا فيها مِن «منير»، تشاجر واحد أو اثنان مِن الحرس المَوْجُودِين قُرب السفينة مع بعض الهنود، وكان معهم سيفًا أو اثنين وخنجرا. لكن الله ستر.

لو أن كل سيوف الدنيا أُشهِرَت،
فلن تقطع عِرْقا إلا بمشيئة الله.

---

(١) فِي الأصل يساول. ولها عدة معانٍ، منها حاملو الأوامر، والحرس، وقوات الاعتراض.، وقد اخترنا من بينها هَذا المعنى. حامل الأقواس لتناسبه مع ساحة القِتال،

وفي يَومِ الأربعاء التَّالِي، ركبْتُ [السفينة] غنجايش، واقتربتُ مِن مَوْضِع إطلاق الحجارة وحددتُ لِكُلّ سفينة مهمة مختلفة.

وقد أرْسَلْنا ما يناهز الألف مِن الفتيان بقيادة أوغان بيردي المُغُولي لمسافة فَرْسَخَيْن أو ثلاثة فَرَاسِخ إلى أعلى ليعبروا النَّهْر بأية طريقة. وأثناء ذهابهم عبر البنكاله النَّهْر بعشرين أو ثلاثين سفينة قُبَالَة موقع جيش عَسْكَري [مِيرْزا]، وخرجوا مشاة وأفواجا، وهم يتوهمون أن [بمقدورهم أن] يشنوا هجوما. فهجم عَلَيْهِم جند عَسْكَري [مِيرْزا] بخيلَهُم، فدفعوهم للفرار. وقتلوا بعضهم وقطعوا رؤوسهم، ورموا الكثير منهم بالسهام، وغنموا منهم سبع أو ثمان سُفُن.

وفي اليوم نفسه، كان البنكاله يعبرون النَّهْر ببضع مراكب مِن ناحية مُحَمَّد زمان مِيرْزا (٣٧٢ب) لقتاله. فشدد عَلَيْهِم الهجوم فلاذ البنكاله بالفرار، وغرق منهم رِجَال ثلاث سفن وغنموا سفينة، وجاءوا بها عندنا. وقد أحسن بابا چهرة التصرف هُنَاكَ، وقهر العدو.

وقد أصدرتُ أمرًا إلى أوغان بردي بسحب سبع أو ثمان مِن السفن التي استولينا عَلَيْهَا إلى الشمال فِي عتمة الليل، وأن ينقل بها مُحَمَّد سُلْطَان الذي تقرر نقله سلفا والخوجه يكه، ويونس على أوغان بردي ورِجَالَهُم.

وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء رسول عَسْكَري [مِيرْزا]، وأبلغنا أنهم جاوزوا النَّهْر جميعًا وسيتوجهون إلى العدو فِي صباح اليوم الثاني الموافق يوم الخَمِيس.

وأصدرتُ أمرًا إليهم بأن ينضموا إلى عَسْكَري [مِيرْزا] ويهاجموا العدو. وعند الظهر، أتى رجل مِن عِنْدَ الأستاذ [عليقُلي]، وأبلغنا أنه أعَدَّ الحِجَارة. وقد أمرتُ بإطلاق تِلْكَ الحِجَارة، وتَجْهِيز حِجَارة أخري لحين مجيئى. وعند صلاة العصر، ذهبتُ بزورق بنكالي صغير إلى مكان المدافع. وقد أطلق الأستاذ على قُلي حجرًا كبيرًا، وعددا مِن [المدافع] الأفرنجي.

والبنكال مشهورون بإطلاق النار. فقد اتخذوا مكانًا للتصويب، ولم [يحسنوه] بل كانوا يُطْلِقُون [النار]على غير هدى. لكن تجربتنا هَذهِ المرة كانت جيدة.

وعند صلاةِ العصر. أصدرتُ أمرًا بسحب بضع سُفُن عبر «نهر سَرْو» إلى الطرف

الآخر، وقام رِجَال سحب السُّفُن، بسحب عدد مِنْها بلا خوف أوخفاء. (٣٧٣أ) وأصدرنا الأمر إلى ايسن تيمور سُلْطَان، وتوخته بوغه سُلْطَان، وبابا سُلْطَان، وأرايش خان، والشَّيْخ كوراني أن يرابطوا فِي المكان الذي ستنقل إليه السفن، وأن يحافظوا عَلَيْهَا.

ورجعتُ مِن هُنَاكَ، فبلغتُ مَعَسْكَر الجَيْش فِي الفترة الأولى [مِن الليل]. وقبيل منتصف الليل جاء خبر مِن السفينة التي سحبناها إلى أعلى بأن المجموعات المُكَلَّفة بسحب السُّفُن قد تقدمت كثيرًا إلى الأمام، فشعر البنكاله بهم، ودارت المَعْرَكَة. وقد أُصيب قدم أحد البحارة بحجر فانكسرت ولم نتمكن مِن اجتياز [النَّهْر].

وفِي صباحِ يومِ الخميس، جاء خبر مِن الذين فِي الخندق [يقول] جاء الجميع مِن ناحية أعلى [النَّهْر] فامتطى فرسان العدو خيولَهُم، وتحركوا ضدهم. وعلى الفور، امتطيتُ الجواد، وانطلقتُ إلى السفن التي نقلناها إلى ذَلِكَ الجانب مِن النَّهْر، فوصلتُ مساءً. وأرسلتُ رجلًا إلى مَن تقرر أن يعبروا النَّهْر تحت قيادة مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا ليعبروه فورًا، وينضموا إلى عَسْكَري [مِيرْزا].

وكان أيسن تيمور سُلْطَان، و توخته بوغه سُلْطَان، فِي هَذهِ السفن. وقد أمرتهم أن يبدأوا فِي عبور [النَّهْر]. ولم يكُنْ بابا سُلْطَان قد وصل بعد إلى المكان المحدد. وعلى الفور ركب أيسن تيمور سفينة ومعه ثلاثين أو أربعين مِن رِجَاله، ووضعوا خيولَهُم فِي جانب السفينة احتياطيًا، (٣٧٣ب) وجاوزوا [النَّهْر] وتبعتهم سفينة أخرى. وتقدمت إليهم مجموعة كبيرة مِن البنكاله الذين شاهدوهم وهم يعبرون، فانطلق سبعة أوثمانية مِن رِجَال ايسن تيمور سُلْطَان بخيولَهُم، وتصدوا لهذا الحشد مِن المشاة واستدرجوهم إلى ناحية أخرى. واشتبكوا معهم[1]، إلى أن يمتطى [أيسن تيمور] سُلْطَان جواده. وعبرت السفينة الثانية، وتعارك ثلاثون أو خمس وثلاثين فارسا مع المشاة المحتشدين، وهزموهم هزيمة منكرة.

وكان أداء [أيسن تيمور سُلْطَان] مميزا. فقد عبر أولًا وقبل الجميع بلا وجل، ثُمَّ تقدم بعدد

(١) جاءت فِي الانجليزية وأطلقوا عليهم السهام. وجاءت فِي التركية،وتبارزوا معهم سيفا بسيف

محدود مِن الرِجَال لمواجهة المشاه المحتشدين وهزمهم. كما عبر توختته بوغه سُلْطَان، ولحق به الآخرون تباعًا. كما بدأ أهل «لاهور» والهنود فِي اجتياز النَّهْر بطريقتهم الخاصة، فمنهم مَن عبر مستخدما لوحاً[1]، ومنهم مَن عبر مستخدما حزمة مِن خيزران. وما أن رأت سفن البنكاله المتجمعة قُبَالَة الخندق هَذَا، حَتَّى بدأت فِي الانسحاب صوب أسفل النَّهْر. وعبر درويش مُحَمَّد ساربان، ودوست أشيك أغا[2]، وبعض الفتية الآخرون، مِن أمام الخندق [إلى الجهة المقابلة]. وأرسلتُ رجلًا إلى السلاطين، ليبلغهم أمرنا بأن يتجمع الذين عبروا، ويقتربوا مِن مجموعه [ألْقُوات] التي فِي ذَلِكَ الطرف، ويسيروا مِن جنبهم ويهاجموا العدو. (٣٧٤أ) وضم السلاطين إليهم [أولئك] الذين عبروا، وقسّموهم إلى ثلاث أو أربع مجموعات وتوجهوا إلى العدو.

ولدى اقترابهم، ضم العدو مشاتَهُ إلى المُقَدِّمَة، وحثوا الخطى بصفوف منظمة. وجاء كوكى[3] مِن الفَوْجِ الذي تقدم مع عَسْكَري [مِيرْزا] وأدركهم. فلحقهم كوكى مِن ناحية والسلاطين مِن الناحية الأخرى، وشنوا الهجومَ على العَدُوِّ، وضربوه وهزموه. وأدْرَكَ رِجَال كوكى، أحدَ الكُفَّار المُعْتَبَرين ويدعي بسنت راو، فقطعوا رأسه، كما وقع فِي يدهم عشرة أو خمسة عشر رجل مِن رِجَاله فمزقوهم إربا[4]. وجاء توختته بوغه سُلْطَان، فِي مواجهة العدو، وأعمل فيهم السيف، وقاتلَهُم. كما التحم عبد الوهاب مُغُول وأخوه الصغير، بالسيف مع العدو. ولما كان [عبد الوهاب] المُغُولي لا يعرف السباحة، فقد اجتازَ النَّهْر بدرعه، وممسكا بعرف فرسه.

وكانت سفننا وراءنا، فأرسلتُ رجلًا إليها. وتقدمت السفينة «فرمايش» إلى الأمام قليلا. فركبْتُها وجاوزتُ النَّهْر، وتفرجتُ على أماكن البنكاله. ثُمَّ ركبتُ السفينة كنجه يش، واستفسرتُ عن الطرف العلوى [للنهر]. وقد عرض مير مُحَمَّد جاله بان أن اجتياز «نهر سَرْو» يكون

(١) جاءت فِي الانجليزية سباحة.
(٢) أضافت الانجليزية ونور بِك.
(٣) أحد القواد الذين عملوا مع بابُر واسمه كوكى بابا قاشقه.
(٤) الجملة من أول كما وقع فِي يدهم. إلى نهايتها أغفلتها الترجمة التركية.

أَفْضَل مِن الشمالِ قليلا. وقد أمرتُ أن يبدأ الجُنْد فِي اجتياز النَّهْر مِن المكانِ الذي أشار به. كما أَصْدَرْنَا الأمر إلى أولئك المَوْجُودِينَ تحت قيادة مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا (٣٧٤ب) باجتياز النَّهْر. وأثناء اجتياز النَّهْر، غرقت سفينة الخوجه يكه، وانتقل إلى رحمة الله. وقد أحسنا على أخيه الأَصْغَر الخوجه قاسم برِجَاله وولايته.

وأثناء الاغتسالِ قبل الصلاة، جاء السلاطين، فأظهرتُ لَهُم حَسَن القبول، وبعثنا فيهم الأمل فِي عنايتنا وشفقتنا. وفِي تلك الأثناء، جاء أيضًا عَسْكَري [مِيرْزا]. وكان هَذَا أول أمر يضطلع به عَسْكَري [مِيرْزا]. وكان موفقا فيه.

وفِي ذَلِكَ المساء، نمت فِي السفينة «كنجه يش» عِنْدَ إحدى الجزر حيث أن مُعَسْكَر الجَيْش لم يَكُنْ قد انتقل بعد.

وفِي يَومِ الجمعة، وصلنا قرية «كندبه» بمقاطعة «نرهن»مِنتوابع «خَرِيد» فِي شمال «نهرسَرْو».

وفِي يَومِ الأحد، أرسلتُ كوكي ورِجَاله إلى «حاجي پور» لتقصي الأخبار.

كما أحسن الشاه مُحَمَّد معروف الذي أَظْهَرْنَا له رعاية كبيرة لدى مجيئه السنة الماضية، وأعطيناه ولاية سارن، التصرف أكثر مِن مرة، وقاتل والده معروف مرتين وهزمه وأسره. وعندما استولي السُلْطَان محمود [اللودي] على «بِهَار»غدراً، اضطّر إلى الانْضِمام إليه، وسار ضد بِبَن والشَّيْخ بايزيد. وفِي تلك الأَيَّام. تَوَالَت عرائضه إلينا، وخاضت الألسن فِي حقه كثيرا. وبمجرد اجتياز عَسْكَري [مِيرْزا] مَخَاضَة «هَلْدي»، جاء مع رِجَاله، وقابله (٣٧٥أ) وسار معه ضد البنكاله. وقد جاء أثناء وجودنا فِي هَذَا المكان والتزم.

وفِي تلك الأَيَّام، كانت الأخبار تَتْرَى عن الشَّيْخ بايزيد، وبِبَن. وقد حزما أمرهما على عبور«نهرسَرْو». وفِي تلك الأثناء، بلغنا خبر غريب عن سُنْبُل ، وكان بها على يوسف الذي أحسن الضبط والربط فيها، فقد انتقل إلى رحمة الله هو وطبيبه المصاحب له فِي ذات اليوم. فقررنا إرسال عبد الله إلى هُنَاكَ لتنظيم شئونها وإدارتها، وسمحنا له بالذهاب إلى هُنَاكَ فِي يَوم

الجمعة الخامس مِن شهر رمضان، سُنْبُل .

وفي تلك الأَيَّام، وصلت عريضة مِن چين تيمور سُلْطَان بأن الأُمَرَاء المكلفين لم يتمكنوا الانضمام إليه بسبب مجيء العائلة مِن «كابُل». وأن مُحَمَّدي وآخرين رافقوه مَسَافَة مائه مِن فَرْسَخ. وهزموا البلوج هزيمة جيدة. وأرسلتُ المراسيم مع عبد الله إلى چين تيمور سُلْطَان، والسُلْطَان مُحَمَّد دُلداي ومُحَمَّدى وبعض الأُمَرَاء الأخرين هُنَاكَ، أمرهم بالتجمع فِي «أكرا» مع چين تيمور سُلْطَان، وأن يكونوا علىأُهْبَة الاستعداد،ويتحركوا إلى حيثما يولىالمخالفين وجوههم.

وفي يَومِ الاثنينِ الثامنِ مِن الشهر، جاء جلال خان حفيد دريا خان الذي أرْسَلْنا إليه شيخ جمالي (٣٧٥ب) ومعه كل الأُمَرَاء المعتبرين، والتزموا.

وكان يحي النوحاني قد أرسلَ أخاه الأَصْغَر وأظهر الخضوع والطاعة، وقد تلقى مرسوما بقبوله. وقد جاء بدوره فِي ذات اليوم والتزم. ولأن سبعة أو ثمانية آلاف نوحاني وأفغاني جاءوا تحدوهم بعض الآمال، فلم أشأ أن أخيب آمالَهُم، وجعلتُ مائة مائة ألف مِن «بهَار» ملكا خاصا، وأحسنتُ على محمود خان النوحاني بخمسين مائة ألف مِن «بهَار»، وسلمتُ الباقى إلى جلال خان على أن يقدم مائة مائة ألف رمزا للتبعية. وأرْسَلْنا المُلّا غلام يساوول لتحصيل هَذهِ الأموال. وأعطينا ولاية «جونپور» إلى مُحَمَّد زمان مِيرْزا .

وفي مساءِ الخميس، جاء خادم خليفة، واسمه غلام على ومعه رجل مِن عِنْدَ الشاهزاده منكير اسمه ابو الفتح، جاءوا قبل إسماعيل متا لنقل الشروط الثلاث المار ذكرها. وقد أحضر غلام على وأبو الفتح هَذَا، إلى خليفة الرسائل التي كتبها الشاهزاده منكير ووزير حَسَن خان لنكر. وقد قبل الشروط الثلاثة آخذين على عاتقهم مسألة نصرت شاه، وعرضوا التوسط بيننا فِي الصُلْح. ولما كانت هَذهِ الحملة مِن أجْلِ دفع الأَفْغَان الأعداء، فقد انصرف بعضهم وجاء بعضهم الآخر وقبلوا الدخول فِي الخدمة والعبودية. (٣٧٦أ) والقسم المتبقي منهم الذي يساعد [نصرت شاه] البنكالى فقد أخذهم على عهدته. ولماكان فصلُ المطر قد أوشك، لذا، أبلغناه أننا فِي المقابل قبلنا الصُلْح، بالشروط المذكورة.

وفي يَومِ السبت، جاء إسماعيل الجلواني، وعلاول خان النوحاني، وأوليا خان الإسترانى

خمسة أو ستة أمراء، والتزموا. وفي اليوم نفسه، أحسننا على ايسن تيمور سُلْطَان، وتوخته بوغه سُلْطَان بسيف ذى حزام، وخنجر ذى حزام، وجُبَاب، وخِلَع، وخيول أصيلة، وأحسننا على ايسن تيمور سُلْطَان بثلاثين مائة ألف مِن مقاطعة نارنول، وعلى توخته بوغه سُلْطَان، بثلاثين مائة ألف مِن مقاطعة «شمس آباد».

وفي يوم الاثنينِ الخامسِ عشر مِن الشهر، وبعد تهدئة نواحي «بهَار» والبنكاله، تحَرَّكنا مِن منزل بأنحية «كونديه» على ضّفَّة «نهر سَرْو»، عازمين أمرنا على دفع شر [1] الخائنين بِبَن، والشَّيْخ بايزيد، وبعد منزلين، جاوزنا فِي يَومِ الأربعاء مَخَاضَة «جوباره» إحدى مخاوض «چترموك سكندر پور». وبدءَ مِن ذَلِكَ اليوم، انشغل العَسْكَر فِي اجتيـازها. وبدأت الأخبار تتواتر بشأن هذين الخائنين، واجتيازهما نهرى سَرْو وككر، وتحركهما صوب «لكنو». فعيننا على خان القَرمُلي، و ترديكة وناظم خان البياني مِن أمراء الترك و«الهِنْد». ومن الطولمش والأُزبك، قوربان جرجي وحسين خان دريا خاني(٣٧٦ب) بقيادة السُلْطَان جلال الدين شرقي لمنع تقدمهم، ورخصنا لَهُم بالذهاب مساء يوم الخميس.

أمطار الشتاء وأوراق بَابُر:

وفي مساءِ ذَلِكَ اليوم [الخميس]. وبعد صلاة التراويح، عِنْدَ الطرقةِ الخامسة مِن الجزءِ الأول [مِن الليل] أفرغَت سُحُب الشتاءِ ماءها، فكان ما يشبه الطوفان فِي لحظة واحدة، وهبَّت عاصفة عاتيةفلم يبقى فِي الخَيْمَةِ شيء إلا واقتلع مِن مكانه. وكنتُ أَكتبُ داخل الخَيمة، ولم يتسع الوقت لأجمع أوراقي وكتبي. وانهار سقف الخَيمة فوق رأسي وتمزقت نافذة الخَيمة قطعًا. وبحفظ الله لم يلحقنى ضرر. وغرقت الكتب وما كتبته، وأمكن جمعها بِصُعُوبَةٍ. وقمنا بلفها فِي بساط. ووضعتها أسفل الأريكة، وغطيتها بالبساط، وبعد جزئين مِن الوقت سكن المطر. وأقاموا لى خيمة للنوم، وأحضروا الشمع، وأوقدت النار بِصُعُوبَةٍ، وانشغلت حَتَّى الصباح بدون نوم فِي تجفيف الأوراق والكتب.

(١) جاءت فِي الانجليزية لسحق.

وفي يومِ الخميس، جاوزتُ النَّهْر.

وفي يومِ الجمعة، تفرجنا على «خَرِيد» و«سكندر پور» على ظهور الخيل. وفي ذَلِكَ اليوم، كتب عبد الله وباقي عن استيلاء العدو على «لكنور».

وفي يَومِ السبت، أرسلتُ كوكى وجماعته ليذهب ويلحق بباقي.

وفي يَومِ الأحد، أعطيتُ الرخصة إلى السُلْطَان جُنَيْد برلاس، وحسن خليفة وجماعة المُلّا آپاق، وأخوة مؤمن أتكه الكبار والصغار، للانضمام إلى باقي، و[وأمرتُهم] ألا يقصروا فيما يمكن أن ينجزوه إلى أن أدركهم.

وعند عصر ذَلِكَ اليوم، أحسنا على شاه مُحَمَّد معروف بخلعة وجواد أصيل. ورخصنا له [بالذهاب]. وكنا تبعًا لما كان مرعيًا قد أحسنا عَلَيْهِ فِي العام الماضي بسارن كمخصصات له، وراتبا لرُماة السهام فِي كُندله[1]. وفِي ذَلِكَ اليوم، أحسننا على إسماعيل الجلواني باثنين وستين مائة ألف مِن سروار، وخلعة خاصة، وجواد أصيل، ورخصنا له [بالذهاب]. كما حددتُ مخصصات مِن سروار إلى مَن جاءوا معه وعلى رأسهم علاول خان النوحاني، وقررنا أن يلتزم دَوْما فِي «أكْرا» الأخ الأَصْغَر لِكُلِّ واحد منهم أو ابنه.

وقد عهدنا إلى البنكاله بسفينتين اخترناهم مِن سفنهم التي غنمناها فِي حملتنا هَذِهِ. وهما السفينتين «كنجه يش» و« أرايش» ليوصلوهما إلى غازيپور عن طريق «ترمهانى»، وأن ينقلوا الجَيْش معهم كذَلِكَ بالسفينتين «أرايش» و«فرمايش» فِي اتجاه أعلى «نهر سَرْو».

وبعد إعادة الهدوء والسكينه إلى مناطق «بهَار» و«سروار»، تحَرَّكْنا يوم الاثنين فِي اتجاه منطقة «أود» عبر دَرْب «جوباره» فِي «چترمومك» بمحاذة حافة «نهر سَرْو». وتقدمنا عشرة فَرَاسِخ، ثُمَّ نزلنا بضّفَّة «سرو» بجوار قرية اسمها «كليهره» مِن مُلْحَقَات مقاطعة «فتحپور». (٣٧٧ب)

وقد وصل الذين تحركوا مبكرًا إلى «بحيرة فتحپور» الكبيرة بعد أن ضلوا الطريق. وقد

(١) موضع فِي الهِنْد يمثل نقطة اتصال بين عدة ولايات.

أمرنا بضع رِجَال بالإسراع لكي يعيدوا الجُنُود القريبين. وبعد أن عَسْكَرنا على ساحل البحيرة، أرْسَلْنا رسالة إلى الخوجه كيچيك لكي يعيد الجُنْد الذين نزلوا هُنَاكَ إلى المَعَسْكَر فِي اليوم التَّالِي.

وفِي اليوم الثاني، تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وفِي منتصف الطريق، ركبتُ السفينة «أسايش»، وأمرتُ بسحب السفينة إلى أعلى حيث المنزل الذي ذهبتُ إليه.

وفِي الطريق، جاء ابن الشاه مُحَمَّد ديوانه مِن عِنْدَ باقي لاستقبالنا. وجاء معه خليفة. وتحققنا مِن خبر «لكنو». ففي يَومِ السبت الثالث عشر مِن شهر رمضان، بدأ [المخالفون لنا] القِتَال. لَكِنَّهُ لم يظفروا بشيء. وأثناء القِتَال، اشتعلت النار فِي سقيفة مصنوعة مِن الخيزران والعشب الجاف المخزون مُنْذُ فترة، واخترقت داخل الحِصْن مثل التنور. ولم يَسْتَطِيعوا أن يعتلوا الجِدَار، وهكذا استولى [العدو] على الحِصْن.

وبعد يومين أو ثلاث، بلغهم خبر عودتنا، فتحركوا إلى ناحية «دلمور».

فِي ذَلِكَ اليوم أيضًا، قطعنا مِن الطريق مَسَافَة عشرة فَرَاسِخ، ونزلنا بضَفَّة «نهر سَرْو» إلى جوار قرية اسمها «جَليسِر» مِن مُقاطَعات «سِكْري».

وفِي يَومِ الأربعاء، توقفنا فِي ذَلِكَ المنزل لراحة الخيل.

وقال بعضهم: إن الشَّيْخ بايزيد، وبِبَن يفكران فِي عبور « كُنَك »، (٣٧٨أ) والانضام إلى فرسانهم فِي نواحي «چِنَار» و«جون». فاستدعيتُ الأُمَرَاء لتداول الأمر، وقررنا أن يذهب مُحَمَّد زمان مِيرْزا الذي أخذ «چِنَار» وبعض المقاطعات الأخرى عوضا عن «جونپور» وبعض المقاطعات، والسُلْطَان جُنَيْد برلاس، ومعهم محمود خان النوحاني، وقاضي جيا، وتاج خان السارَنْكخاني ويقطعوا الطريق على المخالفين فِي «چِنَار».

وفِي يَومِ الخميس التَّالِي، تَحَرَّكْنَا مبكرًا، ففارقنا «نهر سَرْو»، وتقدمنا مَسَافَة أحد عشر فَرْسَخا، ثُمَّ اجتزنا «نهر سَرْو» وعَسْكَرنا على شاطئه. واستدعيتُ الأُمَرَاء للمشورة، وقررنا أن ينفصل كل مِن ايسن تيمور سُلْطَان، و مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، و توخته بوغه سُلْطَان، وقاسم حُسَيْن سُلْطَان، وبيخوب سُلْطَان، ومُظَفَّر حُسَيْن سُلْطَان، والخوجه قاسم، والخوجه جعفر،

والخوجه زاهد، وجان بِك، عن الجَيْش ومعهم رِجَال عَسْكَري [مِيرْزا]. والخوجه كيچيك، ومن أمراء «الهِنْد» عالِم خان الكَالْبِي، وملك داد كراني ومن هم تحت قيادة راووى السرواني، ويسرعوا إلى «دلمو» وراء بيازيد وبَن.

وبينما أغتسل فِي «نهر بُرسرو» هَذَا، تجمعت أسماك كَثِيرَة على ضوء الشموع، وطفت على سطح النَّهر، وقد أمسكتُ ومن معى الكثير مِنْها بأيدينا.

وفِي يَومِ الجمعة، نزلتُ عِنْدَ مبدأ أحد فروع «نهر بُرسرو» وكان ضيقا جدًا. وقد أمرتُ بإغلاق طرفه العلوي، وعمل حوض كبير للاغتسال، وذَلِكَ حَتَّى لا يتغير الماء مِن أثرِ مرور الجَيْش وعبوره. (٣٧٨ب)

وأمضينا الليلةَ السابعة والعشرين مِن الشهر فِي هَذَا المنزل.وفِي اليومِ التَّالِي، فارقنا هَذَا النَّهر، واجتزنا «نهر توس»، ثُمَّ نزلنا.وأقمنا بضّفَّة هَذَا النَّهْر بومى الأحد والاثنين التاسع والعشرين مِن الشهر. وفِي ذَلِكَ المساء، رغم عدم صفاء الجو تماما، فإن كثيرا مِن الرِجَال رأوا الهلال، وشهدوا بهذا أمام القاضي، وثبت مطلع الشهر.

وفِي صباح يوم الثلاثاء، صَلَّيْنَا العيد، ثُمَّ تحَرَّكْنَا وتَقَدَّمْنا مَسَافَة عشرةِ فَرَاسِخ، ونَزَلْنَا بضّفَّة «نهر كوي» على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «طايك».وقبيل الظهر، أكلتُ المعجون، وأرسلتُ هَذَا البَيت [مِن الشعر] إلى الشَّيْخ زين، والمُلَّا شهاب، وخواندامير وقلنا فيه:

الشَّيْخ والمُلَّا شهاب وخواندامير. تعالوا، ثلاث، أومثنى، أو فرادى.

وكان هُنَاكَ أيضا درويش مُحَمَّد، ويونس على، وعبد الله، وعقب صلاة العصرتصارع المصارعون.

وتوقفنا فِي هَذَا المنزل يوم الأربعاء، وقبيل الظهر، أكلنا المعجون. وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء ملك شرق الذي كان قد ذهب لإخراج تاج خان مِن «چنّار». كما تصارع المتصارعونفي ذَلِكَ اليوم. وتصارعَ المصارع الأودي الذي جاء مِن قبل، مع هندي جاء فِي تلك الأثناء، (٣٧٩أ) وهزمه.

وأعطينا إلى يحي النوحاني مكانا مِن سروار ريعه خمس عشرة مائة ألف، وكسوناه مِن رأسه إلى قدميه. ثُمَّ أذنا له.

وفي اليوم التَّالِي، تقدمنا أحد عشر فَرْسَخا، واجتزنا نهر كوي، ونزلنا بضفته، وبلَغنا أن السُلْطَان والأمراء الذين ذهبوا للغارة قد وصلوا «دلمود»، لكنهم لم يجتازوا «نهر كُنك» بعد. فغضبتُ، وأرسلتُ المراسيم أقول فيها: أعبروا «نهر كُنك» فورًا، وتعقبوا العدو، واعبروا [نهر] «جون»، وضموا إليكم عالِم خان، وابذلوا جهدكم وهاجموا المتمردين على وجه السرعة.

وبعد مرحلتين[1] مِن هَذَا النَّهْر بلغنا دلمود. وفي اليوم نفسه، عبر قسم كبير مِن الجَيْش مَخَاضَة «نهر كُنك». وبعد أن عبر الجَيْش، أكلنا المعجون فِي الجزيرة الواقعة أسفل المَخَاضَة. وبسبب تأخر الجُنْد، جاوزنا النَّهْر، ثُمَّ توقفنا ليوم واحد فِي المكان الذي نزلنا فيه، وجاء باقي التاشكَنْدي مع جند «أود» والتزم. وتحركنا مِن عِنْدَ «نهر كُنك»، وبعد أن استرحنا بضع مرات، نزلنا بضَفَّة نهر ارند بجوار «كورره». ومن «دلمود» إلى «كورره» اثنين وعشرين فَرْسَخا.

وفي يَومِ الخميس، تَحَرَّكْنا مِن هَذَا المنزل، ونزلنا أمامَ مقاطعةِ «آدمپور». وأرْسَلْنا واحدا أو اثنين مِن البحاره، لإحضار السفن مِن «كالْپِي» (٣٧٩ب). لنتمكن مِن عبور النَّهْر وتَعَقُّبِ المخالفين.

وقد وصل عددٌ مِن السفنِ ليلة توقفنا هُنَاكَ. وكان بالنَّهْر مَخَاضَة. وأقمتُ في الجزيرة عدة أيَّام بليلها ونهارها بسبب الغُبار فِي هَذَا المكان.ولأنه لم يأتنا الخَبَر اليقين عن المخالفين، فقد أرسلتُ باقي شغاول مع الفتية الذين فِي «أود»، ليجتازوا النَّهْر ويرجعوا لنا بخبر عنهم.

وعقب العصر مِن يوم الجمعة التَّالِي، جاء رجلٌ مِن عِنْدَ باقي بِك. و[أبلغنا أن] باقي [بك] هَزَمَ جماعةَ الشَّيْخ بايزيد، وببَن، وقتل رجلا ممتازا منهم يُدعى مبارك خان الجلواني وعددًا آخر مِن الرِجَال. وأرسل عددا مِن الأسرى ورؤوس [القتلى].

(١) جاءت فِي الترجمة التركية بعد منزل واحد.

وفِي الصباح، جاءنا شاه حُسَيْن بَخْشي [1] الذي ذهب مع باقي بخبرٍ عن هزيمة مُقدِّمة العدو، وعَرَض أخبارَهم بالتفصيل.

وفِي تلك الليلة، ليلة الأحد الثالث عشر مِن الشهر، ارتفع «نهر جون»، وعند الصباح، كانت المياة قد غطت هَذهِ الجزيرة تمامًا. وانتقلتُ إلى جزيرة أخرى أسفل قليلًا على مرمى سهم، وأقمتُ خيمة آويتُ إليها.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء جلال التاشكَنْدي مِن عِنْدَ السلاطين والأمراء الذينَ ذهبوا للغارة. [وأبلغنا أن] الشَّيْخ بايزيد وبِبَن هَرَبَا مِن مقاطعة «مهوبه» عِنْدَمَا علما بالغارة. (٣٨٠أ)

وكان فصلُ المطرِ على الأبواب. وأصاب الإرهاق الجُنْد والخَيل الذين لم ينقطعوا عن الغارات لمدة خمسة أشهر أو ستة. لذا أصدرتُ أمرًا إلى السُلْطَان والأمراء الذين ذهبوا للغارة بالبقاء فِي مكانهم لحين مجيء قوات جديدة وقوية مِن «أَكْرا» ونواحيها. وعقب عصر ذَلِكَ اليوم، سمحنا لباقي شيغاول وجند «أود» [بالذهاب]. وقد خصصنا مقاطعة «امرهار» وريعها ثلاثين مائة ألف لموسي معروف الفَرمُلي الذي انفصل عن الجَيْش عِنْدَمَا اجتاز «نهر سَرُو» وانتظرنا. كما أحسنا عَلَيْهِ بطاقم ملابس، وجواد مسروج، وسمحنا له بالذهاب إلى «امرهار».

عودة بابُر إلى أَكْرا:

وبعد أن هدأ البال بشأن هَذهِ المناطق. تَحَرَّكْنَا مع الطَرْقة الثالثة مِن الفترةِ الأولى مِن ليلة الثلاثاء [2] حاثين الخطى إلى «أَكْرا».

وفِي اليوم التَّالي، قطعنا مِن الطريق ستة عشر فَرْسَخا، وقبيل الظهر، تناولنا الطَّعَام فِي مقاطعة «بيلاور» مِن أعمال «كالْپِي». وعلفنا الجياد، ثُمَّ حركنا مِن هُنَاكَ عقب صلاة العشاء. وسرنا فِي تلك الليلة ثلاثة عشر فَرْسَخا، فوصلنا عِنْدَ قبر بَهادِر خان السرواني فِي «سوكندپور» مِن مُقاطعات «كالْپِي»، فِي الطرقة الثالثة مِن الليل، حيث غفونا هُنَاكَ، ثُمَّ

(١) أحد رِجَال بَابُر.
(٢) ٢١ يونيو ١٥٢٨م.

استأنفنا السَّيْر مِن هُنَاكَ بعد أن صلينا الصبح. وقطعنا ستة عشر فَرْسَخا، فبلغنا «اتاوه» وقت الظهر. وجاء الخوجه مهدي لمقابلتنا، وفِي الفترة الأولى مِن الليل تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وبعد أن نمنا بعض الوقت فِي الطريق، قطعنا مِن الطريق ستة عشر فَرْسَخا (٣٨٠ب). ونزلنا فتحپورثُمَّ تَحَرَّكْنَا مِنْهَا قبيل صلاة الظهر، فقطعنا مِن الطريق سبعة عشر فَرْسَخا، ونزلنا حَدِيقَة هَشْت بِهَشْت فِي «أَكْرا» فِي الفترة الثانية مِن الليل.

وفِي يَومِ الجمعة التَّالِي، جاء مُحَمَّد بَخْش وبعض الرِجَال والتزموا. والتزم أيضا الخوجه عبد الحق، وقبيل الظهر اجتزنا «جون»، وذهبت إلى القَلْعَة، وقابلتُ السَيّدات عماتي.

وتركنا هُنَاكَ بستاني مِن «بَلْخ» لزراعة البطيخ الأصفر. وقد أحضر بضع ثمرات مِنْهُ. وكانت طيبة المذاق للغاية. وكنتُ قد غرست شجرة أو اثنتين مِن أشجار العنب فِي حَدِيقَة هَشْت بِهَشْت، أثمرت عنبًا طيبًا. وأحضر الشَّيْخ كورن أيضًا سلة مِن العنب ولم يَكُنْ سيئًا. وقد سُررتُ كثيرا مِن زراعة البطيخ والعنب فِي «الهِنْد» بِشَكْلٍ عام.

وفِي الطرقة الثانية مِن مساء يوم الأحد، جاءت [زوجتى السَيِّدة] ماهيم وكنا قد خرجنا فِي حملة فِي العاشر مِن شهر جمادى الأول. وتصادف أنها تحركت مِن «كَابُل» فِي اليوم نفسه.

وفِي يَومِ الخَمِيسِ غُرة شهر ذى القعدة[1]، وأثناء انعقاد الديوان فِي مقره، أحضروا هدايا هُمايون، وماهيم. وفِي ذَلِكَ اليوم أرْسَلْنا مائه وخمسين رجلًا تحت إمرة أحد رِجَال مغفور ديوان إلى «كَابُل» ليحضر البطيخ والعنب (٣٨١أ) والفاكهة.

وفِي يَومِ السبتِ الثالثِ مِن الشهر، جاء هندو بِكَ مِن «كَابُل» بوصفه حاميا [لها]، لنرسله إلى «سُنْبُل» بعد وفاة على يوسف، والتزم. كما جاء فِي ذات اليوم حسام الدين على خليفة مِن «ألوِر» والتزم. وقد سمعنا مِن القادمين مِن «كَابُل» أن الشَّيْخ شريف القراباغي بتحريض مِن عبد العزيز، أو بسبب ارتباطه به،كتب مكاتبات رسمية، تحتوى على مظالم وبدع ونسبها إلينا، وأجبر أئمة «لاهور» على التوقيع عَلَيْهَا، وأرسل نسخ مِنْهَا إلى سائر المدن لإثارتها.

(١) ٧ يوليو ١٥٢٨م.

كما أن عبد العزيز لم يمتثل للعديد مِن الأوامر، وإنه يتقول بكلام لا مجال له ويُظهر العصيان. ولهذا قمنا فِي يَومِ الأحد الحادي عشر مِن الشهر، بإرسال قنبر على ارغون إلى « لاهور » ليحضر إلينا الشَّيْخ عبد العزيز وأئمة «لاهور» المتنفذين.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الخامسِ عشر مِن الشهر، جاء چين تيمور سُلْطَان، مِن «تجاره» والتزم. وفي ذَلِكَ اليوم، تصارع المصارع صادق مع مصارع كبير مِن «أود». (٣٨١ب) وتعادل صادق، ومصارع «أود»، بِصُعُوبَةٍ كبيرة.

وفِي يَومِ الاثنين التاسع عشر مِن الشهر، خلعنا على مراد القورچي سفير القِزِلْباش خلعة مناسبة، وخنجر ذو حزام مرصع، وأحسننا عَلَيْهِ بمائتى ألف، وأذنا له.

وفِي تلك الأَيَّام، جاء مِن «كواليار»، سَيِّد المشهدي، وعرض أمر الفتنة التي أحدثها رحيم داد. وكتبنا كلمات نصح كَثِيرَة، وأرْسَلْنا جامع شاه مُحَمَّد المهردار. فرجع بعد بضعة أَيَّام ومعه ابنه[1]. والواقع أن ابنه جاء لكن لم يَكُنْ [رحيم داد] ينوى المجيئ. ولكي نُذهب عنه الخوف أرْسَلْنا نور بِك إلى «كواليار» فِي اليومِ الخامسِ مِن شهر ذي الحجة. وبعد بضعة أَيَّام، جاء نور بِك، وعرض طلبات رحيمداد. وجهزنا المراسيم حسبما أراد، وبينما نَحْنُ على وشك إرسالها جاء رجل وعرض قائلًا: لقد أرسلني [رحيمداد] مِن أَجْلِ تهريب ابنه، ولَيْسَت لديه النية للحضور. فلما علمنا بهذا الخَبَر، رغبنا فِي التَحَرُّكِ فورًا إلى «كواليار».

وعرض خليفة قائلا: دعنى أكتب إليه رسائل نصح مرة أخرى، لعله يأتي للإصلاح وقد أرسلَ شهاب الدين خُسْرو لهذا الأمر.

وفِي يَومِ الأربعاءِ السابعِ عشر مِن الشهر، (٣٨٢أ) جاء الخوجه مهدي مِن «أتاوا» ، وفِي يَومِ العيد، أحسننا على هندو بِك بطاقم ملابس، وسيف ذى حزام مرصع، وجواد أصيل. كما أحسننا على حَسَن المشهور بين التُرْكُمان باسم چَغْتَايْ بطاقم ملابس، وخنجر ذى حزام مرصع، ومقاطعةعها سبعمائة ألف.

(١) يقصد ابن رحيمداد.

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة وست وثلاثين

فِي يَومِ الثلاثاءِ الثالثِ مِن شهرِ المحرم، جاء الشَّيْخ مُحَمَّد غوث مِن «كواليار» برفقة شهاب الدين خُسْرو ليَتَشَفَّعَ لرحيم داد. ولأنه رجل وعزيز، فقد تجاوزتُ عما اقتَرَفَهُ رحيم داد مراعاةً لخاطِرِه، وسلَّمْتُ «كواليار» إلى الشَّيْخ الكوراني ونور بِك، وأرْسَلْناهما إلى هُنَاكَ.

***

ملحق [1]

لم تَكُن قد رأيْنَا مُحَمَّد هُمايون الموجود فِي «بَدَخْشان» مُنْذُ عام. وقد اشتاق إلينا، فَسَلَّم أمر «بَدَخْشان» إلى صِهره مِيرْزا سُلَيْمان، وجاء إلى «كَابُل». وكان كمران مِيرْزا قد جاء أيضًا مِن «قَنْدَهار» إلى «كَابُل». وتقابلا فِي ميدانِ العيد، وسألنا مُحَمَّد هُمايون بِدَهْشَةٍ عن سببِ مجيئِهِ هَذَا. فقال: إنما هو الشوقُ لرؤيَتِكُم. كما رجع هِندال مِيرْزا بعد أن أرْسَلْناه مِن «كَابُل» إلى «بَدَخْشان». فجاء بسرعةٍ فِي بضعةِ أيَّامٍ إلى مقرِّ الخلافةِ فِي «أَكْرا».فأثناء الحديثِ مع أمِّهِ بشأنه، رأيناه مُقْبِلا عَلَيْنَا. وتَفَتَّحَت القلوبُ كالزهور، ولَمَعَت العيونُ كالضياء. وكانت الولائم تقام يوميًا لكن جهزنا وليمه كبيرة خاصة علَى شَرَفِه، ورتَّبْنَا وسائل التسلية. وقد بَقِينا وقتًا طويلًا معًا، وتَوَثَّقت علاقتنا. والحقيقة، إنه كان إنسانًا نادرَ المثالِ فِي الصُّحْبَة، وإنسانًا بمعنى الكلمة.

ولما غادَرَ مُحَمَّد هُمايون «بَدَخْشان» قادما الينا، فإن السُلْطَان سعيد خان - وهو أحد خانات «كاشْغَر» وقريب لنا - تَرَكَ رشيد خان فِي «يارقند». وسَاقَتْهُ أوهامُهُ إلى التحرك صوبَ «بَدَخْشان». وقَبْلَ أن يُدْرِكها، جاء مِيرْزا هِندال، ودَخَلَ قلعة الظفر. وبعد أن حاصَرَ السُلْطَان سعيد خان مدةَ ثلاثة شهور، عاد دون إنجازِ شيءٍ قط.

أما بالنسبةِ لنا، فقد عَلِمْنَا بمجيء الكاشْغَريين وأخْذِهِم «بَدَخْشان». فأمَرْنَا الخوجه خليفة بالتوجهِ إلى «بَدَخْشان»، وعَمَلِ ما يراه مناسبًا. لَكِنَّهُ امتنع بسببِ ضيقِ أُفُقِه. فقلنا إلى مُحَمَّد هُمايون: وماذا عن ذهابِك أنت. فأجاب قائلًا: سَمْعًا وطاعة، لكنني وَعَدْتُ ألا أغادِرُكم برغبتي. فأعطينا الإذن إلى مِيرْزا سُلَيْمان بالذهابِ إلى «بَدَخْشان». وكتبنا إلى السُلْطَان سعيد: لقد جاء تصرفكم على هَذَا غريبًا مع كبير حقنا عليكم. والآن استَدْعَيْنَا مِيرْزا هِندال، وأرْسَلْنا مِيرْزا سُلَيْمان. فإذا كنتَ ترعى حقوقنا، فعليك بتسليم «بَدَخْشان» إلى أبننا المِيرْزا، ويكون هَذَا أمرا حسنا، وإلا فقد بلغنا مِن لدنك عذرا، واعلموا أننا سوف نُسَلِّمَ الإرث لوارثه.

---

(1) مضمون هَذَا الملحق ورد فِي كتاب منجم باشى جامع الدول بمعناه. ويبدو أن الترجمة التركية أضافته على النص الأصلى نقلا عن جامع الدول.

وقَبْلَ أن يَصِلَ مِيرْزا سُلَيْمان إلى «كَابُل»، رفَعَ العَدُو يده عن «بَدَخْشان»، واسْتَتَبَت السكينه. وبعد أن وصل مِيرْزا سُلَيْمان إلى «بَدَخْشان»، سَلَّمَها له هِندال مِيرْزا، وتَحَرَّكَ إلى «الهِنْد».

وسمحنا لمُحَمَّد هُمايون بالذهابِ إلى مَقَرِّهِ فِي سُنْبُل. وأقام بها ستةَّ أشهر، وقد تبيَّنَ أن ماءَ تلك المنطقةِ وهواءَها غير مناسبين له، فقد أصابَهُ داء الملاريا. وشيئًا فشيئًا طال مرضه. وعندما بَلَغَنِي هَذَا، استدعيتُ أمهرَ الأطباءِ، وأمرتُ بنقلَه بسفينةٍ مِن سُنْبُل إلى «دِهْلي» لمداواته. وقد جاءوا به بطريقِ النَّهْر فِي بضعةِ أَيَّام. ولم يتحسن رغْمَ علاجِ الأطباء. وعرض مير ابو القاسم وهو مِن ذوي الاعتبار قائلًا: للشفاء مِن مثل هَذهِ الأدواء ينبغى أن يُنذر المرء لله شيئا نفيسا لينعم عَلَيْهِ بالصحة. فجال بخاطري وقلت: لا فداء لمُحَمَّد هُمايون سوى نفسي، فلأنذر نفسي فداءً له، وأدعو الله أن يقبلها.

فقال خليفة وجميع المقربين: إن مُحَمَّد هُمايون سيشفي [بإذن الله]، إنما القصد أن تَنْذِرَ شيئا مِن متاعِ الدنيا، كأن تَنْذِرِ الماسة التي حَصَلْتَ عَلَيْهَا فِي معركتِك مع ابراهيم، والتي أحسنتَ بها على مُحَمَّد هُمايون. فقلتُ:" إن مال الدنيا لا يعادل أى مرض عضال، ونفسي فداءٌ له". وفاق الأمر قدرتى على الاحتمال. وكررتُ وعدى عِنْدَ رأسه ثلاث مرات، متضرعا [إلى الله]: فداك نفسى؛ إخلع عليَّ كل آلآمك لأحملها عنك. فأصابني الوهن. وتحَسَّنَت حالته، واسْتَرَد صحته، وبرأ مِن مرضه. أما أنا فقد مَرِضْتُ، وساءت حالتي، وجعلتُ هُمايون وليًا للعهد، واستدعيتُ أعيانَ الدولةِ وأركانَ المملكة، ومدوا أيديهم له بالبيعة، وتنازلتُ له عن العرش. وصدّق الخوجه خليفة وقنبرعلى بِك، تردي بِك وهندو بِك وسائر الحاضرين على هَذَا القرار والتزموا به.

وفاة بَابُر:

وفِي السادس مِن شهرِ جمادى الأول مِن عام ٩٣٧هـ، ودَّع [ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر] هَذهِ الدنيا الفانية فِي چارباغ التي أنْشَأها بيده، وسجل مولانا شهاب الدين معمائي وهو مِن كبارِ

المعاصرين الذين نظموا الأشعارَ والقصائدَ والمراثي، هَذا التاريخ بحساب الجُمَّل وقال: " أصبح هُمايون وارثًا للمُلْك". ويعجز اللسان عن وصفٍ أو تسجيلِ محاسن ذَلِكَ السُلْطَان القدير.

لكِنَّهُ باختصار، كانشخصيةً تميزُ بثمانِ صفاتٍ أصيله هى؛ قضاء رفيع،و هِمَّةٌ نادرة، والغزو، وحُسْن الإدارة، وحُب العُمْران، ورفاهية عبادة الله، وكَسْب محبة الجُنْد،وإقامَة العدل.

ولا ينقصه مِن الفضائلِ شيء. كان نسيج وحدة فِي التركِيَة والفارسية نظمًا ونثرًا. وتضمن ديوانه التركي مضامين جديدة. إحدها كتاب على نسق المثنوى باسم مُبَيّن[1]. ليس هُنَاكَ بين العارفين باللغة مَن يُدَانِيه فِي رقته. كما نظم رسالة الوالديه للخوجه أحرار. وأمر مِيرْزا خان بن بيرام خان بترجمة كتابه المسمى بَابُريه[2] مِن التركِيَة إلى الفارسية ليكون سَهْلا على مَن لا يعرفون التركِيَة. كما كان عارفا بعلم الموسيقى.

وقد نَظَمَ هَذهِ الرباعية بالفارسية.

رغم انى ليس لى بالدراويش قربى
فإنى مرتبط بهم بالروح والقلب،
فلا تقل إن السَّلْطَنَة لا تمت للتصوف قط،
فأنا سُلْطَان لكنني للمتصوفه عبد

كما قَالَ هَذَا المطلع بالفارسية:

أعرف، إن هلاكى فِي البعد عنك
وإلا لفارقتُ هَذهِ المدينة

وله أيضا هَذَا المطلع:

مُنْذُ أن تعلق القلب بذؤابتك السوداء

(١) كتاب فِي الفقه.
(٢) أحد أسماء كتاب وقائع بابُر الذى نَحْنُ بصدده.

نجوتُ مِن شتات الدنيا

وله رسائل عن الوزن والقافية. واحدة مِنْها، باسم المُفَصَّل، وهي فِي شرح هَذَا الفن، وهو عمل جيد للغاية.

وقد أنْعَمَ الله عَلَى ذَلِكَ السُلْطَان بأربعةِ أبناءٍ ذكور وثلاث إناث، وأبناؤه هم السُلْطَان مُحَمَّد هُمايون، وكمران مِيرْزا، وعَسْكَري [مِيرْزا]، وهِندال مِرْزا. وبناته هن البيجوم كُل رنك، البيجوم كُل چهره، والبيجوم كُل بَدَن. وهن مِن أم واحدة.

ومن أهلِ الذوقِ الذين لم يَبْرَحُوا مَجْلِسَه قط؛

ابو البقاء، وكان نسيج وحده فِي علم الحكمة.

والشَّيْخ زين صدر، حفيد زين الدين خافي[1]. وكان ذا ذكاءٍ فذ. وسليقةٍ فِي النَّظْمِ والإنشاء. وصار أميرًا فِي زمنِ السُلْطَان هُمايون.

والشَّيْخ أبو الواحد الفارغي، عم الشَّيْخ زين الدين الخافي. وكان صاحب ذوق. ويَقْرِضُ الشعر.

والسُلْطَان مُحَمَّد كوسه، مِن المصاحبين لمير عَلِيشِير[نوائى]. وكان له الاعتبار فِي صحبةِ السُلْطَان. وقد عَلَا شأنه.

ومولانا شهاب معمائي، ومخلصه فقيري. وكان له حظ مِن الموهبةِ والشعر.

ومولانا يوسف، وكان طبيبًا. وقد استدعوه مِن «خُراسان»، وكان عَمَلُه أن يقيس النبضَ ويضعَ التشخيص [للمريض].

وسُرخ وداعي، وكان ينْظم بالفارسية والتركية.

---

(١) رسمها فِي الأصل خوافي.

والمُلَّا بقائي، كان ذا فطنةٍ كبيرة. نَظَم مثنوى باسم السُلْطَان علَى وَزْنِ مخزن الأسرار[1].

والخوجه نظام الدين علِي خليفة، وكان ذا عقلٍ وتدبيرٍ فِي العملِ والصداقةِ والوزارة. حَظِيَ بالاحترامِ والمكانةِ عِنْدَ السُلْطَان حَتَّى أصبحَ أكثر رأيه مقبولًا لديه. كما أن له دراية بالطب.

ومير درويش مُحَمَّد ساربان، مِن مُريدي الخوجه أحرار. وكان طَيِّبَ الصُّحْبَة وبسببِ حَسَن أخلاقه ومزاياه، صار مُقَرَّبا ومُعتبرا لدى [السُلْطَان].

وخواندامير، كان مؤرخًا ورجلًا ممتازًا. وآثارهُ مشهورةٌ بين النَّاس. ومنها حبيب السِّيَرْ، وخُلاصَةِ الأخبار، ودستورِ الأنوارِ وأعمال أخري.

والخوجه كلان بِك، مِن الأُمَرَاء، وعمل فِي الخدمةِ الخاصةِ للسُلْطَان. وقد عُرِف بمزاياه ومهارته العالية.

وأخيه الصغير الخوجه كيچيك، كان حاملَ الختمِ ومن المقربين. وعمل أيضا فِي خدمةِ السُلْطَان الخاصة.

السُلْطَان مُحَمَّد دالدي، مِن الأُمَرَاء الكبار، وكان حَسَن السجايا. والله بكل شيء عليم.

(1) منظومة فِي التصوف لعبد الرحمن الجامي.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: مراجع باللغة العربية:

* أحْمَد محمود الساداتى، تاريخ المسلمين فِي شبه القارة الهِنْدية وحضارتهم، القاهرة، ١٩٥٧.

* ــــــــــــــ، ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر مؤسس الدولة المُغُولية فِي «الهِنْد»ستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٤.

* حربى أمين سُلَيْمان، المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فِي كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.

* حُسَيْن مجيب المصرى، تاريخ الأدب التركي،ط١،دار الفكرة،القاهرة ١٩٠١.

* خواد بخش، الحضارة الإسلامية، ترجمة وتعليق، على حسنى الخربوطلى، بدون تاريخ طبع.

* زكريا بن مُحَمَّد بن محمود القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد. بدون تاريخ طبع.

* سَيّد سابق، فقه السنة دار التراث، القاهرة، ج١.

* عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فِي «الهِنْد»،ط٣، القاهرة ١٩٩٠.

* عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية،ط١، القاهرة ١٩٧٠.

* عبد النعيم حسنين، نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة عصره وبيئته وشعره، مكتبة الخانجى، ط١، ١٩٥٤.

* فؤاد عبد المعطى الصياد، المُغُول فِي التاريخ، القاهرة ١٩٨٠.

* يحيى داود عباس، «سَمَرْقَنْد» تاريخها وحضارتها، القاهرة ١٩٩٥.

ثانيا: مراجع مترجمة إلى اللُّغَة العربية:

* ارمينيوس فامبرى، تاريخ «بُخارا»، ترجمة أحْمَد محمود الساداتى القاهرة.

* بارتولد، تاريخ الترك فِي آسيا الوسطى، ترجمة أحْمَد السعيد سُلَيْمان، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨.

* عبد الرشيد ابراهيم، عالم الإسلام، ترجمة،أحْمَد فؤاد متولى وهويدا مُحَمَّد فهمى، ط١.

.١٩٤٨ ،ط١ ،«حضارات «الهِنْد
* غوستاف لوبون، حضارات «الهِنْد»، ط١، ١٩٤٨.
* فاسيلي فلاديميروفتس بارتولد، تُركِسْتَان مِن الفتح العربي إلى الغزو المُغُولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١.

ثالثا: مصادر مخطوطة باللغة العربية:

* منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع بمكتبة أسعد أفندى تحت رقم٢١٠٣

رابعا: مصادرمطبوعة باللغة العربية:

* ابن اسحاق ابراهيم بن مُحَمَّد الفارسى الإصطخرى، المسالك والممالك، تحقيق مُحَمَّد جابر عبد العال الحينى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٩٦١.
* الشريف الأدريسى، نزهة المشتاق فِي اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.بدون تاريخ طبع.
*كاتب جلبى، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ج٢.

خامسا: مراجع باللغة التركية الحديثة:

* Anıl Çeçen, Türk Devletleri, inkilap kitapevi,Istanbul 1986
* Bilâl Yücel,BâburDivâni, Atatürk kültür Merkezi Yayını,sayı:81,ankara 1995
* Halis Bıyıktay, Timurlular Zamanında Hindistan Türk Imparatorluğu, Istanbul 1941
* Yılmaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi,ötüken Yayınevi,Istanbul 1985
* Hans R. Roemer, Timurlular maddesi,I.A., Istanbul 1979,,c.12
* Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2, Ankara1947

سادسا: مراجع مترجمة إلى اللُّغَة التركيّة:

* Fernand Grenard,Babur, devlet Kitapları, Istanbul 1971.

سابعا: مصادر مترجمة إلى اللُّغَة التركيّة:

- Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,Türk Tarih Kurumu Basımevi,Ankara 1943-1946.
- Gülbeden, Hümayunnâme, farçadan ?eviren Abdürrab Yelgar,Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara 1987

ثامنا: مصادر باللغة التركية في لهجتها الجِغَتائيّة:

* ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر، بَابُرنامه، نشرته السَيّدة أ.س. بفريدج نشرا مصورا عن نسخة حيدر آباد، في لندن ١٩٠٥.

تاسعا: مراجع باللُّغَة الفَارِسِيَّة:

* منوجهر بارسادوست، شاه إسماعيل اوّل، جاب اول ١٣٧٥،
* عبد الحسين نوائى، شاه إسماعيل صفوى، اسناد ومكاتبات تاريخى همراه باياد داشتهاى تفصيلى، انتشارات بِبَنياد فرهنك ايران، (٥٠)، جاب شد، ١٣٦٧.

عاشرا: مراجع مترجمة إلى اللُّغَة الفَارِسِيَّة:

* فاروق سومر، قراقوينلو، ترجمة وهاب ولى، تهران١٣٦٩.

حادى عشر: مصادر باللُّغَة الفَارِسِيَّة:

* بَابُر نامه موسوم به توزك بَابُرى وفتوحات بَابُرى، نسخة عن الترجمة التي تمت في عهد أكبر شاه تم نسخها سنة ١٣٠٨هـ وتملّكها مِيرْزا مُحَمَّد شيرازى، مودعة بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم١٢٢٥٠.

• مُحَمَّد حيدر دوغلات، تاريخ رشيدى، طبع هارفارد١٩٩٦

ثانى عشر: مراجع باللغة الإنجليزية:

* Edward G. Browne, A Litrary History Of Persia, vol.3,Cambridge,1928
* Stanley Lane - poole,Rulers of India, Babar, Oxford 1899
* Michael Edwardes, A History of India, farrar, Straus and Cuddahy,New York,

ثالث عشر: مصادر مترجمة إلى اللُّغَة الإنجليزية:

* Annetta Susannah Beveridge, BaburÜ Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text, Delhi, 1970.

رابع عشر: مصادر مترجمة إلى اللُّغَة الفرنسية:

* Le Livre De BABUR,Memoires du premier Grand Mogol des Indes, presente et traduit du turc tchagatay par JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT,paris 1985.

خامس عشر: ألقواميس والمعاجم ودوائر المعارف:

١- باللغة العربية:

*أحْمَد السعيد سُلَيْمان، تاريخ الأسر الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعرف بمصر ١٩٦٩.

*الأطلس العربى، أصدار وزارة التربية والتعليم المصرية، ط١، سنة ١٩٦٥

*المعجم الوجيز، مجمع اللُّغَة العربية، دار التحرير للطبع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠م.

*المعجم الوسبط، مجمع اللُّغَة العربية، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة١٩٧٢.

*منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان، جمعه ورتبه السَيّد مُحَمَّد أمين الخانجى، ط١، القاهرة ١٩٠٧، ج٩.

* ياقوت بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، ط١، القاهرة ١٩٠٦

٢- باللغة التركية:

* Türk Dianet Vakfi ,Islam Ansilopedisi, Istanbul, 1989:

-mer Faruk Akün,Babur nâme Maddesi, I. A.T. D. V.,.,c.4.

-M.F.Köprülü,Babur maddesi, I.A., Istanbul, 1979., c.2*

* Faik Reşit Unat, Hicri Tarihleri Milâdi Tarihe Çevirme Kılavuzu, Ankara 1974,s.61.

* Ziya üSkün, Farsça- Türkçe Lüðat, Istanbul, 1984,

٣- باللغة العثمانية:

* سُلَيْمان أفندى البخارى، لغت جغتاي وتركي عثماني، استانبول ١٢٩٨هـ.

* شمس الدين سامى، قاموس الأعلام شمس الدين سامى، قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغاتى وتعبير اصحله كافۀ اسماء خاصه يى جامعدر، معارف نظارت جليلة سى طرفندن تقدير وتحسين اولنه رق طبع اولنمشدر، استانبول ١٣٠٦هـ.

* شمس الدين سامى، قاموس تركى.

٤- باللُّغَة الفَارِسِيَّة:

* على أكبر دهخدا، لغت نامه، جاب سيروس، تهران ١٣٣٦هجرى شمسى.

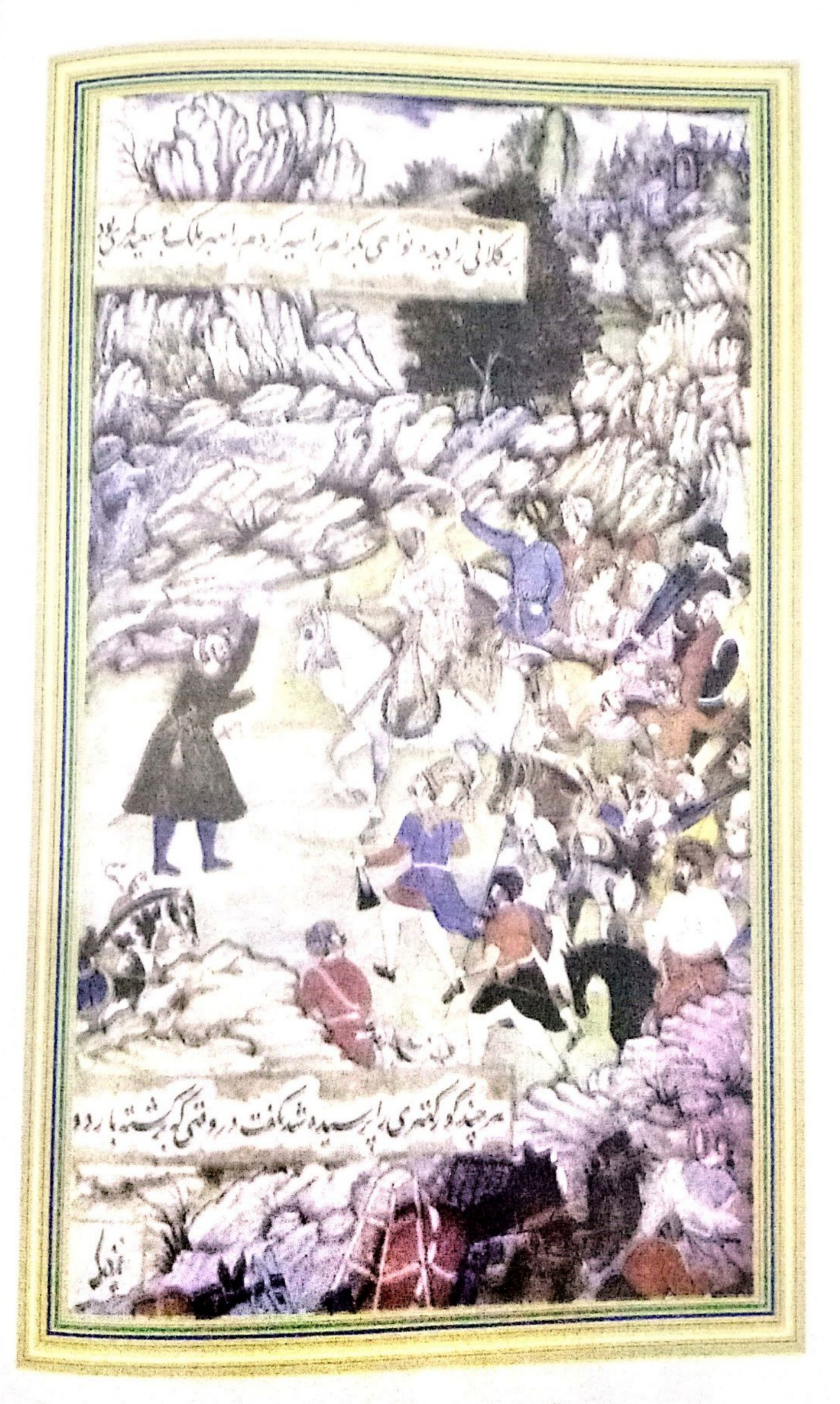
سادس عشر: الرسائل العلمية:

* أَحْمَد محمود الساداتى، ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر مؤسس الدولة المُغُولية فِي الهِنْدستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٣ـ١٩٥٤

* ياقوت بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، ط ١، القاهرة ١٩٠٦
٢- باللغة التركية:
* Türk Dianet Vakfi ,Islam Ansilopedisi, Istanbul, 1989:
-mer Faruk Akün,Babur nâme Maddesi, I. A.T. D. V.,.,c.4.
-M.F.Köprülü,Babur maddesi, I.A., Istanbul, 1979., c.2*
* Faik Reşit Unat, Hicri Tarihleri Milâdi Tarihe Çevirme Kılavuzu, Ankara 1974,s.61.
* Ziya üSkün, Farsça- Türkçe Lüðat, Istanbul, 1984,
٣- باللغة العثمانية:
* سُلَيْمان أفندى البخارى، لغت جغتاي وتركي عثماني، استانبول ١٢٩٨هـ.
* شمس الدين سامى، قاموس الأعلام شمس الدين سامى، قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغاتى وتعبير اصحله كافهٔ اسماء خاصه يى جامعدر، معارف نظارت جليلة سى طرفندن تقدير وتحسين اولنه رق طبع اولنمشدر، استانبول ١٣٠٦هـ.
* شمس الدين سامى، قاموس تركى.
٤- باللُّغَة الفَارِسِيَّة:
* على أكبر دهخدا، لغت نامه، جاب سيروس، تهران ١٣٣٦هجرى شمسى.
سادس عشر: الرسائل العلمية:
* أَحْمَد محمود الساداتى، ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر مؤسس الدولة المُغُولية فِي الهِنْدستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٤



اعتلاء بابر عرش فرغانة



تهنئة بابر بفتح بكرام



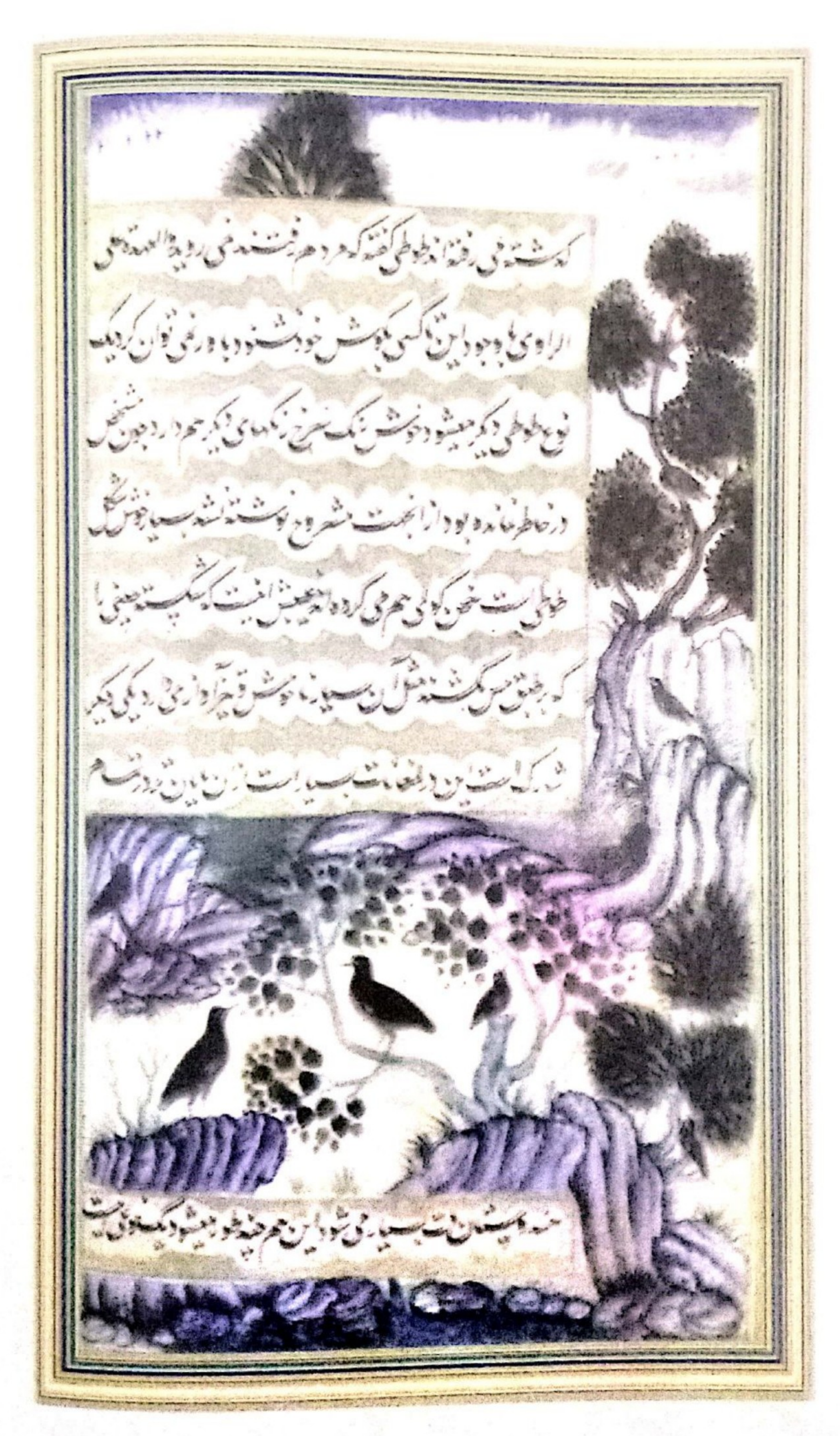
بابر فى مجلس بديع الزمان ميرزا



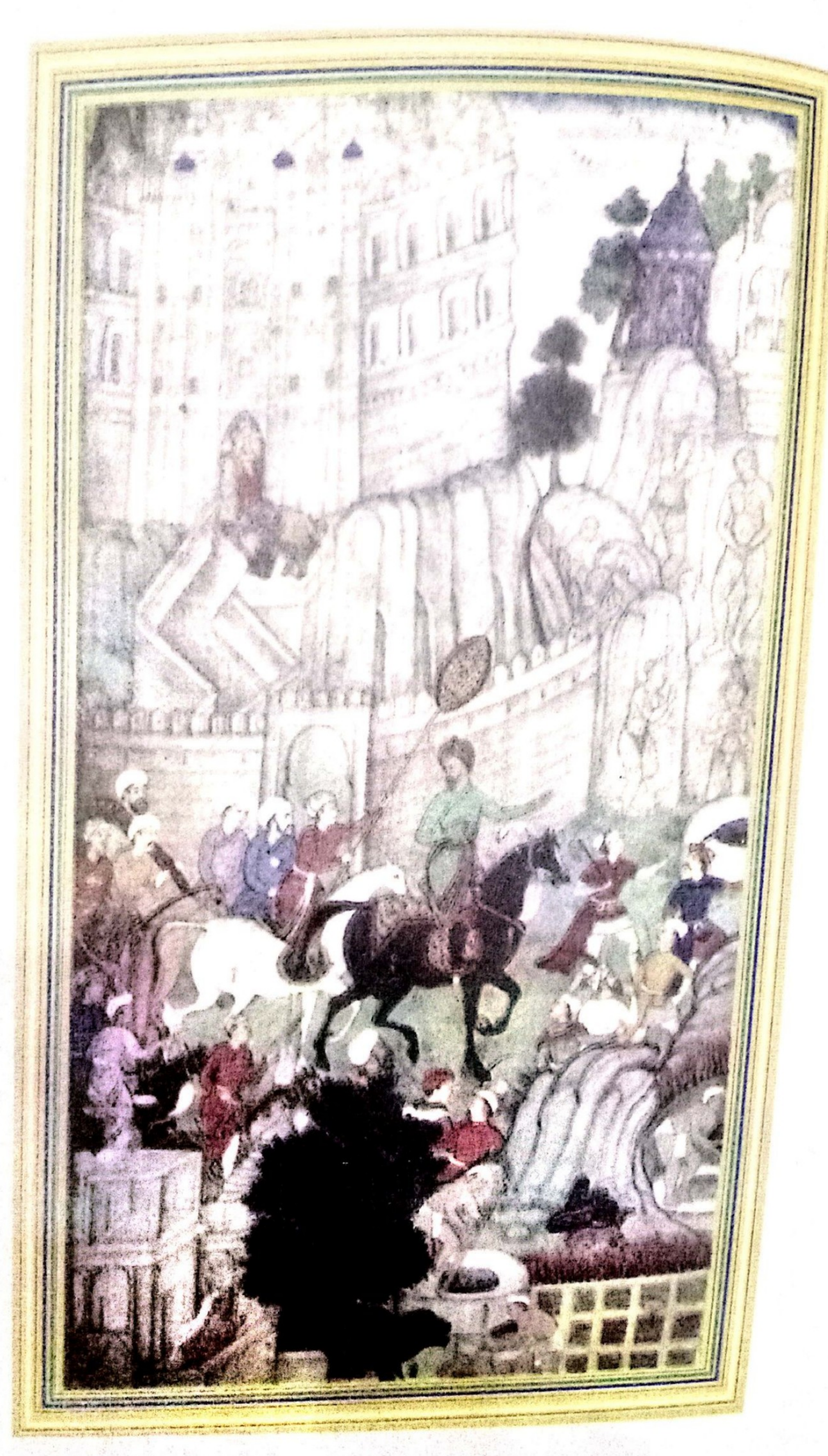
بابر فى رحلة صيد فى كابل



بابر فى إحدى المعارك فى كابل



بعـض طيـــور الهنــد



بابر يتفقد إحدى قلاع الهند